المطران

أبيفانيوس

الأمالي الذهبية

من مقالات لأبينا الجليل في القديسين

يوحنا الذهبي الفم

حياة القديس يوحنا الذهبي الفم

ولد القديس يوحنـــا الذهبي الفم رئيس اساقفة القسطنطينية في انطاكية العظمى سنة ٣٤٧ وكان ابوه سكندس قائداً في الجيش الروماني ، وامه انثوسا من فضليات النساء واشرافهن . توفي والده وهو صغير ، وعنيت والدته بتربيته على التقوى وتهذيبه فتتلمذ للبيانوس السفسطي اشهر خطباء ذلك العصر وعلمائه . وبقيت امه ارملة رغم جمالها وغناها حباً بولدهـا يوحنا الذي ربته على التقوى والفضائل المسيحية ، فدخل في سلك الرهبنة بعد ان انتقلت والدتـــه الى دار الخلود وقصد دير كاموس قرب انطاكية وبقي هناك اربع سنوات مثال الراهب الصابر القانت ، ثم رجع الى انطاكية للاستشفاء ، فأبقاه البطريرك مـلاتيوس عنده وشرطنه شماساً انجيلياً سنة ٣٨١ وكلفه الوعظ والارشاد . وبعـد خمس سنوات شرطنه خليفة البطريرك ملاتيوس كاهناً في انطاكية فلبث فيهـــا اثنتي عشرة سنة يعظ ويعلم في كنائسها فأحبه الشعب وتعلق به وتسارع الناس من كل مكان لسماع مواعظه الممتعة الحكيمة المنعشة القلوب والمشددة العزائم ، وخاصة اثناء ثورة الانطاكيين بسبب الضريبة التي فرضها عليهم الامبراطور ثيودوسيوس الكبير ، فكسروا تماثيل الملك والملكة ، ولذلك صـــدرت الاوامر باحراق المدينة واهلاك السكان ، فسافر البطريرك الى القسطنطينية يستعطف الامبراطور على السكان ويلتمس منه العفو عنهم . وقام يوحنا يومئذ يخطب في الجماهير باعثاً في القلوب والنفوس انوار الرجاء برحمة الله ، ومحركاً اياها الى الندامة والرجوع

الى الله . وهكذا بتأثير اقواله وكتاباته عفا الامبراطور عن المدينة ، ورجع البطريرك اليها فائزاً ، وعادت الطمأنينة الى القلوب .

وفي سنة ٣٩٧ اجمع الامبراطور ووزيره افتروبيوس والشعب في القسطنطينية على ان ينتخب الكاهن يوحنا بطريركاً للقسطنطينية وخلفاً للبطريرك نيكتاريوس الذي توفاه الله في السنة المذكورة فأخذ يوحنا الى القسطنطينية بالحيلة اي خفية لتمسك الشعب به في انطاكية ، فدخل القسطنطينية سنة ٣٩٨ وكان صادقاً ورعاً يكره الفخفخة والولائم والتأنق في الملابس وينفق كل ما يصل ليده على الملاجىء والفقراء . وبالنظر لتمسكه الشديد بالواجب ودفاعه عن المظلوم وانتصاره للحق ومحافظته على الاخلاق والفضائل المسيحية اصطدم بالملكة افدوكيا الجائرة التي لم تصغ لنصائحه بل حنقت عليه ودفعت تيوفيلوس بطريرك الاسكندرية الذي كان يحسد يوحنا ويرغب في ان يكون مكانه — لمحاكمته وعزله وابعاده وسعت لدى الامبراطور اركاديوس فامضى صك الابعاد ، فثار الشعب غاضباً وهبّ للدفاع عن راعيه وحال دون تنفيذ الحكم مشتبكاً مع الجند . لكن يوحنا خوفاً من الثورة وحقناً للدماء انسل خفية واسلم نفسه للجند سنة ٤٠٣ فغضب الشعب واخذ ينادي بسقوط الملك والملكة ، وحدثت على الاثر زلزلة في المدينة فخافت الملكة وكتبت الى يوحنا تطلب منه السماح لها والرجوع الى كرسيه ، فابى ذلك قبل ان ينقض حكم مجمع السنديانة عليه ، وهكذا عاد الى كرسيه بعد ان ابطل البابا ايتوشينسيوس حكم المجمع المذكور عليه .

لكن الملكة عادت فسعت الى نفيه ثانية لتوبيخه اياها على تصرفها المخل بالدين والآداب ، فأوعز الملك اليه ان يترك العاصمة ، فودع الشعب الغاضب واسلم نفسه للجند خفية حرصاً على السلام وتلافياً للاصطدام وكان ذلك في ١٠ حزيران سنة ٤٠٤ وأعطيت الاوامر لتعذيبه على الطريق وهو ماش على قدميه تحت اشعة الشمس المحرقة وفي ثنايا الجبال الوعرة حتى دخل الى مدينة كومان

في البنطس وكتب من هناك نحو ١٧ رسالة تفيض بالايمان والتقوى والصبر والحكمة .

ثم انحطت قواه فلم يعد يستطيع المشي فأعاده الجند الى كومان وهناك شعر بدنو اجله فتناول جسد الرب وصلى قائلاً : ليكن الله ممجداً في كل شيء واسلم الروح ليلة عيد رفع الصليب الكريم في ١٤ ايلول سنة ٤٠٧ وله من العمر ثلاث وستون سنة . فدفن هناك وبعد ثلاثين سنة من وفاته نقلت عظامه الى القسطنطينية سنة ٣٤٨ باحتفال مهيب اشترك فيه الامبراطور ثيودوسيوس واخته بلغاريا متضرعين الى القديس يوحنا لكي يغفر لوالديها ويسامحها .

وقد وصل الينا من مؤلفاته الكثيرة ١٤٤٧ مقالة او كتاب و٢٤٩ رسالة ، ومدحه بالتقاريظ والنشائد عشرون معلماً منهم ايسيدوروس البيلوسي ونيلوس والبابا كلستينوس وثيودوريتوس وفوتيوس العظيم الذي يمدحه بقوله : «ان من الامور التي تستحق التعجب والمديح العظيم في هذا القديس المثلث الغبطة هو انه في جميع خطبه ما كان يقصد شيئاً غير منفعة السامعين » .

وبالاجمال ان اكثر تآليفه مقالات ومناشير مطولة ومواعظ مسهبة عقائدية وتعليمية وأدبية وشروح لا تحصى كان يلقيها في كنيستي انطاكية والقسطنطينية ، فصولاً فصولاً ، تزخر بالارشاد والتعليم وتزدان بالمنطق والمعرفة الصحيحة وروعة الاسلوب وهي تفوق مؤلفات جميع المفسرين للكتاب المقدس يضيق المقام الان عن بيانها وتفصيلها ومنها خدمة القداس الالهي المستعمل الان في الكنيستين الارثوذكسية والكاثوليكية . فهو معلم كبير وكنز ثمين ومؤلف مبدع مجيد يرجع اليه المفسرون والخطباء ويحذون حذوه في البيان والتبيين والشرح والتفصيل وفي عنايته برعيته واصدقائه عنايته بنفسه معتبراً أمراضهم الأدبية امراضاً ذاتية وعاملاً على استئصال جذور الخطيئة التي هي سبب شقاء الانسانية وتعاستها .

اضف الى ذلك معرفته النادرة باهواء النفس وكيفية اثارتها ومعالجة نقائصها وتحريضه على الفضائل ، وتنديده بالرذائل بفصاحة أخّاذة ، وبلاغة نادرة ، أثرت في معلمه الوثني الشهير ليبيانوس مدير مدرسة انطاكية وخطيبها المفوه الذي كان يرغب في ان ينوب عنه في رئاسة مدرسته الانطاكية العظيمة .

نعم ان يوحنا كان يتدفق بكتاباته وأقواله كالسيل من فمه العسجدي ، ولذلك دعي بحق ، مجرى الذهب ، او الذهبي اللسان .

عن التمرين الدائم على مطالعة الكتب المقدسة

ان النبي العظيم داود لعلمه بالفائدة الجمة من مطالعته الكتب المقدسة كان دائماً يصغي بكليته اليها ويتلذذ بالحديث عنها . أما هو القائل : طوبى للرجل الذي لم يسلك في مؤامرة الاشرار ، ولم يقف في طريق الخاطئين ولم يجلس في مجلس المستهزئين ، ولكن في ناموس ارادته بل بناموسه يلهج نهاراً وليلاً ، ويكون كغرس مغروس على سواقي المياه يعطي ثمره في حينه وورقه لا يذبل وكل ما يعمل يصلح . (مزمور ١ : ١—٣) فوجود الشجرة على سواقي المياه يعطيها الري الدائم الواقي اياها من تقلبات الطقس فلا تضرها اشعة الشمس المحرقة ولا الهواء الجاف لان الرطوبة الكافية داخلها تلطف لها حرارة الشمس. هكذا النفس الواقفة امام ينابيع الكتابة الالهية تستقي منها الحياة وتنعم بندى الروح القدس أيضاً فلا خوف عليها من تقلبات الحياة المكدرة واذا تعرضت لمرض او لوم او نميمة او قدح او استهزاء او تهاون او صبّت عليها مصائب الدنيا فانها تتغلب على الصعوبات كلها بسهولة وتجد التعزية الكافية في مطالعة الكتب المقدسة. وبالاجمال لا شيء كمطالعة الكتاب المقدس يعزي في الاحزان والشدائد ، لان كل الاشياء فانية ووقتية ، تزول التعزية بزوالها . اما مطالعة الكتب المقدسة فهي محادثة مع الله واذا كان الله تعزيتنا فأي شيء يستطيع ان يوقعنا في اليأس .

فلنطالع الكتابة المقدسة جيداً لا في اثناء الصلاة عند وجودنا في الكنيسة فقط بل عند الرجوع الى البيت لنكون أمينين على انفسنا فليأخذ كل منا التوراة بيده ويفهم ما قيل فيها . هذا اذا اردنا الفائدة الدائمة الكافية من مطالعة الكتب المقدسة . فان الشجرة المغروسة على مجاري المياه لا تتصل بالماء ساعتين او ثلاثاً في النهار بل اتصالها دائم ليلاً ونهاراً . ولذلك تزدان بالاوراق وتعطي الثمار الجيدة في حينها . ان اليد البشرية لم تسقها ، ولكنها تمتص الرطوبة بواسطة جذورها وتوزعها على اعضائها . هكذا الانسان المواظب على مطالعة الكتب المقدسة والواقف عند ينابيعها يحيز لنفسه المنفعة العظيمة ، وان لم يكن لديه من يفسر له الاقوال الالهية لانه يشبه الشجرة التي تمتص الغذاء بواسطة جذورها .

الفائدة من مطالعة الكتب الالهية

التمرين على مطالعة الكتب الالهية هو الميناء الهادي والسور الحصين الذي لا ينهدم ، والبرج غير المتزعزع والمجد الملازم والسلاح الذي لا يغلب والسعادة الخالية من الاكدار ، والنعيم الدائم ومصدر الخيرات التي لا يقدر العقل البشري ان يتصورها . انها تطرد اليأس ، وتحفظ الوداعة ، وتغني الفقير اكثر من الغني ، وتبعد الاغنياء عن الخطأ ، وتجعل الخاطيء صدّيقاً ، وتقود الصدّيق الى المأوى الحصين ، وتستأصل الشر وتزرع الخير حيث لا أثر له وتطرد الحقد والضغينة والحفيظة ، وترد النفس الى الفضيلة وتثبتها وتديمها . بل هي كالطبيب للنفس ، ونشيد الهي سري يميت الشهوات ويستأصل اشواك الخطيئة . انها تنقي الحقل وتزرع البذور الطاهرة وتنضج الاثمار . انها الطيب المنتشر لا بكميته بل بطبيعته . هكذا الكتب الالهية تعطينا المنفعة العظيمة لا بكثرة كلامها بل بالقوة الكائنة فيها . ان الطيب فواح زكي بطبيعته لكن بطرحه في النار تزداد رائحته ذكاء . هكذا الكتابة الالهية فانها جميلة جداً بنفسها ، ولكنها

اذا دخلت اعماق النفس تصبح كالبخور المطروح في المبخرة يملأ البيت بشذاه الذكى .

لا يكفي ان تحفظ الكتابة المقدسة في المجلدات فقط

لم تعط الكتابة المقدسة لنا لنحفظها في المجلدات فقط بل لنكتبها على صفحات قلوبنا . ان حصر الوصايا في الكتابة مختص باليهود والمعجبين بانفسهم . اما نحن فقد اعطيت لنا منذ الابتداء لا في الواح من حجر بل في الواح ذات لحم من القلوب (كورنثوس الثانية ٣ : ٣) . وأنا لا اعترض بقولي هذا على اقتناء الكتب المقدسة ، بل امدحه واطلبه واريده لان معنى الكلام يسري من الكتب الى النفوس واذا تملك جوهر الكتابة في العقل يطهّره . ولان الشيطان لا يجسر على دخول بيت فيه الكتاب المقدس ، فكيف يدخل على النفس المتفهمة معنى الكتابة المقدسة ؟ فلا الشيطان ولا الخطيئة يتجاسران ان يقتربا منها أو يدهماها .

اذاً ، أنر نفسك وجسدك بوجود الكتابة المقدسة على شفتيك وفي قلبك : فكما ان القباحة تدنسنا وتستدعي الشيطان ليؤذينا ، هكذا المطالعة الروحية تنير النفس وتجلب لها نعمة الروح القدس .

المسيح هو مصدر الخيرات كلها

اذا قرأت العبارة الانجيلية الآتية : وكلنا اخذنا من امتلائه ونعمة عوض نعمة (يوحنا ١ : ١٦) فانك تسأل عن معنى هذه الكلمات ، ان يوحنا الانجيلي

يقول : ان عند المسيح هبات غير مستعارة بـــل هو الينبوع نفسه وأساس كل الخيرات والنعم ، هو الحياة الحقيقية والنور الحر المستقل والحقيقة الصادقة هو لا يحتكر في ذاته الخيرات الغزيرة بل تتدفق منه على الجميع ، ومع ذلك فهو لا يزال ملآن منها دائماً . انه لا ينقص البتة بسخائه على الجميع ، انه الواهب النعمة المستمر دائماً على حقيقته . قد ينقص البحر قليلاً ان اخذت نقطة واحدة منه ، لكن هذا النقص لا يلاحظ مطلقاً . أما عن ينبوع المسيح فلا يجوز أن يقال هكذا لانه دائم الفيضان وعديم النقصان .

قوة الصليب

الصليب هدم العداوة بين الله والناس . صنع السلام جعل الارض سمـــاء وجمع الناس مع الملائكة . اباد قوة الموت وحطم قـــدرة الشيطان ولاشى قوة الخطيئة . انقذ الارض من الضلال وجدد الحقيقة وطرد الشياطين ونقض هياكل الاصنام وهـــدم مذابحهم واباد نتانة الذبائح الوثنية وغرس الفضيلة وأسس الكنيسة . الصليب ارادة الاب ومجد الابن ومسرة الروح القدس ومديح بولس القائل: واما من جهتي فحاشا لي ان افتخر الا بصليب ربنا يسوع المسيح (غلاطية ٦ : ١٤) الصليب أوضح من الشمس واكثر لمعانا من الاشعة لانها لمـــا اظلمت اضاء الصليب متلألئاً . حين أظلمت الشمس لم تتلاش بالكلية بل غلبتها انوار الصليب ، الصليب مزق صك الخطيئة وابطل ظلام الموت . الصليب رمز المحبة الالهية لان الله قد احب العالم هكذا حتى انه بذل ابنه الوحيد لئلا يهلك كل من يؤمن بـه بل تكون له الحياة الابدية (يوحنا ٣ : ١٦) وايضاً بولس يقول : لانه ان كانت مصالحتنا مع الله بموت ابنه حين كنا اعداء فاحرى اذ كنا متصالحـين ان نخلص بحياته (رومية ٥ : ١٠) الصليب سور وطيد ، وسلاح لا يقاوم . ركن الاغنياء وثروة الفقراء حامي المظلومين وسلاح المعرضين للهجوم ، رادع للشهوات

وأساس للفضيلة ، اشارة عجيبة مدهشة : فاجاب الرب وقال لهم ان الجيـــل الشرير الفاسق يطلب آية ولا يعطى له آية الا آية يونان النبي (متى ١٢:٢٩) وقد قال بولس ايضاً: لان اليهود يبتغون آية واليونانيين يطلبون الحكمة اما نحن فنبشر بالمسيح مصلوباً وذلك معثرة لليهود وجهالة عند اليونانيين (كورنثوس الاولى ١:٢٢ و٢٣) الصليب فتح ابواب الفردوس وادخل اللص اليه . ادخـل الجنس البشري الى ملكوت السموات بعد ان اشرف على الهـــلاك ، ولم يستحق حتى الارض . لقد كان الكثير بواسطة الصليب وسيكون ايضاً .

من يقدر ان يسمى مؤمنا

ليس المؤمن من يؤمن بكل شيء ، بل المؤمن من يؤمن بالله فقط ، وحينئـــذ يدعى مؤمناً . اترك البحث ، واعتنق الايمان . الايمان نور منير للجميع. الايمان يؤهل الانسان ، ويجعله مستحقاً للروح القدس . ان استفانوس قـــد امتلأ من الايمان وعمل عجائب وآيات كثيرة في الشعب (اعمال ٦:٧) لو لم يكن الايمان ساطعاً قديماً لما فعلت القوة في هذا الرجل القديس . فحيث الايمان هناك القوة . وحيث عدم الايمان هناك الضعف . الايمان اساس النعم . الايمان منهل الخيرات فأقبل على هذا السلاح الخلاصي !

ما هي القوة التي تحصل من الاتكال على الله

انها لعظيمة قوة الاتكال على الله . انها سور منيع ، وجدار لا يهدم، وعون لا يغلب ، ومينا هادي ، وحصن ثابت ، وسلاح لا يصد ، وقوة لا تحـارب . هي تشق الطريق لنفسها في الاماكن الوعرة المسالك ، وبهـا ينتصر العزل من

السلاح على الكماة المدججين به . بها تغلب النساء الرجال ، وبها يظهر الاولاد حذاقتهم في الحرب ، وتندحر أمامهم بسهولة الجنود المدربة ، فهل يستغرب بانهم انتصروا بها على اعدائهم في كل مكان ؟ ان العناصر تنسى طبيعتها أمامهم وتتحول الى منفعتهم . والوحوش لا تكون وحوشاً ، ولا النار ناراً ، لان الاتكال على الله يصلح الجميع . فالسنان الحادة ، والسجون الضيقة ، والشراسة الطبيعية ، والجوع المميت ، وافواه الوحوش الموجهة الى جسد النبي ، كل هذا لم يكن حاجزاً لهم ، لان قوة الاتكال على الله اقوى من كل أزمة وشدة ، فهي التي تسد أفواه الوحوش وترجعها الى الوراء .

ان داود النبي مرنم المزامير كان عالماً بقوة اتكاله على الله لما قال للذين اشاروا عليه بالابتعاد والهرب الى الاماكن الامينة ليجد فيها الخلاص : لماذا تقولون لي هذا وأنا على الله اتكل ؟ ماذا أقول انا ؟ ملك المسكونة هو عوني ، هو الذي يفعل ما يشاء دائماً بسهولة ، هو قائدي وناصري ! أما انت فتوجهني الى الأماكن المقفرة ، وتنصحني ان أفتش عن المأوى الامين فيها . لماذا تجبرني على الهرب كمن لا سلاح له ، وأنا مسلح بأكمل عدة ؟ . أنت لا تشير بالهرب الى البرية على المعدّة جيوشه للحرب ، والمحاط بالاسوار المنيعة ، وعنده العتاد الكثير . فلو قلت له ذلك لكان قولك مضحكاً ! فلم تشير علي أنا الذي معي ملك الكل ان أفزع الى الجبال وأهرب من أمام الخطأة ؟ ثم اذا كان الله يساعد الخطأة الساقطين ولا يعرض للهلاك النهائي من يشبه الطيور الوجلة الضعيفة ، فهل يتركني أنا المتكل عليه ؟ واذا كان عدوّ الملك الارضي معرضاً للخطر دائماً ، ويرتعد ويخاف أينما ذهب ، فكم بالحري عدوّ الله الذي يعاديه الجميع حتى الطبيعة نفسها تكون من اعدائه ، واذا كانت العناصر والوحوش والمخلوقات تهاب أصدقاء الله فالطبيعة الجامدة أيضاً تتسلح وتثور ضد اعداء الله ومعانديه !

المحبة

المحبة هي أصل وينبوع وأمّ لكل شيء صالح . انها في الحقيقة كالشجرة التي تتفرع منها أغصان الفضيلة الكثيرة . وكالينبوع الذي تتدفق منه الجداول العديدة المترقرقة ، وكالأم التي تضم الى صدرها كل الملتجئين اليها . ولذلك أسماها بولس الطوباوي ثمرة الروح القدس وخصها في محل آخر بمزية عالية قائلا انها تكمل الناموس . لان كمال الناموس هو الحب (رومية ١٣ : ١٠) وان الله الكل قدم لنا المحبة لانه جعلها الشعار الواضح والامتياز الحقيقي لتلاميذه اذ قال : ان المحبة تسود تلاميذي .

الرحمة

ان قوة الرحمة خالدة عديمة الفساد لا تهلك مطلقا ، كل الاعمال زائلة ، أما ثمرة الرحمة فلا تزول نضارتها ، ولا تؤثر فيها تقلبات الزمان . ان جسم الانسان يفنى ، أما الرحمة فلا تهلك مع موت الجسد بل تذهب لتعد له المأوى الذي أشار اليه المسيح : في بيت أبي منازل كثيرة (يوحنا ١٤ : ٢) فهي تفوق البشرية بثباتها وعدم تغيرها ولا تنتابها الضيقات كالأشياء الاعتيادية . لنأخذ الجمال على سبيل المثال ، فانه يذبل من المرض ويزول تماماً في الشيخوخة . ولننظر الى السلطة فانها لا تدوم او الى الغنى أو أي شيء آخر مجيد ومشهور في هذا العالم فهذه الاشياء كلها تفارق الناس في حياتهم أو مماتهم ، وتتركهم عارين من كل شيء . أما ثمرة الرحمة فليست هكذا فلا الأيام تمحوها ، ولا الموت يهدمها ، بل تكون في مأمن حتى وصولها الى الحياة الهادئة .

على اي شيء يتوقف الغنى الحقيقي

ما أجمل الغنى اذا اقترن بالاعمال الصالحة ! فمتى يكون الغنى جميلاً ؟

يكون جميلاً حين يجلب المسرة للفقر ، ويخفف شدة الحاجة ووطأتها ؟

فاسمع ما يقول ايوب : كنت عيوناً للعمي ، وأرجلاً للعرج ، وأبا للمحتاجين (ايوب ٢٩:١٥) هذا هو الغنى الحقيقي لم يكن خطيئة له بل حباً للفقراء . فما من غريب يبيت في السوق وقد فتحت للمسافر أبوابي (ايوب ٣١:٣٢) . هكذا فليكن الغنى ليس اسمياً بل حقيقياً . ان الغنى الاسمي هو عبد للغنى الحقيقي ، هو غنى الفضائل وغنى الصدقة والاحسان . وها أنا أوضح ذلك كيف يكون. يوجد غنى يختلس ما هو لغيره ، وغنى يعطي ما له للفقراء . الأول يجمع لتزداد ثروته ، والثاني يبذل منها ، الاول يزرع الارض ، والثاني يحرث السماء . أليس السماء أفضل من الأرض ؟ فكم جدّ الاول أدنى من جد الثاني ، هـــذا اكتسب بعمله محبة الجميع ، وذاك ينتقد الكل باعماله . لا شيء في هذا يستوجب العجب. ان الشرس الطماع لا يبغض ممن أهانهم بل ممن لم يصبهم شره ولكنهم يتوجعون لاخوتهم . أما المحسن فانه محبوب من الجميع ليس من الذين نالهم احسانه فحسب بل من الذين لم ينالوا شيئاً منه . أجل يا اخوتي ، ان الفضيلة احسن من العيب ! العيب يجعل للانسان اعداء ولو لم يصبهم أذى منه . اما الرحمة فتجلب للانسان أيضاً محبة الذين لم يحسن اليهم ، كل يقول عن المحسن ليكافئه الله ! لم يحسن اليّ بل ولقريبي ، فان هذا الاحسان أحسبه لنفسي ايضاً . فمن هنا نرى الاحسان مرغوباً محبوباً وجميلاً . الانسان المحسن هو ملجأ عمومي هو أب للجميع وعكاز للعاجزين . ان وقع المحسن في شدة نشاهد الكل مصلين لاجله قائلين : ارحمه يا الله واحفظه وأنعم عليه بالخيرات . ولكن قف قليلاً عند بيت المسيء فتسمع ما يقولون عنه : رديء هو محتال ملحد ، مع انه لم يسىء اليهم بشيء بـــل

لغيرهم . فالشكايات كثيرة منه دائماً ، وان سقط تر الجميع حاملين عليه . فهل هذه هي الحياة ؟ وهل هذا هو الغنى !

الصدق والكـذب

لا شيء يمكن ان يكون بهياً وقوياً كالصدق . كذلك لا شيء أضعف من الكذب ولو تستر بالاغشية الكثيرة ، فسرعان ما يعرف ويدحض . اما الصدق فانه بيّن ظاهر يقدم نفسه لكل من يرغب في رؤية جماله. الصدق لا يحب التستر ، ولا يخشى الخطر ، ولا يخاف النميمة ، ولا يسعى وراء المجـد البشري ، ولا يتعرض للاشياء العالمية فانه أسمى من كل هذا ، هو معرض الى النائم الكثيرة ، ولكنه يبقى ثابتاً كالسور الحصين ، حافظاً اللاجئين اليه بقوته العظيمة وكارهاً المآوي المتسترة ومقدماً ما لديه جهاراً .

ما تعني الكلمات الالهية بلفظة انسان

لو فكرت بهذا اللقب العام لجنسنا لكان لك درس مفيد يرشدك الى عمـل الاحسان . فنحن لا نحدد كلمة انسان تحديداً خارجياً كالوثنيين بل كما تحددها الكتابة الالهية . ليس الانسان من له يدان ورجلان وعقل ايضاً بل هو الذي يتردد الى أماكن العبادة الحسنة بشوق وحمية ويسرع الى عمل الاحسان ايضاً . فاسمع ما تقول الكتابة الالهية عن ايوب : كان رجل في ارض عوص اسمه ايوب وكان هذا كاملاً ومستقيماً يتقي الله ويجانب الشر (ايوب ١:١) لم تصف الكتابة الالهية ايوب وصفاً خارجياً لم تقل كان له رجلان واظافر عريضة بـل حددت صفات حسن العبادة ولفظة انسان بما قالته آنفاً . وفي محـل آخر تقول : اتق

الله واحفظ وصاياه . لان هذا هو الانسان كله (جامعة ١٢ : ١٣) فاذا كانت كلمة انسان تحفز الى عمل الاحسان والفضيلة ، فكم بالحري كلمة مؤمن . انك تدعى مؤمناً ، لانك تؤمن بان الله يحميك ويقدسك ويطهر نفسك ويتبناك ويورثك الملكوت السماوي انه يقدم لك هذه النعم كلها ويأتمنك عليها . أما انت فتقدم له اشياء اخرى هي الاحسان والصلاة والعفاف والطهارة وبقية الفضائل .

أما عن الاحسان فيقول كل من يسقي احد هؤلاء الصغار كأس ماء بارد فقط لن يضيع أجره (متى ١٠ : ٤٢) فهذا لا يذهب سدى لانه يحفظ لك الى ذلك اليوم فيعطيك اياه مع الربح العظيم . العجيب انه لا يحفظ ما أودع اليه فقط بل يضاعفه مرات . ولهذا أمرك ان تفعل بما اعطاكه وأودعه اليك حسب اقتدارك . فضاعف طهارتك واجعل صلاحك لامعاً بواسطة المعمودية ، واظهر حقيقة هذه العطية باكمل بهاء !

ما هو المجد الذي يشرف الانسان في العالم المنظور

لقد أوضح النبي داود بايجاز النعم الجمة المعطاة من الله للجنس البشري فقال : الانسان في مجد لا يدركه . ويقول ايضاً في مكان آخر : أنقصته عن الملائكة قليلاً وكللته بالمجد والكرامة تكليلاً . ويفسر هذا بقوله ايضاً : وعلى اعمال يديك سلطته ، وكلا جعلت تحت قدميه : الغنم والبقر كلها وبهائم البر أيضاً وطير السماء وحيتان البحر السالكة مسالك البحار (مزمور ٨ : ٦ — ٩) فحقاً ان هذا لمجد عظيم ان يسلطه على كل شيء في العالم المنظور ، وهو لم يفعل شيئاً صالحاً . فقبل ان يخلقه قال سبحانه وتعالى : لنصنعنّ انساناً على صورتنا ومثالنا وشرح هذا بقوله : وليتسلطوا على سمك البحر وعلى طير السماوات وعلى البهائم والارض باسرها (تكوين ١ ٢٦) .

هذا المخلوق الصغير الذي لا يتجاوز الثلاثة اذرع الضعيفة القوة بالنسبة الى الحيوانات الضخمة غير الناطقة قد فوّقه على سائر المخلوقات ووهبه نفساً مدركة تمثل مجد الانسان العظيم ، لأنه بادراكه شاد المدن وقطع البحار وحرث الارض واخترع الصناعات والفنون الكثيرة وتسلط على الوحوش الكاسرة . وأهم من هـــذا واعظم انه عرف الرب خالقه ، واندفع الى الفضيلة ، وعرف الخير من الشر . وهو الوحيد بين المخلوقات المنظورة الذي يصلي لله ، وقد استحق ايضاً الرؤيا الكشف ، وعـــرف الغامضات وتعلم السماويات . لاجله الارض والسماء والشمس والنجوم والقمر واختلاف فصول السنة وتقلبات الجو وثمـار الاشجار والنباتات واشياء كثيرة غيرها تسبب له راحة المعيشة . لاجله خلق النهـــار والليل وارسلت الرسل والانبياء وأحياناً كثيرة الملائكة . فهـل من الضروري ان نعدد كل ما خلق لاجله ؟ ان ذلك لا يقدّر ولا يحصى ثم من اجله تجسد الابن الوحيد وصار انساناً وصلب ودفن وقام . كم من العلامات المخيفة صنعت لاجله ؟ الناموس والفردوس لاجله والطوفان ايضاً. الحق ان هذا يمجد الانسان. وكل ما فعله الله تعالى قديماً كان لخيره . حتى ان الدينونة الرهيبـة الاتية تكون لتمجيده . ولهذا يقول ايوب : فعلى مثل هذا فتحت عينيك واياي احضرت الى التحاكم معك (ايوب ١٤ :٣) ومثل ذلك يقول داود : ما الانسان حتى تذكره وابن آدم حتى تفتقده (مز ٨ :٤) لاجله سيأتي الابن الوحيد ثانية بنعم لا تحصى لانه حتى الان لم يعطنا سوى النعم . انه سلمنا سر المعمودية واسراراً أخرى وملأ الارض بعجائب مختلفة ، ووعد أن يهبنا الملكوت السماوي والحياة الابدية لكي نصـير ورثة له ونملك معه . ولذلك قال بولس : ان كنا نصبر فسنملك ايضاً معـــه (تيموثيوس الثانية ٢ : ١٢) ولهـــذا يشبه النبي ، بالحيوانات الناطقة ، من استسلموا للشهوات الجسدية وسقطوا في هوة الخطيئة . وهكذا فعـــل الانبياء الاخرون ليحركوا بمثل هذا التشبيه عـــاطفة الخجل في السامعين الوقحين . فالواحد يقول : ولما أشبعتهم زنوا وتجمعوا في بيت الزانية وكانوا كخيل معلوفة

في الصباح كل يصهل على امرأة جاره (ارميا ٥:٨) والاخر يقول : الثور عرف قانيه والحمار معلف مولاه واسرائيل لم يعرفني (اشعيا ١:٣) وهـذا أقوى من قول داود الذي يشبه الانسان بالحيوان الذي لا عقل له . فهو يرى أن الحيوان أعقل منه لانه يعرف قانيه خلافاً لاسرائيل .

لماذا يسمح الله ان يجرب الانسان بالمصائب .

كما يطرح الصائغ الذهب في الموقد ويتركه يذوب في النار حتى يرى انه صار نقياً ، هكذا تمـاماً يسمح الله ان تجرب نفوس الناس بالمصائب حتى يصبحوا انقياء لامعين ويحصلوا على فائدة عظيمة من التجربة . واذا كان الصائغ يعلم جيداً كم من الوقت يلزم لبقاء الذهب في الموقد ، ومتى يجب اخراجه منهـا حتى لا يتلف ويحترق في النار ، فـكم بالحري معرفة الله تعالى ، فانه حين يرى نقاوتنا ينقذنا من التجربة حتى اذا ما اشتدت لا نعثر ولا نسقط . فلا نتذمر ولا نجبن اذا أصابنا شيء ما بغتة ، بل فلنترك ذلك للعالم الديان ، وهو يمتحن نفوسنا متى شاء ، وانما يفعل هذا لمنفعة المجربين وخيرهم . فما يحدث للذهب اذا أدخـل في النار مراراً ، هو نفسه يحدث للنفوس الذهبية بفعل التجربة . ان مادة الذهب المطروحة في النـار تتنقى اكثر من الاول بتأثير النار ، هكذا ذوو النفوس الذهبية يجتـازون اتون المصائب المتواصلة ويصبحون اشد لمعاناً من الذهب وأثمن منه .

سبيل الفضيلة في هذه الحياة

ليس غريباً ولا جـديداً اذا قلنا ان السالك الطريق الضيقة الصعبة يتجشم

المشقة ، لان طريق الفضيلة بطبيعتها مليئة بالتعب والجهد والمكايد والاخطار ، ولكن عاقبتها الاكاليل والجوائز والنعم التي لا توصف ولا نهاية لها . اذن عزّ نفسك بهذا ، فان السراء والضراء تزولان مع الحياة الحاضرة وتنتهيان ، ولا تفتخر بالمسرات ، ولا تحزن وتضعف أمام الشدائد والاحزان؛ فالرّبان الماهر لا يغفل عندما يكون البحر هادئاً ، ولا يضطرب عند هبوب العاصفة . اعلم هذا جيداً ، فتجد لنفسك التعزية والثبات !

لماذا يعاقب الله في هذه الحياة بالجرم نفسه اناسا دون اناس

قد يتبادر الى الذهن حالاً هذا السؤال : لماذا يعاقب الله بعضاً هنا وآخرين هناك ، وليس كلهم معاً في هذه الحياة ؟ أالجواب لو قاصص الله الجميع لهلكنا جميعاً لأننا كلنا تحت المحاكمة . ومن جهة أخرى اذا لم يعاقب احداً هنا يمسي الكثيرون اكثر اهمالاً ، وينكرون العناية الالهية . ومع ذلك فبعضهم يجدفون ، وهم يرون بعيونهم عقاب الكثيرين من الخطأة . فماذا يقولون لو لم يكن هذا أيضاً . لذلك يعاقب الله بعضاً في هذه الحياة ويهمل بعضا . انه يقتصّ منهم ليضع حداً لخطاياهم ويخفف قصاصهم في الاخرة او يخلصهم بالكلية . وليعتبر المتمرغون في أوحال الخطيئة ويكفّوا عن شرهم ويرجعوا الى ربهم . وبالعكس يطيل أناته على بعض ولا يقتص منهم لينتبهوا الى أنفسهم ويرجعوا اليه تائبين مخجولين من طول اناته وشفقته وهكذا يتخلصون من القصاص في هذه الحياة ومن العذاب الاتي . ولكن ، ان داوموا على الخطيئة ولم يستفيدوا من نعم الله ورحمته يعرّضوا أنفسهم الى القصاص العظيم لاهمالهم وعدم اكتراثهم . ورب معترض يقول: ان المعاقبين قد ظلموا في هذه الحياة لان لديهم وقتاً لاجل التوبة .

فنجيب عن هذا : لو رأى الله توبتهم لما قاصصهم. ان الله طويل الأناة على الخطأة المتمرّدين ، فكم بالحري على الذين يستفيدون من التوبة ! ومن طول أناته انه لو عرف ذلك منهم لصبر عليهم ومدّد لهم الوقت لأجل التوبة ، أما الآن فيقتص منهم في هذه الحياة ليخفف عنهم عقاب الآتي ويتعظ بهم الآخرون . ولكن ، لماذا لم يفعل ذلك مع الخطأة جميعاً ؟ لم يفعل ذلك ، لكي يرتعد ويخاف الباقون في قيد الحياة حينما يشاهدون قصاص غيرهم وطول أناة الله ويخجلوا من وداعته ويطرحوا عنهم الفساد . واذا قلت انهم لا يرعوون ولا يتعظون ، فاعلم ان هذا ليس من الله بل من الحادهم وعدم اكتراثهم لانهم لا يريـــدون ان يستفيدوا من الوسائل المذكورة لاجل خلاصهم . ولكي تؤمن وتتأكد ان الله يجري هـــذا لاجل هؤلاء انتبه الى الآتي : لقد خلط مرة بيلاطس دماء الجليليين بذبائحهم فاتى قوم واخبروا المسيح بذلك ، فاجابهم قائلاً : أتظنون ان هؤلاء الجليليين كانوا خاطئين اكثر من الجليليين لأنهم كابدوا مثل هذا ، أقول لكم لا بـل انتم ان لم تتوبوا تهلكوا كلكم كذلك (لوقا ١٣ : ٢ و٣) ومرة أخرى هلك ثمانية عشر تحت الردم لما سقط البرج عليهم بجانب سلوام .

وبكلامـــه اذا لم تتوبوا تهلكون يشير الى الذين يتألمون تحت الردم ليتعظ الذين في قيد الحيـــاة بهم ويتوبوا حتى يرثوا ملكـــوت السموات . ماذا تقول ؟ ايعاقب واحد لاجل اصلاحي ؟ كلا ليس لاجلك يقع تحت القصاص بل لاجل خطيئة ! وقد يكون سبباً لخلاص الذين ينتبهون لأنفسهم فيخافون من الواقع ويصبحون محبين للخير .

هكذا يفعل سيد البيت مقتصاً مراراً من عبد واحـــد ليخاف الباقون ويتعظوا به . ولذلك اذا رأيت بعضاً يهلكون في البحار حين تغرق سفينتهم ، أو تحت الردم ، أو في الحريق ، أو في النهر ، أو بطريقة أخرى بينما غيرهم ، نظيرهم ، وربما كانوا اكثر خطأ ، لم يحصل لهم شيء مما ذكر ، لا تضطرب ولا تقل لماذا يتألم هؤلاء ايضاً مع ان الخطيئة واحدة . بـل فكر جيداً بان الله اذا

سمح لاحد ان يقتل او يخنق يخفف بهذا عذابه الآتي أو ينجيه منه بالكلية ، ولم يعرض الآخر لشيء مما ذكر ، ليعتبر من قصاص الأول وتتحسن أخلاقه . فان داومت الخطيئة تهيء لنفسك العذاب الشديد باهمالك المتواصل ، ولا ذنب لله في عذابك الاليم. واذا رأينا الصديق حزيناً ومتحملاً التجربة ، فلا تضعف نفوسنا ، لان تعاسته تهيء له الاكليل اللامع . وبالاجمال ، ان وقع القصاص على الخاطيء يخفف ثقل خطاياه . أما الصديق فيبتهج بالروح ، وكلاهما : أي الاول والثاني ، يستفيدان من الحزن كثيراً ، اذا قبلاه بالشكر ، وهذا هو المطلوب .

سنجازى عن كل ما نفعله في هذه الحياة

لا يطرأ على أفكارنا ان كل ما نفعله ينتهي بحياتنا الحاضرة بل يجب ان نؤمن بان الدينونة لا بد منها ، وان كل انسان سيجازى على حسب أفعاله ، والا فلماذا بسط الله السموات العظيمة بهذا المقدار ومدّ الارض وأوسع البحر وملأ كل شيء بالهواء وأظهر المهن المختلفة . لماذا هذا كله لو لم يشأ الاهتمام بنا حتى النهاية ؟ أنظرت الى الصديقين كم تحملوا من المصائب والعذابات ، ثم قضوا قبل ان ينالوا شيئاً حسناً ، خلافاً للاخرين الذين طفحت حياتهم بالفساد ، والمعتدين على غيرهم ، والمضايقين الأرامل والأيتام ، والمتلذذين بالثروة والغنى والزخرف وكل ملذات العيش ، ومع ذلك فقد مضوا ولم ينلهم أدنى ضرر . ولكن ، كما ينال الاولون الجائزة عن فضيلتهم ينال الآخرون ايضاً جزاء فسادهم عند انتهاء حياتنا في هذا العالم ، لان الله موجود وعادل وسيجازي كل واحد بما يستحق ، وان كان في هذه الحياة لا يعاقب الفريق الاول على خطاياه ولا يجازي الثاني على فضيلته ، فهذا دليل على انه سيأتي وقت ينال فيه كل ما يستحق . ولذلك جعل الله في نفس كل منا حاكماً يقظاً لا يغفل ولا ينام عن شيء الا وهو الضمير . اجل لا يوجد بين البشر حاكم كالضمير .

ان حكام البشر يرتشون ويلينون بالتمليق ويغضون النظر من الخوف ويحابون ويميلون عن الحق لاشياء كثيرة . اما الضمير فلا يؤثر فيه شيء مما ذكر ولا يرتشي ولا يؤثر فيه التمليق والتهديد والوعيد فانه ينطق بالحكم العادل ويحاكم نفسه دائماً مدى الحياة ولا ينسى ما حدث مع مرور الزمن ويبكتنا عن النميمة وعمل الشر .

حالة الانسان الخاطىء في الحياة الحاضرة

كما اننا في الظلام لا نميز الاشياء عن بعضها ، أخشب هي أم رصاص ام حديد ام فضة ام ذهب ام حجارة كريمة لعدم وجود النور الكافي لدينا ، هكذا الانسان السالك في طريق الشر ، لا يدرك صلاح العفة ، ولا جمال الحكمة ، بل يعيش في خوف دائم ، ويشبه السالك في الظلام الحالك . وكذلك السالكون طريق الشر ، فانهم في خوف دائم من فسادهم ، لشعورهم بوخز ضميرهم وتبكيته ، ولذلك يخافون كل شيء ، ويرتعدون لأقل حادث . فلنبتعد عن مثل هذه الحياة المليئة بالهواجس والآلام التي يعقبها العذاب والموت الابدي .

يجب ان نفعل كل شيء لمجد الله

كما ان البنائين في اقامتهم الجدران والابنية يستعملون الفادن ليكون الجدار عمودياً والابنية العظيمة مستقيمة وبلا اعوجاج ، هكذا نحن في حياتنا لنستعمل عوض الفادن الآية الآتية : فاذا اكلتم اذاً او شربتم أو مهما فعلتم فافعلوا كل شيء لمجد الله (كورنثوس الاولى ١٠ : ٣١) نصلي او نصوم ، نتهم أو نسامح ، نمدح او نذم ، ندخل او نخرج ، نبيع او نشتري ، نتكلم او نصمت او مهما فعلنا ،

فليكن كل شيء لمجد الله . أما ما ليس لمجده تعالى فلا نفعله ولا نقله البتة . ولتكن لنا الآية المذكورة عوضاً عن العصا والسلاح والترس ، وبدلاً من الكنوز الكثيرة ، وألا نعمل شيئاً او نسرع فيه الا لمجد الله . وحينئذ نحصل منه تعالى على المجد في هذه الحياة وفي الآتية أيضاً .

يجب ان نتمسك بحسن العبادة اكثر من كل شيء

لنوطد نفوسنا بحسن العبادة فنصير أسعد من الجميع ، ان مرضنا او خسرنا ثروتنا أو فاجأنا موت ، كل هذا هين ان لم يسلبنا احد حسن عبادتنا . لقد علمنا المسيح قائلاً : كونوا حازمين كالحيات (متى ١٠ : ١٦) فكما ان الحية مستعدة ان تضحي بجسدها كله لتنجي رأسها ، هكذا أنت لا تيأس اذا اضطررت الى فقد ثروتك او جسدك او حياتك او جميع ما لديك لتحافظ على حسن عبادتك فقط . فاذا تركت الحياة الحاضرة محافظاً على حسن عبادتك ، فالله يرد لك ما فقدته كله . ويقيم جسدك من الموت بمجد عظيم ويعطيك بدلاً من الثروة خيرات لا تعبر ولا توصف . أما جلس ايوب عريان ابرص يقضي حياة أمرّ من الموت ؟ فبما انه لم يترك حسن العبادة نال أضعاف ما فقده وهو الصحة وجمال الجسد والاولاد والمقتنيات ، واهم من هذا كله حصل على اكليل الصبر اللامع . وكما ان الشجرة التي يقطف ثمرها وتقطع غصونها وتبقى جذورها فقط تعود فتفرع ثانية وتصير اكثر نضارة من ذي قبل هكذا الشيء نفسه يحدث معنا اذا حافظنا على جذور حسن العبادة . فاذا فقدنا ثروتنا او تغير جسدنا فان ذلك كله يرد لنا اضعافاً .

عن مراعاة الرزانة العظيمة مدى الحياة

اعلم انك تتخطى بين الفخاخ وتتمشى على متارس المدن (سيراخ ٩ : ٢٠)

عظيمة هي الحكمة السامية التي تحتويها هذه العبارة فليكتبها كل منـــا في عقله وليحفظها جيداً في ذاكرته حتى لا نتسرع في فعل الخطيئة ولا نكتفي بكتابتها فحسب بل يجب ان نفهم معناها جيداً . لم تقل : انظر انك تتخطى بل قالت اعلم ! فالفخ يعني هنا الموت ، لأن الموت لا ياتي ظاهراً منظوراً ، بـــل خفياً مستوراً من كل ناحيـــة . لذلك يقول اعلم ! اذن تتوجب علينا الرزانة الكلية والاحتراس الدقيق. فكما ان الاولاد يسترون الفخ بالارض هكذا يستر الشيطان الخطايا بالملذات العالمية . فاعلم : أي دقق باتقان وتبصر في الامور ! فـان رأيت ربحاً انظر وافحص ، فقد تكون الخطيئة والموت مستورة تحت هذا الربح ، فان تأكدت ذلك فاهرب منه بعيداً . وان فاجأتك الملذات والمسرات فلا تنظر الى الفرح فقط بل تبصّر في الامر لئلا يكون في الباطن اشياء غير مشروعة فان كان هكذا فابتعد عنها . واذا تقدم احد منا بمشورة اومديح او خدمة او وعد بمجد او ما شاكل ذلك فيجب ان تدرس هذا جيداً ، فقد يكون هناك ضرر او خطر فلا تتسرع في الامر بدون تروّ ! لو كان فخّ واحـد او اثنان فقط لسهل علينا التخلص منهما . ولكن انتبه لما يقوله النبي عن كثرتها : اعلم انك تتخطى بين الفخاخ — لم يقل بقربها تمشي بل تتخطى ، فمن كل جهـــة تحيط بنا الهوة والمكيدة ، فان خرج واحد الى الساحة العامة وشاهد عدواً ،فبمجردالنظر اليه تشتعل فيه نار البغض ، وان رأى صـديقاً له مثرياً يحسده ، أو رأى مسكيناً يحتقره ، أو امرأة جميلة فيفتن بها . فانظر ايهـا العزيز ما اكثر الفخاخ ! لذلك قال الحكيم : اعلم انك تتخطى بين الفخاخ : في البيت فخ ، وعلى المـائدة فخ ، وفي المجتمع فخاخ . وقد يحدث غالباً ان فتى يقول كلمة ثقة باصدقائـه فتكون النتيجة سيئة ، تستهلك اليوم كله .

اذن يجب علينا ان نضاعف الانتباه في كل شيء . فكثيراً ما تكون الزوجة فخاً للرجل المتغافل ، والاولاد كذلك واحياناً الاصدقاء والجيران . ورب سائل يقول لماذا هذه الفخاخ ؟ فنجيبه لكي لا نهوي الى الوادي بل نرتفع الى القمة .

فانه ليس بالهين ان يصاد الطائر وهو محلق في الجو . هكذا انت لا يسهل وقوعك في الفخ او احدى المكايد ما دامت افكارك سامية متجهة الى العلاء . ان الشيطان صياد ماهر فكن أعلى من سهامه . من يرتقي الى العلاء لا يستغرب الاشياء العالمية . فاذا صعدنا الى ذرى الجبال نرى المدينة واسوارها صغيرة ، ونرى الناس الماشين على وجه البسيطة كالنمل . وهكذا انت ان سموت بافكارك الى الحكمة فلا شيء على الارض يقدر ان يتغلب عليك ، واذا نظرت الى الارض ترى كل شيء صغيراً — الغنى والمجد والعظمة والشرف وما شابه ذلك كما رأى بولس الرسول كل شيء صغيراً كالجيف لا نفع منه ، ولذلك قال : صلب العالم لي (غلاطية ١٦:١٤) وقد خاطبنا بالكلمات نفسها اذ قال : افطنوا لما هو فوق لا لما هو على الارض (كولوسي ٣:٢) لما هو فوق . فهل يعني بكلمة فوق العلاء حيث الشمس والقمر ؟ كلا ! ليس هناك . اذاً اين ؟ أحيث الملائكة ورؤساء الملائكة والشاروبيم والساروفيم ؟ كلا ! ليس هناك . اذاً اين ؟ فابتغوا ما هو فوق حيث المسيح جالس عن يمين الله (كولوسي ٣:١) لذلك وجبت الطاعة علينا ولنفكر دائماً ان الطائر اذا وقع في الفخ لا تنفعه الجناح وعبثاً يرفرف بها. هكذا انت لا فائدة لك من العقل اذا وقعت تحت حكم الشهوات الرديئة لانك في الاسر مهما خبطت . فالجناحان للطائر لتحفظاه من السقوط في الفخ ، والعقل للانسان لينقذه من الخطيئة . فماعذرنا ، وبماذا نزكي انفسنا ، اذا كنا احمق من الحيوان غير الناطق ؟ ان الطائر اذا وقع في الفخ وتمكن من الخلاص ، وكذلك الايل اذا وقع في الشبكة ونجا منها ، ليس بالسهل وقوعها ثانية ، لان التجربة تعلمها الاحتراس والانتباه .

اما نحن فنسقط في الخطيئة ثم نعود اليها ثانية . فلم نحن العقلاء لا نتعلم من الحيوان الاحتراس ؟ لذلك اذا عرفنا الفخ فلنبتعد عنه . واذا رأينا المنحدر فلا نقترب منه ! فاذا ابتعدنا عن الخطيئة ، وما شابهها حينئذ نسلم من الخطر تماماً .

لا تدخل الى نفسك كل كلمة تسمعها

كما ان البائع يميز العملة الزائفة من الصحيحة ، فيرفض الاولى ويقبل الثانية ، هكذا يجب ان تفعل انت ايضاً فابعد عنك كل كلمة رديئة وادخل الكلمة الصحيحة الخلاصية الى اعماق قلبك . ان لديك اوزاناً ومقاييس ليست مصنوعة من النحاس والحديد بل من الطهارة والايمان ، فبمساعدتها افحص كل كلمة تسمعها !

ما الذي يتعلق بنا وما الذي يتعلق بالله لاجل الخلاص

ان ما يتعلق بارادتنا هو انتخاب الافضل وقوة الارادة والثبات والجد والاقدام على اي عمل كان . واما قيادة ما نريده الى النهاية وعدم السقوط والحصول على النجاح في الاعمال ، فهذا كله يتعلق بالنعمة المعطاة لنا من فوق .

يجب ان نصلي بلا انقطاع

كل ما لا نقدر ان نحصل عليه بقوتنا الطبيعية نحصل عليه بواسطة الصلوات الدائمة . فيجب ان نصلي دائماً في الحزن والسرور ، في التعاسة والسعادة . في السرور والسعادة حتى يدوما لنا بلا انقطاع ولا تغيير . وفي الحزن والتعاسة حتى يبدلهما الله باحسن ويعطينا الصبر والتعزية . اترى راحة ؟ اطلب من الله ان يثبتها لك ! اتشعر بالعاصفة ؟ صل الى الله بحرارة لكي يجدد لك السكون والهدوء بعدها ! فان استجاب الله دعاك قدم له الشكر لاستجابته دعاءك ، وان لم يستجب فاصبر لتنال الاجابة عمّا تطلبه !

في اي مكان او زمان يجوز ان نلتجىء الى الصلاة

ان الله تعالى لا يطلب من المصلي جمال الكلام ولا زخرفه بل يطلب جمال النفس . فان نطقت بما يرضي الله تحصل على ماطلبت . اترى ما هي السهولة هنا ؟ اذا اراد احد ما ان يقابل كبيراً من الناس فيجب عليه ان يكون طلق اللسان قادراً ان يساير حاشية الرئيس متذرعاً بجميع ما لديه ليقبلوه . اما هنا فلا حاجة بنا الى شيء سوى نشاط النفس لانه لا شيء يحجزنا عن التقرب منه تعالى : العلي اله عن قرب ولست الهاً عن بعد يقول الرب (ارميا٢٣:٢٣) اذن ! بعدنا عن الله متوقف علينا لانه هو دائماً قريب منا . ولا حاجة هنا الى طلاقة اللسان ، ولا الى الصوت لانك اذا دعوته في قلبك كما يجب يسمعك عاجلاً كما سمع موسى وحنة (خروج ١٤:١٥ والملوك الاول ١:١٣) فليس لديه جنود تطرد القادمين اليه ولا حاجب يؤجل الوقت قائلاً ليس الان وقت الدخول او لا يجوز او تعال في وقت آخر ! انه في اي وقت جئته مستعد ان يسمع كلامك ان في وقت الغذاء او العشاء او في نصف الليل او في الساحة او في الطريق او في المجمع او امام الرئيس او في المحكمة ؛فلا شيء يمنعه ان يسمع طلبك ، ان دعوته كما يجب .

فلا يجوز ان تقول انك تخاف ان تتقدم اليه وتطلب منه لان خصمك واقف امامه ، فهذا المانع لا يوجد هنا لانه يسمع خصمك ولا يرفض طلبك . ففي اي مكان يجوز لك ان تخاطبه ولا صعوبة في ذلك اذ لا حاجة بك ليقدمك اليه حاجب او ناظر او حارس او مراقب او صديق . فمتى جئت اليه بنفسك يستمع لك ، وخصوصاً ، ان لم تطلب احداً سواه .

ما هي الصلوات القوية الفعالة

من الاعماق صرخت اليك يا رب يا رب فاستمع صوتي (مزمور ١٢٩ : ١) ما معنى الاعماق ؟ اي ليس من الشفاه او اللسان يتدفق الكلام ،والعقل بعيد عنه بل من اعماق القلب ، وبحرارة عظيمة من صميم النفس . هكذا النفوس الحزينة تهتز كلها ومن كل القلب تصرخ الى الله بانسحاق عظيم ، لذلك يستمع لها. ان الصلوات التي تكون هكذا لها قوة عظيمة لا تتفرق ولا تهتز ، ولو هاجمها الشيطان بجسارة قوية . ان الشجرة التي مدت جذورها القوية في جوف الارض تثبت امام الرياح والعواصف. وبالعكس فان الشجرة التي تمد جذورها على سطح الارض تهتز لدى الرياح الخفيفة وتقلع مع جذورها وتسقط على الحضيض. هكذا تماماً الصلوات الخارجة من اعماق النفس تبقى قوية ثابتة لا تهتز ولو هاجمتها الافكار العديدة والشياطين كلها . وبالعكس فان الصلوات التي تخرج من الفم لا تصل الى الله لعدم اهتمام المصلي ولانه يتحرك لأدنى صوت ويبتعد عن الصلاة ، ويخرج الصوت من الشفتين والقلب فارغ ، والعقل مشغول .

ان البخور ذكي بطبيعته ولكن رائحته تنتشر اكثر حينما يطرح في النار وهكذا الصلاة فانها حسنة بحد ذاتها ولكنها تكون أفضل واذكى متى صدرت عن نفس محتدمة اذ تصبح النفس كالمبخرة التي يوضع فيها البخور بعد احتدام النار . هكذا انت ايضاً افعل بنفسك ، أوجد فيها الحرارة اولا ثم ابتديء بالصلاة . النبي داود يطلب ان تستقيم صلاته كالبخور وان يكون ارتفاع يديه ذبيحة مسائية . وهذا يكون حسناً في عينيه عندما يكون اللسان واليدان طاهرين نقيين وبعيدين عن النميمة والطمع والسلب . وكما انه لا يوضع في المبخرة شيء سوى النار والبخور ، هكذا الشفتان لا يجوز ان تتفوها بكلمة رديئة بل

بالكلام المفعم بالقداسة والمديح. اذن لتكن اليدان كالمبخرة بتطهيرهما بالاحسان، ومحبة الانسانية ومساعدة المحتاجين وبعد ذلك ارفعهما للصلاة. واذا كنت تأبى على نفسك الوقوف في الصلاة بيدين قذرتين فالاجدر بك ألا تلطخهما بالخطايا، وما دمت تخشى الاشياء الطفيفة فالافضل ان تتجنب الكبيرة. لا جناح عليك ان صليت بيدين غير مغسولتين. ولكن ان كانتا مدنستين بالخطايا فهذا يستوجب غضب الله الشديد. وهكذا ما يتعلق بالشفتين واللسان فيجب ان تبعدهما عن الخطيئة لتستعملها في الصلاة.

ان الوعاء الذهبي لا يستعمل للاشياء الدنيئة لعلو ثمنه فكم بالحري الفم فهو أثمن كثيراً من الذهب والمرجان فلا يجوز ان ندنسه بالكلام القبيح والشتم والطعن بالاخرين. لست على مذبح من نحاس او ذهب تحرق البخور بل على مذبح اسمى واغلى بكثير. انك تحرقه في هيكل النفس. تلك أشياء مادية عديمة الحس، واما انت فمسكن الله وعضو وجسد للمسيح.

ان الله يعطيك ما تطلب وخاصة عندما تقدم له نفساً نقية وعقلاً يقظاً لا ان تصلي وانت متشاغل كما يفعل الكثيرون فان ألسنتهم تنطق بالصلاة وأما نفوسهم فتتجول في البيوت والساحات والطرقات وهذه فخاخ وضعها الشيطان لنا لكي لا نحصل على غفران الخطايا، ولذلك يقطع أمامنا الطريق الى مينا النجاة ويهجم علينا في مثل هذا الوقت ويحول افكارنا عن الكلام الذي ننطق به فتكون صلاتنا حينئذ مضرة عوضاً عن ان تكون نافعة. فاذا علمت ذلك تقدم الى الله وافتكر بمن اليه تتقدم. وحسبك ان توجه اليه كل انتباهك لتكسب ثقته وهو مستعد ان يهبك النعمة. انظر الى السماء وافتكر الى من توجه كلامك فلو أخذ أحد، وان كان متهاوناً، يخاطب من هو في منزلة عالية، لاحتشم واصلح ذاته. فاحرى بنا عندما نخاطب ملك الملائكة ان نحتشم ونجبر انفسنا على الانتباه، وهذه واسطة لنا لكي نجمع افكارنا في الصلاة. فاننا كثيراً ما

نصلي ولا نعي شيئاً مما تلوناه . فاذا شعرنا بذلك فلنراجع الصلاة أولاً وثانياً وثالثاً ونثابر على ذلك الى انتقرأها بجد وانتباه. وحينئذ لما يرى الشيطان ثباتنا يترك مكايده اذ لم تفد شيئاً بل تحملنا على تكرار الصلاة .

لماذا لا تجاب صلواتنا دائماً

ان الله أحياناً يعطي وأحياناً لا يعطي وفي كلا الحالين فائدة جسيمة لنا . ان اعطاك طلبك او لم يعطه ، فانك ستحصل عليه .وان نلت طلبك او لم تنله فانك ستصل الى غايتك فقد يكون للانسان عدم الحصول على مبتغاه افضل من الحصول عليه . ولو كان نفع لنا مما نطلبه لكان الله يعطي . ولكن الله يبطىء باعطائنا ما نطلبه ، لا لعذابنا بل لتعليمنا الانتباه بتأجيل عطاياه ، ولكي لا تضعف الحرارة في صلواتنا، هكذا الاب المحب يعامل أولاده الكسالى والمتعلقين بالاشياء العالمية واعداً اياهم بالهبات الوفيرة ليبقيهم عنده ومؤجلاً العطاء لهم ليحثهم على اصلاح نفوسهم .

ان الله يعلم جيداً ما يفيدنا . ولذلك لا يجيبنا الى ما يضرنا بل يهيء لنا ما ينفعنا من دون ان نعلم فيجب ان نعود انفسنا شكر الله على الحالتين : أعطانا أو لم يعطنا لانه في كل حال يعمل بارادتنا ما يفيدنا .

انك لا تعرف صالحك كما يعرفه الله ، ولا تعرف ما تطلبه وكثيراً ما تطلب ما يضرك ولا يفيدك . ولذلك لا ينظر الى طلبك بل الى منفعتك ، واذا كان الوالد يهتم لاولاده ويعطيهم ما يلزمهم فقط ، فكم بالحري الله تعالى الذي يحبنا اكثر من الجميع . اذاً لنداوم الصلاة نهاراً وليلاً فانها السلاح القوي والحلية الثمينة والسور والمينا وكنز الخيرات والغنى الذي لا تسرقه اللصوص .

لا عذر لنا يثنينا عن الذهاب الى الكنيسة

ان الجالس في معمل الطيوب أو ما يماثله تغشاه الرائحة العطرية رغماً منه ، هكذا الذي يذهب الى الكنيسة فقد يحدث معه اكثر من ذلك . فكما ان الكسل ينتج عن البطالة وعدم العمل ، هكذا الرغبة تتولد من الممارسة والدأب . فلا تهرب من المجتمع والكنيسة ولو كنت خاطئاً وغير تقي . وان قلت انك تسمع ولكن لا تتمم ، فباعترافك هذا تستحق الشفقة لان خوفك لا يذهب من دون فائدة ولا بد من ان تكمل ما تسمعه يوماً ما فان من يخاطب الله ويسمع كلامه لا يذهب تعبه سدى بل يحصل على المنفعة والفائدة .

يجب ان نذهب الى الكنيسة لنحصل على الفائدة لنفوسنا

اذا كان الطالب يذهب الى المدرسة يومياً ولا يتعلم شيئاً هل نكتفي بمواظبته ؟ ألا نحتج عليه لان ذهابه كان بلا فائدة ؟ اذاً فلنحاسب انفسنا الحساب نفسه ، لاننا نذهب الى الكنيسة منذ زمان بعيد ونتناول الاسرار الرهيبة الخلاصية ، ونخرج من هناك كما دخلنا ، ولم نصلح شيئاً . اذاً فما هي الفائدة من ذهابنا اليها ؟ ما اكثر الاعمال التي يفعلها الانسان لاجل عاقبتها لا لاجلها فقط . فالزارع لا يعمل لاجل الزرع فقط بل لاجل الحصاد ، والا فما الفائدة من عمله ، ولكن يزرع لكي لا تفسد الحبوب ويتحمل الخسارة بسبب ذلك . والتاجر يتحمل مشقة الاسفار في البحار واخطارها لا لاجل السفر والتجول بل ليزيد ثروته ، والا فيتعرض للضرر والخسارة . هكذا نحن نذهب الى الكنيسة لا لاجل

الوجود فيها بل لاجل الفائدة الروحية التي نحصل عليهـــا ، فان خرجنا من الكنيسة بـــدون فائدة يكن ذلك دينونة لنا ، فـــلا نسبب لانفسنا هذا الضرر !

عند خروجكم من الكنيسة ، ليتحدث بعضكم بعضاً أيها الاعزاء ، الآباء مـــع الابناء ، والسادة مع العبيد ، مجتهدين ان تتمموا ما وعظتم به حتى اذا عدتم الى هنا في المرة الآتية وسمعتم نصائحنا ثانية لا تخجلوا من توبيخ ضميركم بل ابتهجوا لاتمامكم النصيحة . فاذا فكرنا بهذا ووجهنا اهتمامنا اليـــه تعالى نرى النجاح في اعمالنا كلها فلنهتم لله ليهتم الله بنا وباعمالنا .

ماهي الواجبات المفروضة على الجميع

بعد استماعهم تعليم الكنيسة

قد يكون من الفضول حثكم الان على الانتباه لاستماع الكلمة لانكم اسرعتم وبرهنتم على ذلك بالفعل فاجتماعكم بسرعة ووقوفكم بجد وانتباه غـــير مبالين بالازدحام الشديد حتى ينتهي هذا المشهد الروحي ، كل هذا يشهد لكم بالحرارة الروحية ، واجتهادكم للاصغاء ، ولكني احرضكم الان على مواصلة هذا الاجتهاد لا هنا فقط بل في بيوتكم ايضاً . فليكن هذا حديث الزوج مع الزوجة والاب مع الاولاد بل ان يكون اهتمامنا الدائم . انا لا ابعد الاولاد عن الالعاب المختلفة ، ولا انتم عن الاعمال العمومية ، ولكنني اريد ان نخصص يوماً واحـــداً من أيام الاسبوع السبعة بالله تعالى . نحن نطلب من عبيدنا ان يخدمونا بلا انقطاع ولا نخصص وقتاً قليلاً بالله ، مع ان خدمتنا له تعالى لا تأتيه بشيء البتـــة بل تعود علينا بالفائدة . انكم تقودون أولادكم الى الفرح ولا تجدون مانعاً لذلـك لا في العلوم

ولا في غيرها . أما اذا احتجتم الى الفائدة الروحية فانكم تدعون هذا بطالة . فكيف لا تغضبون الرب ان عودتم اولادكم الأشياء العالمية واوجدتم لهم الأوقات المناسبة ، أما إذا شغلتموهم بعمل الرب فتعدون ذلك حملاً ثقيلاً وفي غير حينه .

كلا يا اخوتي . ان النشء الجديد يحتاج الى مثل هذه الدروس ليطبعها في قلبه لانه يسهل عليه حفظها فيتجه الى الفضيلة لا الى الرذيلة لاننا ان رددنا الاولاد عن طريق الشر ووجهناهم الى الخير يصبح ذلك عندهم عادة بل طبيعة تجنبهم الشر وتجبرهم على عمل الخير وحينئذ يصبحون اكثر وقاراً من الشيوخ واكثر منفعة للاعمال العامة وهم في عنفوان الشباب واحلام الشيوخ .

الى من يقصدون الكنيسة في الاعياد العظيمة فقط

انتم اليوم كلكم مسرورون وانا وحدي حزين لانني حينما انظر الى هذا البحر الروحي المائج بكم وأرى غنى الكنيسة غير المحصور أفكر ان هذا الجمع الغفير بانقضاء العيد يبتعد عني ويتفرق ،لذلك تحزن نفسي وينكسر قلبي لان الكنيسة التي ولدت اولاداً كثيرين لا تتعزى بهم في كل اجتماع بل في الاعياد فقط . كم يكون الفرح الروحي والسرور ومجد الله والفائدة الروحية لو كانت الكنيسة غاصة بجماهير المصلين في كل اجتماع . ان (الربان) والبحارة يجهدون نفوسهم ليقطعوا البحار ويصلوا الى المينا الهادي . ونحن نريد التخبط في البحر بلا انقطاع مأخوذين بتيار الامواج العالمية متهافتين على الساحات العامة والمحاكم ولا نحضر الى هنا سوى مرة أو مرتين في السنة كلها . ألا تعلمون بان الله اسس الكنائس في المدن كالميناء على البحار لتلجأوا اليها من الاضطرابات العالمية ، وتتلذذوا بالهدوء العظيم السائد فيها ؟ فالحق لا خوف عليكم هنا من تيار الامواج الهائجة ولا من هجوم اللصوص ولا من غارات الاشرار ولا من الرياح الثائرة ولا

من شراسة الوحوش الكاسرة ، لان هذا الميناحر من كل ما ذكر ، انه الميناء الروحي للنفوس ، وهذا تشعرون به في نفوسكم ، فلو نظر كل منكم الى ضميره لوجد السكينة العظيمة في أعماقه .

فلا يهيجكم الغضب ولا يتأجج حب الشهوات فيكم ولا يستفزكم الجسد ولا تأخذكم الكبرياء ولا يأكلكم الاعجاب بالنفس ، فان هذه عوارض ، وان استماع تعاليم الديانة الالهية يدخل الى نفوسكم ويخدر هذه الشهوات الرديئة ويزيلها . لذلك آسف جداً لأن الذين يقدرون على اقتباس هذه الحكم يتخلفون أو إنهم لا يريدون المجيء الى الكنيسة أمّ الجميع إلا نادراً . أرشدوني الى الاشغال التي هي اهم من المجيء الى الكنيسة ، أي اجتماع انفع ؟ فماذا يمنعكم عن المجيء الى هنا ؟ قد تقول ان الفقر يمنعك عن الاشتراك معنا بهذا الاجتماع الجميل ، لكن هذا ليس بعذر أساسي ! ان الاسبوع سبعة أيام ، وقد اقتسم الرب معنا هذه الايام ، ولم يختص بنفسه الأكثر ويعطنا الاقل ؟ ولم يقسمها قسمين متساويين فيأخذ لنفسه ثلاثة ويعطينا ثلاثة ، بل أعطاك ستة ايام وترك لنفسه يوماً واحداً . ففي هذا اليوم لا تريد انت ان تمسك نفسك عن الاشغال العالمية كما يفعل القذرون ، وهكذا تتجرأ على العمل في هذا النهار وتشوهه وتستعمله لأجل الدينوية في حين انه مقدس ومخصص لاستماع التعاليم الروحية . فكما فعلت الارملة بالاحسان (مرقص ١٢ : ٤٢) افعل انت كذلك اثناء هذا النهار ! ان الارملة القت فلسين واكتسبت نعمة من الرب . هكذا أنت ، أفرز ساعتين لتجلب بهما لبيتك النعم التي لا تحصى ، واعلم انك اذا لم ترد وتمسك نفسك عن الكسب الدنيوي في جزء من هذا النهار تخسر أتعاب سنين كاملة لان الله يقدر ان يبيد ثروة الذين لا يهتمون له كما هدد اليهود عندما غفلوا عن الهيكل : أفحان لكم ان تسكنوا في بيوتكم المسقوفة وهذا البيت خراب (حجي ١:٤) .

فان جئت مرة أو مرتين في السنة الى الكنيسة فماذا نقدر أن نعلمك عن

المهات ؟ اعن النفس ام عن الجسد او عن طول اناة الرب او عن المسامحة وغفران الخطايا او عن المخلوقات السماوية والأرضية او عن طبيعة الانسان او عن الملائكة او عن خداع الارواح النجسة وفخاخ الشياطين او عن العقائد الدينية والدين الحق او عن الحاد الهراطقة ؟ نعم انه يتوجب على المسيحي معرفة اكثر مما ذكر وان يعطي جواباً حينما يسأل عن ذلك . اما انتم فلا تعرفون شيئاً قليلاً عنها لانكم تجتمعون هنا مرة او مرتين في السنة صدفة حسب عادة العيد لا بدافع حسن العبادة المتأصل في النفس !

كيف نحمي نفوسنا من الشهوات الفاسدة

ان الاله العظيم مبدع الكون قد اتخذ صورتنا لينزل إلينا من السماء قداسة الملائكة . لذلك بعد هذا الشرف العظيم نكون جهلاء واغبياء اذا استسلمنا للشهوات ، لأن أعضاء المسيح تصير أعضاء للفساد وبهذا نسيء الى رحمة السيد ونجعلها بلا نتيجة . ان الشياطين يسمعون ويضطربون لأن الله لا يدخلهم في الاشتراك معه . اما نحن فيقبلنا لنشترك معه . ومع هذا نرى بعض المؤمنين يجسرون على الانفصال عن المسيح ليتحدوا مع الضالين . فما اعظم هذا الشر ان نهبط من السماء الى القذارة وان نرفض شرف عضويتنا بالمسيح ونصبح أعضاء للفساد . فاذا هاجت نفسك الشهوات الرديئة تذكر المسيح حالاً وتصور بولس الرسول واقفاً امامك وقائلاً : أما تعلمون ان اجسادكم هي اعضاء المسيح أفآخذ اعضاء المسيح واجعلها اعضاء زانية حاشى (كورنثوس الاولى ٦ : ١٥) فان تذكرت هذا تر الشهوات الفاسدة ولت هاربة . وان كانت السيدة الحكيمة العفيفة ، بنظرة منها ، تجعل خادماتها المفرطات عفيفات ، أغريب اذا كان ذكر المسيح يميت حالاً الشهوات الرديئة ؟ فضع الصليب اللامع نصب عينيك دائماً فتتنقى من أدران الخطيئة كما كان عمود السحاب رمز الصليب يظلل الشعب

الاسرائيلي لكي ينجو من شر المصريين هكذا الصليب المنظور منا يبدد الشهوات الفاسدة لانه خلاص النفوس والعلاج الشافي من الشهوات الرديئة ان الامراض الجسدية يشفيها نطس الاطباء واما النفوس المريضة فيشفيها كلام المسيح .

متى يجب الكلام و متى يجب السكوت

ان كان لديك شيء مفيد تريد قوله فافتح فاك . وان لم يكن فالافضل ان تسكت . أعامل انت ؟ رنم المزامير وانت جالس وان لم ترد الترنيم بالشفتين فليكن ذلك بالعقل ! المزامير نديم وسمير . فلا يحصل لك أدنى ضرر إن كنت جالساً في معملك كأنك في دير . ونحن لا نقصد الرفاهية هنا بل الطباع الصالحة التي تجلب السكينة . فبولس لم يتحمل الضرر لاجل فضيلته حينما كان يشتغل في معمله بالاشغال اليدوية .

عن حفظ اللسان

كثيراً ما يسبب الهذيان الشر . وبالعكس ، حفظ اللسان ، فانه يجلب الخير الكثير . ما الفائدة من البيوت والمدن والاسوار والابواب ان لم يكن لها حراس وأمناء على الفتح والغلق . هكذا اللسان والفم لا فائدة منهما اذا لم يسيطر عليهما العقل ويرشدهما الى الفتح والغلق بدقة واحتراس ليعلما ما يجب ان يقال وما يجب ان يحفظ في الداخل .

فالحكيم يقول ان الذين سقطوا بعثرات اللسان اكثر من الذين سقطوا من السيوف (سيراخ ٨ : ٢١) والمسيح يقول : ليس ما يدخل الفم ينجس الانسان

بل ما يخرج من الفم هـــذا ينجس الانسان (متى ١٥ : ١١) والحكيم يقول أيضاً : واجعل لفمك باباً ومزلاجاً (سيراخ ٨ : ٢٩) وامام المغنين داود حين عرف ان هذا عمل صعب ضمه الى الصلاة ونادى الله الى معونتـــه والحكيم ابن سيراخ يعبر عن الشيء نفسه بالكلمات الآتية : من يجعل حارساً لفمي وخاتمـــاً وثيقاً على شفتي (سيراخ ٢٢ : ٣٣) ويلزمنا اتمام هذا الواجب أو الوصيـــة : واجعل لفمك باباً ومزلاجاً .

فلنطلب معونته تعالى لكي نتمم اجتهادنا بالعمل ولنحفظ فمنا جاعلين عقلنا مزلاجاً له لا ليكون موصداً دائماً بل ليفتح في الوقت الملائم. فقد يكون أحياناً السكوت افضل والكلام افضل من السكوت . لذلـــك يقول الحكيم سليمان للسكوت وقت وللتكلم وقت (جامعة ٣ : ٣) لو كان واجباً ان يفتـــح الفم دائماً لما لزم له باب ولو كان واجباً ان يغلق دائماً لما لزمت له الحراسة . فالبـاب والحراسة ليعمل كل شيء في وقته . ويقول آخر اجعل لكلامك ميزاناً ومعياراً (سيراخ ٢٨ : ٢٩) أي ان نلفظ كلامنا باحتراس وازنين إياه ومفكرين به .

فان كنا نفعل ذلك بالذهب والعناصر الفانية ، فالاولى ان نفكر بالكـلام كي لا يكون فيه نقص او زيادة . ولذلك يقول الحكيم : لا تمتنع عن الكلام في وقت الخلاص (سيراخ ٤ : ٢٧) فهل ترى وقت التكلم ؟ وفي مكان آخر يشير الى وقت السكوت بقوله : ان كان لك فم فجاوب قريبك والا فاجعل يدك على فمك (سيراخ ٥ : ١٤) وقال ايضاً : كثير الكلام يمقت (٢٠ : ٨) فالانسان الذي يكتم حماقته خير من الانسان الذي يكتم حكمته (٢٠ : ٣١) وان سمعت كلاماً فليمت عندك وثق انه لا يشقك (١٩ : ١٠) وقال أيضـاً الاحمق يمخض بالكلمة مخاض الوالدة بالجنين (١٩ : ١١) وأيضاً عن كثرة الكلام :اسمع وانت ساكت فباحتشامك تنال الحظوة . تكلم ولكن نادراً متى دعتـك الحـــاجة (٣٢ : ٩ و ١٠) فيجب الاحتراس الشديد حتى يملك الانسان لسانه ويستخدمه بلا خطر البتة . لذلك قال ايضاً : رب عتاب لا يجمل رب ساكت يعد حكيما

(١٩ : ٢٨ و ٢٠) .

ولذلك يجب ألا نسكت وان نتكلم في الوقت المناسب فقط بنعمة عظيمة كما قال بولس الرسول : ليكن كلامكم كل حين بنعمة مصلحاً بملح لتعلموا كيف يجب ان تجاوبوا كل واحد (كولوسي ٤ : ٦) فكر انك تكلم الله بهذا العضو وبه ترفع المديح له وتتناول الذبيحة الرهيبة .

المؤمنون يعلمون ماذا اقول . لذلك يجب ان يكون نقياً من كل انتقاد او ذم او كلام رديء او نميمة . فان تولد فكر رديء فينا فيجب ان نخنقه داخلاً ولا ندعه يتحول الى الكلام . ان حملك ضعف النفس على التذمر فاقلع تلك الجذور واحفظ الباب بقوة وحراسة شديدين ولا تسمح للافكار الفاسدة ان تتولد فيك . وان تولدت فاخنقها داخلاً وجففها في جذورها نفسها . ان ايوب حفظ لسانه هكذا ولم ينطق بكلمة رديئة وكان صامتاً في اكثر أوقاته . ولما اضطر ان يخاطب زوجته فاه بكلام مملوء من الحكمة . فالكلام يجب حينما يكون انفع من السكوت . لذلك قال المسيح : اقول لكم ان كل بطالة يتكلم بها الناس يعطون عنها جواباً في يوم الدين (متى ١٢ : ٣٦) وقال بولس : لا تخرج من أفواهكم كلمة فاسدة (افسس ٤ : ٢٩) .

ماذا يجب ان تتذكر عند جلوسك الى المائدة

عندما تجلس الى مائدة الطعام تذكر انه يجب عليك ان تصلي بعد الطعام !

تناول من الطعام على قدر الحاجة حتى لا تثقل به، فلا يمكنك احناء الركبتين لاجل الصلاة لله. فالرقاد والاستراحة لا يتبعان الطعام بل الصلاة ومطالعة الكتب المقدسة. لان السيد المسيح قد اوضح لنا ذلك جلياً ، لانه بعد اشباع

الجسم الفاني في البرية لم يرسله الى المضجع للنوم بل دعاه الى استماع الكلام الالهي ولم يملأ جوفه كثيراً فيطلب الاستراحة بل اعطاه بقدر الحاجة وقاده الى الطعام الروحي فلنعمل نحن ذلك ولنتعلم ان نستعمل الطعام الضروري لمواصلة الحياة وليس لاملاء البطون والتعب . اننا لم نخلق ولا نحيا لنأكل ونشرب فقط بل لاجل الحياة . وليست (هذه) للاكل فمن البدء جعل الطعام لاجل الحياة .

الحياه

عن الامتناع عن السكر

أنا لا اقول الامتناع عن الخمر بل عن السكر . والسكر لا ينتج عن الخمر ، لان هذا خلقه الله وكل ما خلقه الله لا يسبب شيئاً رديئاً . ولكن الارادة الرديئة هي التي تسبب السكر ، وقد يكون السكر بلا خمر . فاسمع ما قال بولس الرسول : ولا تسكروا بالخمر وهذا يوضح ان السكر يكون بغير الخمر : ولا تسكروا بالخمر الذي فيه الخلاعة بل امتلئوا بالروح (افسس ٥: ١٨)فبصورة مدهشة وبكلمات وجيزة عبر عن حكمته بشأن السكر . فما معنى كلامه لا تسكروا بالخمر الذي فيه الخلاعة ؟ نحن نسمي الفاسد ذلك الشاب الذي اذ يمتلك ميراث ابيه يبذره حالاً من دون ان يفكر في ماذا يعطي ، ومتى ينفع العطاء ، ولكنه ، بلا تمييز ، يوزع الملابس والفضة والذهب وكل ما ناله من والده ، على الزواني .

فالسكر هكذا يمتلك عقل السكير ، ويحمله على انفاق ما لديه بلا تروٍ ومن دون أدنى احتراس . السكير لا يعلم متى ينبغي التكلم ومتى يجب السكوت . ففمه مفتوح دائماً لا مزلاج ولا باب عليه . لا يقدر ان يتكلم طبق العقل ولا يحسن التصرف بغناه العقلي ولا يعرف ما يجب ان يدخر وما يجب ان ينفق بل يبذر كل ما لديه . السكر جنون اختياري وسقوط بالفكر . السكر تعاسة

تستحق الضحكَ ومرضٌ يستوجب الهزءَ فهو اردأ من الجنون . والسكران اتعس حالاً من المجنون . لا نتأثر لحالة هذا ونبتعد عن ذاك . نتألم للأول ونسخط على الثاني ، لأن التعاسةَ أوقعت الأولَ في المرض ، وعدم الاهتمام اضرّ بالثاني ، وربما كان الاولُ من شر الاعداء والثاني من شر أفكاره فقد يصيبُ السكرانَ ما يصيبُ المجنون ، لانه بدوره يقع في الهذيان ويسقط على الارض وتشخص عيناه ويخرج الزبدُ واللعابُ القذرُ من فيه وينطق بالكلام الفاسدِ الذي يمجُّهُ الذوقُ السليم .

فمثل هذا الانسان يكون مكروهاً من أصدقائه وضحكةً لاعدائه ومحتقراً من خدمه ومنبوذاً من زوجه ولا احد يحتمله لانه شرٌّ من الابكم . ان الحيوانَ غيرَ الناطقِ لا يشربُ الا عند الظمأ ويكتفي بسدِ حاجته . أما السكيرُ فلا حدَّ لشراهته لانه يأخذ اكثرَ من حاجته ، وبذلك يكون أجهلَ من الحيوان . والسكران يستوجب الحزنَ اكثرَ من الميت لان هذا يضطجع بلا حراك ولا يفعل ، لا شراً ولا خيراً ، واما السكران فقادرٌ على الشكر ويحبس نفسَه في جسده كما في قبرٍ كأنه مائت . أفلا يستوجب الحزن اكثرَ من المجنون ؟ بل لا حسنةَ له كالميت وافظع من كل هذا ان السكيرَ لا يقدر ان يدخل ملكوت السموات كما يقول بولس الرسول : ولا السارقون ولا البخلاء ولا السكيرون ولا الشتامون ولا الخطفة يرثون ملكوت الله (كورنثوس الاولى ٦ : ١٠) .

فمن هو اتعس من السكير الذي لاجل لذةٍ طفيفةٍ يُحرَمُ من لذات ملكوت السموات . والاصح ان يقال ان لا لذةَ للسكير لان اللذةَ تكون في الاعتدال لا في الافراطِ وعدمِ الحس . فمن لا يشعر أين يجلس واين يضطجع لا يشعر بلذة الشرب ، ومن لا يستطيع ان يرى الشمسَ التي حجبتْها عنه سحبُ السكر الكثيفةُ لا يقدر ان يشعر بالسرور .

عن تبجيل اسم الله واحترامه

ان الخادم لا يجرأ ان يدعو سيده باسمه ومن دون حاجة وكيفما كان . اما نحن فنتلفظ باسم ملك الملائكة من دون حاجة وبلا اكتراث . انك غالباً عندما تأخذ الانجيل تغسل يديك ثم تأخذه باعتبار وورع وخوف . اما اسم ملك الانجيل فتلفظه من دون حاجة وتحمله على لسانك . فتعلم من القوات السماوية كيف تلفظ اسم الرب : انها تلفظه بارتجاف وخوف وانذهال . يقول اشعيا : رأيت الرب جالساً على عرش عال رفيع وقد ملأ الهيكل طرفه . وفوقه السارافيم قياماً لكل ستة اجنحة باثنين يستر وجهه وباثنين يستر رجليه وباثنين يطير ويصيح احدهم بالاخر ويقول قدوس قدوس قدوس هو رب الجنود الارض كلها ممتلئة من مجده (اشعيا ٦:١-٣)

أترى بأي خوف يسميه الملائكة حين يمجدونه . أما نحن فندعوه بتهاون كلي ان كان في الصلاة او الطلبة في حين يجب ان نرتجف ونذكر اسمه باحتراس وانتباه . والا نحلف به دائماً ولاقل سبب وننسب ذلك الى العادة . فالقسم لا يجعل الانسان صادقاً بل شهادة الحياة والسلوك الحسن والكلام الجيد .

لا يجوز التهاون في الخطايا الصغيرة

اذا تولدت فيك شهوة صغيرة فلا تنظر الى صغرها بل تصور انها متى خرجت الى الوجود تأتي برزيئة عظيمة . ألا ترى ان اهل البيت يضطربون ويضجون اذا رأوا شيئاً يحترق فيه فيسرعون الى اطفائه خوفاً من العاقبة ؟ هكذا الخطيئة فانها اسرع انتشاراً من النار فيجب ان نتداركها قبل الوقوع لان اصلاحها اذا تفشت ليس بالامر اليسير .

هكذا الشيء نفسه مع السفينة فان الملاحين لا يضطربون عند هياج الامواج فقط بل حينما يرونها ايضاً مقبلة على الهياج ، لذلك لا يجوز التهاون في الخطيئة الصغيرة بل يجب استئصالها بشدة لنصدّ الاكبر منها ونستحق النعم برأفة سيدنا يسوع المسيح ومحبته للبشر الذي له مع الاب والروح القدس المجد والملك والقوة الى الابد امين .

في ايام الغنى يجب ان نفكر في توقع الفقر

قيل في الكتاب المقدس : في وقت الشبع اذكر وقت الجوع وفي ايام الغنى اذكر الفقر والعوز (سيراخ ١٨ ٢٥) فان فكرت هكذا تتصرف بحكمة في غناك وان فاجأك الفقر تتحمله بالشجاعة لان الشر اذا فاجأنا يزعجنا ويقلقنا وان كان منتظراً فلا نضطرب له كثيراً ، وبهذه الطريقة نحصل على نعمتين . فالخيرات لا تسكرك ولا تشغفك . وان كان العكس فلا تضطرب وتقع في التجربة .

فهل انت غني ؟ انتظر الفقر كل يوم ! لان هذا الانتظار ينفعك ، ومن يتوقع الفقر لا يتعجرف في أيام الغنى ولا يستسلم للنعم والتهاون ولا يسلب مال الفقير ، لان خوف الانتظار يرشد العقل ويعقل الافكار ويحفظها ولا يسمح لمحبة الفضة ان تمد غصوناً رديئة . هذه هي النعمة الاولى العظيمة التي تحصل عليها وأما الثانية فليست بأقل منها وهي عدم خوفك من الفقر اذا جاء . فليكن الانتظار فاتحة الاحزان كي لا تقع في التجربة لان هذه تقع من عدم الانتظار وان كان الاخير يصلح الانسان فلا حاجة الى الاول . لذلك ان عودت نفسك على انتظار المكروه وتوقعه تعلم منه وان حصل فلا يزعجك كثيراً .

يجب احترام الكهنة

لنتخذ كل احتياط ليكون الروح القدس فينا ولنتصرف باحترام مع الذين أعطيت لهم السلطة لاجراء المواهب المباركة فان قيمة الكهنة عظيمة للسلطة الممنوحة لهم بترك الخطايا . لذلك قال بولس الرسول :اطيعوا مرشديكم واخضعوا لهم (عبرانيين ١٣:١٧) وان تعتبروهم كثيراً جداً في المحبة (تسالونيكي ٥ : ١٣) الحق انك تهتم كثيراً باعمالك فقط وان نظمتها حسناً لا يطلب منك ان تجاوب عن سواك .

اما الكاهن فان نظم حياته الخاصة فقط ولم يهتم لحياتك ، وحياة غيرك من الذين تحت رعايته فانه يذهب مع الخطأة الى جهنم وقد لا يكون مذنباً باعماله ولكنه يهلك لاجل اعمالكم غير المشروعة ولانه لم يتمم ما يتعلق به بصورة كافية .

لذلك علماً بالخطر العظيم الذي يتهدد الكاهن من جراء ذلك اظهروا له المحبة الفائقة . فان بولس الرسول قد وجه انظارنا الى هذا بقوله : لانهم يسهرون على نفوسكم سهر من سيحاسب (عبرانيين ١٣ ١٧) لهذا يجب ان نظهر لهم الاحترام العظيم . وان أحزنتموهم مع غيركم فلا تنجحون في أعمالكم لان الربان اذا كان مسروراً مطمئن النفس لا خطر على المسافرين وبالعكس حينما يتأثر من هجمات مرافقيه وعدائهم يكتئب ولا يقدر على العناية بالمركب كالسابق ولا يعمل بمهارته المعتادة فيسبب بذلك المصائب المختلفة عن غير قصد .

هكذا انتم اذا قدرتم الكهنة حق قدرهم تساعدونهم على اتمام اعمالكم كما يجب واذا اخرتموهم يضعفون ويصبحون ميالين معكم للوقوع في تيار الامواج مهما كانوا ذوي حزم وثبات . راجعوا بافكاركم قول المسيح لليهود : على كرسي

موسى جلس الكهنة والفريسيون فكل مـا قالوه لكم ان تحفظوه فاحفظوه وافعلوه (متى٢٣: ٢ و٣).

اما اليوم فلا يجوز ان يقال ان الكهنة جلسوا على كرسي موسى بل هم جلسوا على كرسي المسيح لانهم تسلموا تعليمه لذلك قال بولس : اذاً نحـن نسعى كسفراء عن المسيح كأن الله يعظ بنا (كورنثوس الثانية ٥ : ٢٠) .

ألا ترون كيف يخضع البشر للحكم العالمي ؟ فكثيراً ما يفوق المرؤوسون رؤساءهم بشرف النسب وبالحياة الحسنة والحكمة ، ولكنهم احتراما لمن قلدهم المنصب لا يفكرون بشيء من هذا بل يعتبرونهم إكراماً وطاعة للملـك الذي اناط بهم الحكم غير فاحصين عن الشخص الذي صار رئيساً عليهم وربما حصل لنا قلق بسبب هذا الرئيس لكننا نخطىء كثيراً عندما نحتقر الشخص الذي انتخب لنا بوضع الأيدي اي بنعمة الروح القدس لانه لا يجوز لنا ان ندين اخوتناونشحذ ألسنتنا على الكهنة . فبماذا نعتذر عن أنفسنا ونحن لا نرى الخشبة التي في عيننا. ونرى القذى في عيون الاخرين ؟ ألا تعلم انك بدينونتك الاخرين تهيء لنفسك دينونة اثقل ؟ أقول هذا لا لامدح الكهنة الذين دخلوا في الخدمة بغير اخلاص فاني آسف لاجلهم جداً . ولكني اوضح ان لا حق لأحد من رعيتهم ان يدينهم وعلى الخصوص البسطاء منهم فانت لا تتضرر ان سلك الكاهن طريق الشر والخطيئة اذا كنت منتبهاً لنفسك !

ان الله جعل حمارة بلعام تتكلم وبواسطةالساحر وهب البركة والرحمة لليهود العديمي الشكر ؛ فكم بالحري يهبنا نحن ان كنا شكورين نعمته فهو يعمل كل ما يلزم لنا من قبله ويرسل لنا الروح القدس ولو كان الكاهن من اشد الناس خطيئة. فالكاهن النقي لا يجذب الروح القدس بنقاوته بل النعمة هي التي تفعل ذلك لان الرسول يقول : كل شيء لكم أبولس أم أبلوس أما صفا (كورنثوس الاولى

٣ : ٢٢) فان نعمة الله أودعت للكاهن ومهما عظمت الحكمة البشرية فانها اصغر من تلك النعمة .

أقول هذا لا لتأمين حياتنا بل لاجل الخاضعين لنا حتى إذا رأوا تهاوناً من احد الكهنة لا يزيدون شرهم بهذه المناسبة . لكن لماذا الحديث عن الكهنة فلا الملاك ولا رئيس الملائكة قادراً ان يؤثر في النعمة المعطاة من الله لان الاب والابن والروح القدس يهيء ذلك أما الكاهن فيقرض لسانه ويبسط يديه فقط ومن الصعب ان يتحمل الجمع الضرر بذنب شخص آخر اذا كان يتقدم بإيمان لقانون خلاصنا فاذ قد علمنا هذا كله فلنحترم الكهنة مظهرين لهم الاعتبار لنحصل باكرامهم وباعمالنا الحسنة على الجائزة العظيمة من الله تعالى بنعمة ومحبة سيدنا يسوع المسيح للبشر الذي له مع الاب والروح القدس والملك والشرف من الآن والى دهر الداهرين آمين .

عن الوداعة

من اراد ان يتشبه بالله تعالى فليكن وديعاً هادئاً بقدر ما يمكن للانسان . وليتحمل بسعة صدر ما يزعجه من الاخرين . فالرب يقول : أحبوا أعداءكم وصلوا لاجل الذين يسيئون اليكم ، وعند ذلك تشبهون أباكم الذي في السموات فانه يشرق شمسه على الاشرار والصالحين ويمطر على الابرار والظالمين (لوقا ٦ : ٢٧ و٢٨) و(متى ٥:٤٤) هذا وفضائل أخرى يجب ان يتصف بها المسيحي وخاصة الوداعة . فان المسيح يشبه بالله اولئك الذين يتلألأون بالوداعة فقط لان سيدنا ومخلصنا نفسه حينما تعرض للاهانات واللطمات وسمر وصلب احتمل بوداعته حدة اليهود . ومع انه كان قادراً ان يقتص من الاشرار لم يفعل ذلك . ولكن اظهر قوته فاهتزت الارض وقام الموتى وأظلمت الشمس وجعل النهار

ليلاً وابدى وداعته ومحبته للبشر لانه لم يقتص من أحد هؤلاء الاشرار وكلهم كانوا عالمين برفع ايديهم على السيد وانه من السهل عليه ان يجازيهم وهو الذي هز الارض وبأمره أظلمت الشمس بغتة لكنه بوداعته احتمل حدة اليهود والصلب والشتائم وكان يصلي الى ابيه السماوي كي لا يرسل سهامه العلوية على أولئك التاعسين .

فلذلك ان تعرضت لاهانة ثقيلة لا تطاق واخذ الغيظ والحمق يتلظيان في حشاك ، فاذكر وداعة المسيح لتحصل مع عدوك على فائدة عظيمة وبوداعتك تجعله صالحاً لانه حينما يراك تتحمل الاهانة بالوداعة وتملك غضبك يتحول حالاً الى السكينة والصلاح ويميل الى العمل بوداعتك تاركاً الغيظ جانباً .

يجب مسامحة الاهانة

يجب ان نسامح القريب على خطاه ، ونصلي لاجله وألا نكون كذلك العبد الذي لم يتمهل على رفيقه بدفع المئة دينار التي له عليه . وبهذا خسر المسامحة عن العشرة آلاف وزنة المدين بها لسيده . فمن يسامح خطأ القريب يخفف صعوبة الجواب الذي لا بد من اعطائه في الدهر الاتي . وبمقدار ما يتساهل يجد السهولة ايضاً فالفرق ليس بالمقدار ، لان الانسان يرحم على قدر استطاعة العبد . اما الجائزة فتكون على قدر استطاعة السيد . فلا تقل ان الذي اهانك مذنب في هذا وذاك ، مهما كان الذنب كبيراً يجب ان يشمله تساهلك ، لكي تستحق الرحمة في الحياة الآتية ، فاطرح غضبك جانباً وامتلك قلبك بعقلك السليم وقدم هذا ذبيحة لله لان عمل الخير مع القريب ذبيحة عظيمة مطهرة للخطايا لان المسيح قال ان غفرتم للناس زلاتهم يغفر لكم أبوكم السماوي .

يجب ان نصلي من اجل الاعداء

لا تفيدنا الصلاة من اجل الاصدقاء بقدر ما تنفعنا لاجل الاعداء . فاسمع المسيح القائل : لانكم اذا احببتم الذين يحبونكم فأي اجر لكم أليس العشارون ايضاً يفعلون ذلك (متى ٥:٤٦) فان صلينا من اجل الاصدقاء لا نكون افضل من العشارين . اما ان احببنا اعداءنا وصلينا من اجلهم فنكون قد شابهنا الله في محبته للبشر كما يقول : لتكونوا ابناء ابيكم الذي في السموات فانه يشرق شمسه على الاشرار والصالحين ويمطر على الابرار والظالمين (متى ٥:٤٥) .

يجب ان نجتنب العداوة

يجب ان نجتنب العداوة مع اي شخص كان ، وان حصلت عداوة مع احد فلنسالمه في النهار نفسه لان المسالمة ان تأجلت الى اليوم الثاني والثالث وغيرهما يشتد الحياء معها وحينئذ تخجل ان تجيء وتقبل خصمك ، مع ان هذا مجد لك واكليل ومدح ونفع وكنز مليء بالنعم وعدوك نفسه يقتبلك والحاضرون يمدحونك ، وان انتقدك الناس فالله تعالى يكافئك . أما ان انتظرت مجيء خصمك اليك ليطلب منك السماح فلا فائدة لك من ذلك لانه يسلبك جائزتك ويكسب لنفسه البركة ، وان كان بالعكس فتكون قد تغلبت على غضبك وقهرت حدتك واظهرت حكمتك . وباستماعك الى كلام الله تجعل حياتك هادئة خالية من الاضطرابات حسب رغبتك .

عن النميمة

النميمة تأكل جسد الاخ وتقرض جسم القريب لذلك قال بولس مهدداً : فإذا كنتم تنهشون وتأكلون بعضكم بعضاً فاحذروا لئلا تفنوا بعضكم بعضاً (غلاطية ٥: ١٥) . انك لم تنشب أسنانك في جسد قريبك بل غرزت كلامك الشرير في نفسه وجرحتها بالسمعة الرديئة وفعلت كثيراً من الشرور لنفسك وله ولكثيرين آخرين . وبانتقادك إياه جعلت سامعيك أردياء ايضاً. لان من يسمعك يمسي كذلك عديم الاهتمام بنفسه ويقع في الكبر والغرور والعجرفة بسبب خطيئة غيره ويجد سبباً يعتبر نفسه افضل من سواه . وبهذا يجلب الضرر للكنيسة كلها ، لان من يسمعون قولك لا ينتقدون المجرم فقط بل الشعب المسيحي كله ولان الكفرة يوجهون حينئذ انتقادهم واهانتهم للمسيحيين كلهم وبذلك تكون سبباً لتحقير مجد الله لان اسمه تعالى يتمجد بحياتنا الحسنة ، وبالعكس ان سلكنا طريق الشر يجدف عليه .

فاذا هتكت حرمة من تذم تزيده دعارة وتكتسب عداوته وتجعل نفسك مستحقاً المحاسبة والجزاء خمسة اضعاف لانك عملت ما لا يختص بك . فلا يجوز لك ان تدافع عن نفسك وتقول انك لم ترتكب اية جريمة بقولك الصدق وهذا ليس بنميمة . فان النميمة ولو كانت صادقة فهي جريمة ايضاً . فان الفريسي ان احتقر العشار تكلم الصواب لكنه لم ينتفع من ذلك البتة لانه حاكم العشار المعروف من الجميع فان اردت اصلاح اخيك اذرف دموعك وصلّ الى الاله لاجله ، وعنفه على انفراد او انصحه ... واغلق اذنيك عن استماع النامين ومن يصغون اليهم وتمثل بالنبي القائل: المغتاب لقريبه بالخفاء استأصله (مزمور ١٠٠: ٥) قل لقريبك : هل انت مزمع ان تمدح احداً او تستحسنه ان كان هذا فأنا اقطع الطريق عليك لاني لا استطيع قبول الدس والنجاسة ، فما الفائدة من معرفتي

بان هذا او ذاك شرير . ان هذا لا ينتج عنه الا الضرر العظيم والخسارة الجسيمة ، وقل له اهتم لنفسك وتعلم ان تعطي الحساب عن خطاياك .

اذن ! لنوجه هذا التدقيق والاستطلاع المزعج الى حياتنا الخصوصية . فكيف نأمل الغفران والمسامحة اذا كنا لا نفكر بذواتنا ونحب الاستطلاع عن الاخرين ؟ انه لمعيب ومغاير للادب ان دخلت بيتاً غريباً وراقبت كل حركة تجري فيه بل من القحة والدناءة الاستطلاع عن حياة غريبة . والمضحك ان اولئك الذين يهتمون بما لا يعنيهم اذا ارادوا ان يكشفوا لك شيئاً من ذلك يتوسلون ويناشدونك الله كي لا تروي لاحد ما قالوه . وهذا برهان على ان ما عملوه يستحق الانتقاد . وكان الاولى بهم ان ينطلقوا به اذا كانوا لا يريدون افشاءه .

ان كلامك كان تحت ارادتك المطلقة فلما سلمته لسواك خرج عن ارادتك وأخذت تهتم به ولم يعد يفيدك التحريض على كتمانه لانه صار ارادة غيرك . فان اردت كتمان كلامك فاسكت عنه واعلم ان اللذة ليست في النميمة بل في تجنبها . النمام يكون دائماً مضطرباً ومرتاباً وخائفاً ونادماً وعاضاً على لسانه ويرتجف ويخشى ان تذاع كلماته بين الكثيرين فتجلب الضرر لمن تكلم عنهم وتسبب العداوة المهلكة بينه وبين الاخرين . فكل من يحتفظ بكلامه ويبتعد عن النميمة يعيش بسعادة عظيمة متوقياً الضرر لنفسه وللاخرين كما قال الحكيم : ان سمعت كلاماً فليمت عندك . ثق انه لا يشقك (سيراخ ١٩ : ١٠) ماذا يعني بكلمته فليمت عندك ؟ يعني ان تأسره وتمنعه ولا تسمح له بالخروج حتى ولا بالحركة مهما كلفك الامر . واجهد نفسك كثيراً كي لا تسمح لغيرك ان يقول لك شيئاً رديئاً عن سواك . وان سمعت شيئاً بالمصادفة فاخنقه داخلك ، وأمت ما سمعت وسلمه للنسيان كأنك لم تسمعه فحينئذ تكون حياتك هادئة بلا خطر . من ينتقد عيوب غيره بصرامة لا يجد ادنى هوادة في عيوبه الخاصة بل سيدان من الله ايضاً

لانه دان الاخرين ولذلك حرضنا الله قائلاً : لا تدينوا كي لا تدانوا (متى ٧:١) فالاثيم يدان بزيادة لانه دان الاخرين . وكما ان المحب البشر يسامح ويخفف ثقل خطايانا هكذا القاسي الخشن العديم الشفقة يضيف آثاماً الى آثامه .

فلنستأصل النميمة من أفواهنا ولنتجنب الكلام الرديء والمذمة ولا نقل سوءاً عن احد لان ليس ما يدخل الفم ينجس الانسان بل ما يخرج من الفم هذا ينجس الانسان (متى ١٥:١١) وكل ما تريدون ان يفعل الناس بكم افعلوا هكذا انتم ايضاً بهم (متى ٧:١٢) والمسيح له المجد يقول لا حاجة الى كثرة الكلام ولا الى القوانين المطولة ولا الى النصائح المختلفة . فان ارادتك هي القانون .

أتريد نعمة ؟ انعم على غيرك ! اتريد رحمة ؟ ارحم سواك ! اتريد مديحاً ؟ امدح غيرك ! اتريد محبة احبب غيرك ! اتريد ان يكون لك المحل الاول تنازل عنه لسواك ! كن الحاكم المطلق لنفسك وسن قوانين حياتك كل ما تكره ان يفعله غيرك بك اياك ان تفعله انت بغيرك (طوبيا ٤ : ١٦) هذه الآية تبعدنا عن الخطيئة وتمهد لنا عمل الخير. كل ما تكره ان يفعله غيرك بك فاياك ان تفعلهانت بغيرك ! انك تكره الاهانة فلا تهن احداً . تبغض الحسد فلا تحسد غيرك . لا تريد الخديعة فلا تخدع غيرك . فان فهمنا وحفظنا الآيتين المذكورتين لا نحتاج الى نصيحة اخرى ، لان الله جعل معرفة الخير من طبيعتنا ، اما ابرازه الى العمل واتمامه فقد ترك لحريتنا .

عن اي شيء تنشأ الاكدار والاحزان البيتية ؟

ما اكثر الذين يضرمون نيران الحرب في بيوتهم . الواحد تحاربه زوجته والآخر تشاكسه شقيقته والثالث يتحمل المكروه من اخيه والرابع من خدمه ،

وكل منهم يتألم ويغضب ويقاتل ويثير حرباً يقهر فيها ، ولكنه لا يناقش نفسه بانه لو لم يزرع الآثام لما نبتت في بيته الاشراك والحسد ولو لم يشعل شرارة الخطيئة لما التهب بيته . فالمصائب البيتية كلها ثمرة الخطيئة ، لان الله تعالى يسمح بها ليقوم افراد البيت بمجازاة الخاطىء والشاهد على ذلك الكتب المقدسة الصادقة . فان زوجك تحاربك وتقابلك حين عودتك الى بيتك كالوحش الكاسر ، واسنانها كالسيف المسنون ويا للحزن ان ترى شريكة حياتك عدوة لك ! فحاسب نفسك جيداً ؟ ألم تفكر في شبابك بامر رديء ضد امرأة ؟ فالآن تنتقم امرأة لاحزان امرأة وزوجتك الخاصة تداوي الجرح الغريب من دون ان تعرف شيئاً عن ماضيك ولكن الله المداوي يعلم كل شيء ، فهو يؤثر فيك بواسطتها كالحديد . ان الحديد لا يعلم ماذا يفعل ولكن الطبيب يعلم تأثيره في العلاج ، وهكذا الزوجان يتحاربان غير عالمين اسباب ذلك ؛ بيد ان الله يعلم النافع كالطبيب .

فالزوجة الشريرة ضربة من الله عن الخطايا كما تشهد الكتب المقدسة بذلك . المرأة الشريرة تعطى للرجل الشرير (سيراخ ٢٦ : ٣ و ٩) تعطى له كعلاج مر مبيد للخطيئة .

وقد يكون تهجم الاولاد على والديهم ايضاً جزاء عن الآثام كما شهد بذلك ود النبي حينما هاجمه ابنه ابيشالوم لاجل اتصاله غير المشروع بامرأة اوريا . كذلك حينما يهجم اخوتك عليك فلا تحزن منهم قبل ان تفحص نفسك وتعلم لاجل اية خطيئة اصبح اخوتك اعداء لك . ولو كان الانسان يتحمل الهجوم احياناً من اخوته ليس لاجل الاثم فقط . فان يوسف تحمل عداوة اخوته من دون ان يعمل شراً لهم ، وكذلك ايوب تعرض لاهانة زوجه لا لاجل الخطيئة ، ولكن على الغالب اكثر الناس يتحملون عداوة اهل بيوتهم من اجل آثامهم . فكثيراً ما ينقلب الاصدقاء اعداء والمحبون مبغضين لاشمئزازهم من الخاطىء ، ولان الله

يسمح بذلك لاسباب يعرفها هو . وهكذا كتب داود النبي عن المصريين في المزمور المئة والرابع : حول قلوبهم حتى ابغضوا شعبه (١٠٤ : ٢٥) فالله لم يسمح بالبغضاء لو لم تكن محبتهم فاسدة واذا كانت البغضاء علة للخير فهي افضل من المحبة التي تؤدي الى الهلاك فكثيراً ما يثور العبيد والمرؤوسون على ساداتهم بسبب الآثام .

ان آدم قبل ان يخطىء كانت الوحوش الضارية تنقاد له وهو الذي سماها باسمائها كأنها عبيده . ولكن لما دنس وجهه بالخطيئة جهلته الوحوش وصارت اعداء له بدلا من العبيد . الا ترى الكلب الاليف ينقاد لمن يطعمه ويخافه ويرتجف منه ، لكن اذا رأى وجهه ملطخاً بالسواد او يحمل وجهاً مستعاراً فانه يهجم عليه كغريب لا يعرفه ويحاول تمزيقه . هكذا حدث فقد كانت الوحوش تطيعه وتخشاه حينما حفظ وجهه المخلوق على صورة الله طاهراً . ولكن ، حينما شوّهه بالخطيئة لم تعرفه الوحوش وعادته وانقلبت عليه كأنه غريب عنها . وعلى هذه الصورة كثيراً ماتكون ثورة العبيد على غيرهم جزاء عن الخطيئة . فدانيال النبي كان باراً ، ولذلك اعترفت الاسود بسيادته ، ولما وجدته بريئاً من الخطيئة برأته من القصاص . (دانيال ٦ : ٢٢) وقد اخطأ احد الانبياء بكذبه فصادف اسداً فقتله الاسد وبقيت جثته ملقاة على الطريق لان الاسد لم يعرف النبي الذي شوّه وجهه بالكذب ، فلو رأى فيه نبياً كدانيال لاحترمه . ولكن رأى فيه نبياً كاذباً فهجم عليه كغريب ، لان السيد كذب والعبد رفض سيادته .

وماذا اقول عن المصائب البيتية في الاسرة فان اجسادنا التي هي اقرب شيء منا واحب شيء الينا تنتقم منا بالحميات المختلفة والامراض الكثيرة والآلام الشديدة اذاوقعنا في الخطيئة . فان كان الجسد المتعبد للنفس يقتص منها وهي مسيطرة عليه ويفعل ذلك لا بارادته بل تتميما لما أمر به . وقد شهد بذلك السيد المسيح الذي قال للمخلع حينما شفاه من مرضه : ها انت قد عوفيت فلا تعد

تخطىء لئلا يصيبك شر من ذلك (يوحنا ٥ : ١٤) فما دامت الحرب الاهلية مع الاقارب والعبيد والامراض الجسدية تكون غالبا من اجل الخطايا والاثام فلنبد مصدرها ، اي الشر ، ونستأصل الخطيئة !

المسرات الناشئة عن الخيرات الارضية زائلة

والمسرات الناشئة عن الاعمال الصالحة ثابتة

ولكني ساراكم أيضاً فتفرح قلوبكم ولا ينزع احد فرحكم منكم (يوحنا ١٦ : ٢٣) ان الآية وجيزة ولكن تعزية كبيرة فيها . فماذا يعني بقوله ولا ينزع احد فرحكم منكم ؟ أعندك مال ؟ فان كثيرين قادرون ان ينزعوا هذا الفرح منك . اللص ينقب الجدار والعبد يأخذ ما سلم اليه والملك يأخذ ميراثك إلى خزينته والحسود يطعن بك ويذمك . ألك سلطة ؟ كثيرون قادرون ان ينزعوا هذه المسرة منك فاذا انتهت مدة الرئاسة انتهت معها الافراح ، مع انه في وقت الرئاسة توجد أعمال شاقة مقرونة بالهموم تسلبك كثيراً من المسرة ؛ اتتمتع بجسم قوي ؟ يأتيك مرض وينزع هذه المسرة منك ، أأنت جميل وحسن المنظر ستأتي الشيخوخة وتاخذ هذه المسرة منك ؛أفرح برونق مائدتك؟ يأتي المساء وتنتهي الوليمة ومعها السرور ايضاً . وهكذا تزول كل الاشياء الأرضية بسهولة ولا تقدر ان تكون ثابتة اما التقوى والحماسة الروحية فلها تأثير آخر ، فان أحسنت الى غيرك لا يقدر احد ان ينزع منك عمل الخير ولو احاطت بك الجنود والملوك وألوف النامين وخبيثي النية فانهم لا يستطيعون ان ينزعوا ما امتلكت في السموات لان هذه المسرة خالدة كما قيل : بدد واعطى المساكين فبره يدوم الى الابد (مزمور ١١١ : ٩) وبحق قيل : انها تحفظ في الكنوز السماوية حيث لا سارق ينقب ولا لص يسلب ولا سوس يفسد (متى ٦ : ٢٠)

فان كنت تواظب على الصلاة بحرارة لا احد يقدر أن يسرق ثمرها منك لان هذه الثمار قد مدت جذورها في السماء ولا خطر عليها من الضرر البتة لمناعتها . فاذا تحملت الشر وفعلت الخير وصبرت على النميمة وباركت الشتيمة فهذه الاعمال الصالحة تبقى خالدة ولا احد ينزع مسراتها منك بل كلما تذكرتها تفرح وتبتهج وتذوق لذة عظيمة .

ان فعلت خطيئة لا يجوز ان تعذر نفسك عنها

ان خطئت فشر ، وان انكرت ما فعلت فشر اكبر ، لان الانكار سلاح الشيطان . وهذا ما حدث مع الانسان الاول فحينما كان يتوجب على آدم ان يعترف بخطيئته ، ألقى الذنب على امرأته وهذه ألقته على الشيطان مع انه كان من الواجب على آدم ان يقول : « قد خطئت وخرقت الناموس » لكنه مع حواء لم يعترفا بالذنب بل اختلق العذر لنفسيهما لان الشيطان يعلم بان الاعتراف بالذنب هو الخلاص منه لذلك يحول الانسان الى التصلب برأيه الشائن . أما انت أيها الحبيب فحينما تخطىء قل انني اخطأت فلا شيء اعدل من هذا الاعتذار . وبهذه الصورة تستعطف الله وتمنع نفسك من الاتيان بمثل هذه الخطيئة . أما إن اخذت بتقديم الحجج الفارغة لتعتق نفسك من الخطيئة فانك تشجعها بلا ريب على اقتراف الذنب نفسه مرة ثانية وتجلب على نفسك غضب الله الشديد .

لا تيأس من الخلاص

لا تقل أنا هالك فماذا أفعل . ولا تقل أنا مريض فأي شيء أعمل ؟ عندك طبيب ارفع من الامراض . عندك طبيب يغلب قوة المرض ، ويشفي بايعاز

واحد . طبيب يقدر ويريد ان يشفيك ، فاذا كان قد أوجدك من العدم فانه يصلحك ما دمت موجوداً ومتضرراً . ألم تسمع كيف انه تعالى اخذ تراباً وصنع منه انساناً ؟ كيف صنع التراب جسداً كيف ركب الاعصاب والعظام والبشرة والعروق والانف والعينين والاهداب والحواجب والصدر واليدين والرجلين وبقية الاعضاء ؟ لقد اخذ تراباً فقط وهو عضو واحد وكونه ، ومنه تشكلت أعضاء مختلفة . فانت تقدر ان تقول كيف خلقت ؟ وهكذا تقدر ان تقول كيف تباد خطاياك ؟ ان النار اذا سقطت في الشوك تبيده ، فكم بالحري ارادة الله فانها تبيد خطايانا وتقلعها من جذورها وتجعل الخاطىء كالصالح . لا تسأل عن كيفية ذلك ولا كيف يجري ، لكن آمن فقط بهذه العجيبة !

تقول انك خطئت كثيراً وخطيئتك عظيمة ! لكن من هو من البشر بلا خطيئة ؟ تقول ان خطيئتك ثقيلة وهي اكبر واثقل من خطايا الجميع ولكن حسبك ان تقدم هذه الذبيحة ! ذكرني فنتحاكم معاً وأخبر أنت لتتزكى (اشعيا ٤٣ : ٢٦) اعترف بأنك خطئت فهذا هو العمل الاول لاصلاحك ، واحزن واسحق قلبك واذرف الدموع فهل فعلت الزانية خلاف ذلك ؟ كلا لم تذرف سوى دموع التوبة . لقد اتخذت لنفسها التوبة دليلاً وجاءت الى ينبوع الحق .

عن الامتحان الذاتي يومياً

بعد العشاء حينما تذهب الى النوم وتستعد ان تضطجع في فراشك اذ يسود السكون ، ولا احد يزعجك ، ابتديء بمحاكمة الضمير ، واعط الحساب عن الافكار الفاسدة التي خطرت لك أثناء النهار كله بالخداع وتهيئة المكيدة للقريب والسماح للشهوات الرديئة ان تجول في خاطرك . استعرض هذا كله وحكم ضميرك

بهذه الافكار الفاسدة لكي تقصيها وتقضي عليها وتقتص من نفسك الخاطئة . فان كان من الواجب قصاص الافكار الفاسدة حتى لا تظهر الى عالم الوجود، فالاحرى ان يتم انسحاق النفس لاجل الاعمال والكلمات الرديئة .

إفعل ذلك يومياً ، ولا ترقد أيها الانسان قبل ان تفكر بالخطايا التي فعلتها اثناء النهار .

يجب ان تعترف بخطاياك بنقاوة قلب

لا شيء يزيل الخطيئة سوى اظهارها والحكم عليها بالتوبة والدموع . فهل حكمت على خطيئتك ؟ بهذا وحده تزول عنك الاثقال . من قال ذلك ؟ الحاكم نفسه وهو الله : ذكرني فنتحاكم معاً واخبر انت لتتزكى (اشعيا ٤٣ : ٢٦) قل لي لماذا تخجل وتتورد وجنتاك عندما تعترف بالخطيئة ؟ فهل تقول ذلك لانسان يوبخك على ما فعلت ؟ وهل تعترف أنت أمام عبد يذيع اعمالك ؟ إنك تكشف جرحك للسيد الوهاب والمحب البشر الى الطبيب الشافي فهو يعلم باعمالنا قبل حدوثها أفلا يعلم ان كنت تقولها أم لا ؟ هل يكون الذنب ثقيلاً اذا ندمت عليه ؟ بالعكس انه يخفف والله تعالى يأمرك بالاعتراف لا ليقتص منك بل ليسامحك ، وليس ليعلم خطيئتك . انه يعرفها من دون اعترافك . فلكي تعلم انت الدين الذي تسامح بواسطته يريد ان يريك مقدار رأفته لتشكره دائماً وتبطىء بفعل الخطيئة وتكون اشد حرارة لعمل الخير ، فانه يقول : أنا لا اجبرك على الخروج الى وسط المسرح واحاطتك بالجمع الغفير . قل لي خطيئتك على انفراد وأنا أداوي جراحك وانقذك من المرض .

عن فائدة الاعتراف

للحزن بالرب فائدة قوية . عن هذا قال اشعيا والافضل يقال ان الله اعلن بواسطة اشعيا : إنما سخطت لإثم شرهه فضربته واحتجبت وغضبت (أشعيا : ٥٧ : ١٧) هو لم يضع القصاص بنسبة الذنب لانه محب البشر لذلك عبر عن هذا بقوله : لقد رأيت طرقه وسأشفيه وأهديه وأرد التعازي عليه وعلى نواحه (اشعيا ٥٧ : ١٨) أفرأيت ما اسرع واعظم فائدة التوبة ؟ لم يقتص من المذنب كثيراً بل عندما رأى حزنه و كآبته يقول الرب اني تركت هذا القصاص وهكذا الله مستعد ان يصالحنا مفتشا عن سبب صغير لذلك . فلنقدم هذه الاسباب للرب ، أي أن نظهر المحبة لانفسنا حافظين ذواتنا من الخطيئة واذا عثرنا مرة فلننهض حالاً نادمين على خطايانا بسلامة قلب كي نحصل على المسرة بالرب .

على اي شيء يتوقف الصوم الحقيقي

جرت العادة في الصوم الأربعيني أن يسأل كل الاخر عن عدد الاسابيع التي صامها . ومن المحتمل ان نسمع ان واحد أصام اثنين او ثلاثة ، وآخر صام الصوم كله. فما الفائدة اذا اجتزنا الصوم من دون اعمال صالحة ؟ فاذا سمعت احداً يقول إنه صام الصوم الأربعيني كله ، فقل له : كان لك عدو فسالمته ، وكنت معتاداً على النميمة فتركت هذه العادة ، وكنت تهزأ بالاخرين ، فأهملت هذه العادة الذميمة أيضاً . فليست الفائدة للملاحين في اجتيازهم المسافات الكبيرة في البحار فقط بل في اجتيازهم إياها مع الاحمال الثقيلة والبضائع الكثيرة . كذلك نحن لا فائدة لنا من الصيام ان اجتزناه سدى بدون تأمل . فان كان صيامنا في الامساك عن الطعام فقط ، فالاربعون يوما تمضي ويمضي الصيام معها ، أما إن امتنعنا عن

الخطايا ، فالصيام باق لنا مع فائدته الدائمة ونحصل على جوائز كثيرة قبل الذهاب الى ملكوت السموات . فكما ان الاشرار تبكتهم ضمائرهم قبل الذهاب الى جهنم ، هكذا الاغنياء بالاعمال الصالحة ، فإنهم يتلذذون بالمسرات ويتغذون بالرجاء الحسن قبل الدخول الى الملكوت السماوي .

طوبى لكل من يتقي الرب ويسلك في طرقه

(مزمور ١٢٧ : ١)

ما هي طرق الرب ، أليست هي الحياة الصالحة ؟ التي بواسطتها نتمكن من الصعود الى السماء والوصول الى الوطن حيث نرى الله تعالى بقدر ما يمكن الانسان ان يراه ؟ انها تسمى طرقاً لاننا بواسطتها نتمكن من الوصول الى الله . والنبي يقول طرقه لا طريقه ، لانها كثيرة وبها يسهل الصعود اليه . فبعض الناس يتلألأون بالبتولية ، وبعضهم يتمجدون بحياتهم الزوجية ، وبعضهم يزدانون بالترمل . أناس رفضوا الكل وآخرون النصف . الاولون يصعدون بالحياة الصالحة والاخرون بالتوبة . فلتسهيل خطواتك جعل الله الطرق كثيرة ، فاذا لم تقدر ان تحفظ جسدك طاهراً بعد حمام المعمودية ، فانك تطهره بالتوبة او بالغنى او بالاحسان . أليس عندك مال ؟ فإنك تقدر ان تعود المريض ، وتزور السجين ، وتسقي الظمآن ، وتؤاوي الغريب ، وتقدم فلسين كالأرملة ، وتبكي مع الباكين ، وهذه حسنة ايضاً . وان كنت لا تملك شيئاً ، او فقيراً جداً ، او ضعيف الجسم ، فلا تقدر على الحركة ، احتمل هذا كله بالشكر فتحصل على جائزة عظيمة .

هكذا كانت فضيلة لعازر ، فهو لم يساعد احداً . وكيف يمكنه ذلك وهو يحتاج الى القوت الضروري ، ولم يتمكن من ان يعود المريض لان الكلاب كانت تلحس قروحه ، ومع ذلك فقد نال الجائزة لاحتماله ذلك بالصبر والشجاعة ،

ولانه كان يرى ذلك الغني القاسي العديم الانسانية متمتعاً بانواع المجد والترف كلها، ويرى نفسه محاطاً بالمصائب ، ولكنه لم يفه بكلمة رديئة . لذلك ورث احضان ابرهيم ، وهو لم يكن افضل من الميت مطروحاً عند ابواب الغني بل نال الاكليل من البطريرك ابرهيم لاعماله الصالحة وتمجد معه ووضع في احضانه ، مع انه لم يحسن الى احد ولم يعط يده للقريب ولم يقبل الغرباء في بيته ولم يقدر ان يفعل شيئاً من ذلك مطلقاً وقد نال الاكليل اللامع لانه لم يفتأ يشكر الله . فهذه اعمال صالحة وعظيمة وحكيمة تستحق الشكر مع هذه الآلام ، وتعد من أسمى الفضائل . لذلك ايوب نال الاكليل . وبهذه المناسبة قال الشيطان : انما الجلد بالجلد وان كل ما يحوزه الرجل يعطيه فداء عن نفسه ، ولكن امدد الان يدك والمس عظمه ولحمه فانه يجدف عليك في وجهك . (ايوب ٢: ٤و٥).

فانه ليس بالامر اليسير امساك النفس المتألمة عن الخطيئة فهو يعادل الاستشهاد واسمى من كل الاعمال الخيرية .

انك اليوم تكون معي في الفردوس

(لوقا ٢٣: ٤٣)

شرف عظيم ومحبة بشرية سامية وتحنن فائق الوصف الدخول مع السيد لانه اعظم وامجد من الدخول الى الفردوس . فسلني ما هذا ؟ ماذا فعل اللص حتى استحق الفردوس بغتة وهو على الصليب ؟ أتريد ان اشرح لك باختصار وأريك صلاح اللص ؟ ان بطرس المتقدم في التلاميذ حينما انكر السيد وقتئذ من تحت اعترف اللص المرفوع على الصليب بالمسيح . اقول ذلك لا لانتقد بطرس حاشا بل اريد ان ابين سموّ نفس اللص وحكمته الفائقة . ان بطرس لم يثبت امام تهديد الجارية السافلة. اما اللص فكان يرى الشعب الرديء الواقف حوله صارخاً

وموجهاً الالوف من الشتائم الى« المصلوب » ولكنه لم ينظر الى تذليل الايمان بل ازدرى هذه الموانع كلها وهذه الدناءة في الاسفل وعرف السيد السماوي اذ قال: اذكرني يا رب متى جئت في ملكوتك (لوقا ٢٣ : ٤٢)

فلا ندع هذه الكلمات تمر من دون انتباه ولا نخجل من ان نأخذ هذا اللص معلماً لنا الذي لم يخجل به سيدنا بل ادخله الفردوس قبل الجميع . لا نخجل ان نتخذ معلماً لنا ذلك الشخص الذي هو اول من ظهر من الجنس البشري مستحقاً الحياة في الفردوس . ولنتتبع كل كلمة من كلماته فنعلم منها قوة الصليب .

ان السيد لم يقل للص كما قال لبطرس واندراوس : هلم ورائي فاجعلكما صيادي الناس (متى ٤ : ١٩) ولم يقل له كما قال للاثني عشر تلميذاً تجلسون انتم ايضاً على اثني عشر كرسياً تدينون اسباط اسرائيل الاثني عشر (متى ١٩:٢٨) حتى انه لم يكرمه بكلمة . لم ير اللص عجائب ، ولا مائتاً قام ، ولا الارواح النجسة مطرودة ، ولا البحر طائعاً لاوامر السيد ، ولم يسمع حديثه عن الملكوت . فمن اين عرف اسمه ؟ لنفهم اذاً اصالة رأيه العظيمة فالانجيل يقول : ان اللص الاخر كان يجدف عليه (لوقا ٢٣:٣٩) وقد صلب اللص الاخر مع السيد ليتم ما قال النبي : وأحصي مع أثمة (اشعيا ٥٣:١٢) ان اليهود الحمقاء ارادوا ان يكسفوا مجد السيد فجربوا كل ما حدث ، ولكن الحق نبت من بين الموانع الكثيرة وصار اوضح من ذي قبل . وهكذا اللص الاخر جدف عليه ، وواحد من الانجيليين يقول ان الاثنين اللذين صلبا معه كانا يعيرانه (مرقس ٥ : ٣٢) وهذا حق . ومن هنا تظهر لنا كلمة الله جلياً ، وربما كان يجدف اولاً ثم تغير فجأة ، اما اللص الاخر فكان يجدف عليه . الاثنان على الصليب ، الاثنان صلبا من اجل الخطيئة من اجل الحياة اللصوصية ، ولكن نصيبهما لم يكن واحداً ، الاول ورث الملكوت ، والثاني طرح في الجحيم . وفي الامس كان التلاميذ الواحد يتحفز ، لتسليم المسيح ، والاخرون يقدمون خدمتهم . الاول يقول

للفريسيين ماذا تريدون ان تعطوني ، وانا اسلمه اليكم (متى ٢٦:١٥) والاخرون تقدموا الى يسوع قائلين : اين تريد ان نعدّ لك لتأكل الفصح (متى ٢٦ : ١٧) وهنا ايضاً لصان ، الواحد يشتم والاخر يشد له فاه ، الاول يجدف والثاني يوبخه مع انه يرى المسيح مصلوباً محكوماً عليه والشعب اسفل يشتم ويصرخ . كل هذا لم يمنع اللص ويحوله عن التمجيد اللائق ، وتوبيخ اللص الاخر بشدة قائلاً له : اما تخشى الله وانت مشترك في هذا القصاص (لوقا ٢٣:٤٠)

اترى جسارته ؟ اترى كيف انه لم ينس حذاقته على الصليب ، وباعترافه يكتسب الملكوت ؟ الا تخاف الله ؟ يقول هو : اترى مهارته على الصليب ، اترى حكمته وتقواه ؟ لقد كان بادراكه الكامل ، وحفظ سداد رأيه مع انه كان على الصليب يتحمل الآلام الشديدة . افلا تستوجب الاعجاب حكمته البالغة ؟ انا لا اراه مستحقاً للاعجاب فقط بل اطوبه ، لانه لم يلتفت الى آلامه بل اهمل نفسه واهتم لرفيقه مجتهداً ان ينقذه من الضلال فصار بهذا معلماً وهو على الصليب . او لا تخاف الله ؟ يقول هو ، وكأنه يقول له : انك تنظر الى الحكم العالمي ولا تحكم بالظواهر ولا تأبه بما يجري لان حاكماً آخر موجود غير منظور ، توجد محكمة اخرى لا ترتشي ولا تخطىء بحكمها ، اذن لا تنظر الى حكمهم عليه فهناك لا يحدث مثل هذا .

في المحاكم البشرية كثيراً ما يحكمون على الابرياء ويطلقون المجرمين والصديقون يقعون تحت القصاص والخطأة ينجون منه ، لان كثيرين من البشر يغيرون اعمال المحكوم عمداً أو قسراً وأحياناً ينخدعون بعدم معرفة الحق وأحياناً يعرفونه ، ولكنهم يتجاهلونه لأجل الرشوة ويحكمون على الابرياء . اما في العلاء فلا يحدث مثل هذا لان الله هو الحاكم الحقيقي وحكمه يصدر كالنور فلا ظلام فيه ولا يسمح بأدنى تحريف . لو لم يقر اللص باستحقاقه للحكم عليه لما تبرر ورفع أفكار الاخر الى محكمة العلاء الى العرش الرهيب الى الحاكم الذي لا يرتشي الى الحاكم المعصوم ، مذكراً اياه بالحكم الرهيب قائلاً : انظر الى هناك ولا تحكم على غيرك ، ولا تقف

مع هؤلاء الناس بل تقبل الحكم الاعلى مندهشاً ، ألا تخاف انت الله ؟

هذه هي حكمة اللص ! أرأيت اصالة رأيه أرأيت تعليمه ؟ انه ارتفع من الصليب الى السماء بغتة ، تأمل كيف انه تمم قانون الرسل. لم يهتم بنفسه فقط بل عمل كل الوسائط على قدر استطاعته كي ينقذ غيره من الضلال ويرشده الى طريق الحق ، لأنه يقول له : ألا تخاف أنت الله ؟ ثم يردف : وانت تحت هذا الحكم بعينيه ؟ (لوقا ٢٣ : ٤٠) تأمل بهذا الاعتراف الصريح !

لهذا قبل ان توجه اليه شتائمك وجهها الى ذاتك ! لأن الاشرار يجب ان يدينوا انفسهم قبل ان يدينوا غيرهم ، وعلى الفاسدين ان يؤاخذوا انفسهم قبل ان يلوموا سواهم . « اذ انت تحت هذا الحكم بعينه » . انه لم يجعل المسيح شريكا لهما بهذا القول . ألا ترى اعترافه الحقيقي على الصليب ؟ ارايت كيف غسل إثمه وتمم امر النبي القائل : ذكرني فنتحاكم معاً واخبر انت لتتزكى (اشعيا ٤٣ : ٢٦) لم يجبره احد على الاعتراف ولم يؤاخذ من آخر بل آخذ نفسه . ولذلك لم يؤاخذ من احد فيما بعد . انه سبق وآخذ نفسه مؤنباً إياها وقال : أما نحن فبعدل لأننا ننال استحقاق ما فعلنا ، واما هذا فلم يفعل شيئاً في غير محله . اترى تقواه العظيمة ؟ فقد آخذ نفسه وانتقد عمله ، وبرأ السيد قائلاً « لاننا ننال استحقاق ما فعلنا واما هذا فلم يفعل شيئاً في غير محله » وبعد هذا الكلام يجب ان يقدم طلبه : اذكرني يا رب متى اتيت بملكوتك (لوقا ٢٣ : ٤٢) لم يجسر اللص سابقاً ان يقول « اذكرني » لكنه طهر نفسه اولا من ادران الخطيئة ثم برر ذاته بحكمه على نفسه . وبذلك طرح خطاياه كلها .

ارايت قوة الاعتراف على الصليب ؟ فان سمعت هذا لا تيأس ايها الحبيب بل ضع نصب عينيك محبة الله للبشر التي لا نستطيع التعبير عنها . اسرع الى تطهير نفسك بالتوبة عن الخطايا فاذا كان السيد تكرم برأفته على اللص المصلوب معه فكم بالحري يتكرم علينا بمحبته للبشر ان اعترفنا بخطايانا . اذن يجب ان نستفيد

من محبته ولا نخجل من الاعتراف بخطايانا ، لأن قوة الاعتراف عظيمة وتقدر ان تفعل كثيراً . فاللص اعترف فوجد ابواب الفردوس مفتوحة . اعترف فتجرأ ان يطلب الملكوت مع انه لص . لم يطلب ملكوت الله قبل الاعتراف بل بعده. فقل لي ايها اللص كيف تذكرت ملكوت السموات ؟ ماذا فعلت الان وامام عينيك المسامير والصليب والتهمة والهزء والشتائم ؟ فيقول نعم ارى . ولكن الصليب نفسه رمز للملكوت فلذلك ادعو المصلوب عليه ملكاً لان المتوجب على الملك ان يموت عن رعيته ، ولان المسيح قال : الراعي يبذل نفسه عن الخراف (يوحنا ١٠:١١) لذلك بذل الراعي نفسه عن شعبه ولانه بذل نفسه فانا ادعوه ملكاً .اذكرني يا رب متى اتيت بملكوتك (لوقا ٢٣:٤٢) .

الى الذين يتقدمون لمناولة الاسرار المقدسة بدون الاستعداد اللازم

كثيرون من المؤمنين أمعنوا في الجهالة والتهاون العظيم فيتقدمون لمناولة الاسرار المقدسة في الاعياد ، مملوئين بالخطايا وغير مهتمين لنفوسهم ، ولا عالمين ان وقت المناولة المقدسة لا يحده عيد او فرح ، بل الضمير النقي والحياة التي لا عيب فيها . فكل من يعرف نفسه نقية من الخطيئة يجوز له ان يتقدم الى الاسرار الطاهرة يومياً ، وبالعكس فان المثقل بالخطايا وغير التائب عنها ، لا يخلو تقدمه اليها من الخطر حتى في الاعياد ، لاننا نتقدم اليها مرة في السنة ، فان كان تقدمنا هذا عن غير استحقاق ، لا يبررنا من الذنوب ، بل يكون دينونة لنا لاننا تقدمنا مرة واحدة في السنة ، ومع ذلك بلا طهارة .

لذلك يجب ان تتقدموا لمناولة الاسرار المقدسة ، ليس لاجل العيد فقط .

واذا شئتم ان تتناولوا الذبيحة المقدسة فيجب عليكم قبل الوقت ببضعة ايام ان تستعدوا وتطهروا نفوسكم بالتوبة والصلاة والاحسان وتصرفوا اوقاتكم بالاعمال الروحية والا تلتفتوا الى الوراء كالكلب الذي يرتدالى بصاقه . انه لخيف الاهتمام بالاشياء الجسدية فقط ، لان كل انسان ، بمناسبة حلول العيد ، يخرج اجمل الثياب من صندوقه ويعدها للعيد قبل حلوله بايام ويشتري حذاء جديداً ويدّخر المؤونة الكافية للمائدة ويهيء الألوان الكثيرة من الطعام الفاخر ، ويرتب بيته ويزينه بقدر ما يستطيع . اما نفسه المهملة الدنسة والملطخة بالخطيئة والمتضورة جوعاً ، فانه يتركها جانباً من دون اكتراث ، فيدخل جسده الى العيد مزيناً . واما نفسه فيتركها عارية مشوّهة . ان جسدك لا يراه سوى العبد الاعتيادي ، فلذا لا يضرك كيفما كنت لابساً . اما نفسك فيراها السيد .وبماأنكلم تهتم بها تقع تحت القصاص العظيم .

الا تعلمون ان هذه المائدة ملآنة من النار الروحية ، وانها كالينابيع تخرج منها الحياة الطبيعية ، وتحفظ ايضاً في ذاتها لهيباً لا يوصف . لذلك ، لا تتقدم الى الاسرار المقدسة بالتبن والحطب والهشيم اليابس كي لا يزداد اللهيب وتحترق نفس المتقدم . بل تقدم اليها بالحجارة الكريمة والذهب والفضة لتتنقى عناصرها ، وتخرج منها بالربح الكثير . ان كان في نفسك شيء رديء فاطرده خارجاً . وان كان لك عدو وتحملت منه اهانة عظيمة ، فاجعل حداً للعداوة معه ، وسكن لهيب نفسك المضطربة كي لا يكون ادنى هيجان او اضطراب في داخلها، فانك تتقبل بها ملك الكل بواسطة المناولة حيث يكون السكون العظيم والهدوء السائد والسلام في الافكار .

ماذا ينفعنا في يوم الدينونة الرهيب

لا المجد ولا الغنى ولا الشهرة العالمية ينفعنا في يوم الدينونة الرهيب ، بل تتميم الوصايا المقترن بحفظ حقيقة العقائد . فلا تنس ذلك قطعاً ولا تنزع مخافة الله من قلبك واعلم ان نفسنا بلا ريب في يد الله تعالى ، فهو يطيل حياة من يشاء ، ويقصر حياة من يشاء ، لانه هو القائل : « انا اميت واحيي وليس من يدي مخلص (تثنيه ٣٢:٣٩) فمخيف هو الوقوع في يدي الله الحي (عبرانيين ١٠:٣١) كلنا نحن البشر تراب ، رماد ، زهر ، كلأ ، غبار ، ظل ،دخان، رؤيا ، نعيش ولكن لا نملك الحياة . لانه في تلك اللحظة التي حكم فيها على جنسنا البشري كله : لانك تراب والى تراب تعود (خروج ٣:١٩) اثبت علينا الموت والفساد وحكم على الجميع بالموت . الواحد يموت اليوم والاخر يموت غداً . اصلنا من التراب وسنعود اليه بعد جزء من الزمن . كل يموت . الملوك والعامة والرؤساء والمرؤوسون !

تذكر فقط ان الذين فعلوا الصالحات يطوبون في الحياة وفي الممات وفي يوم الدينونة الرهيب الى قيامة الحياة الابدية ، واما الذين عملوا السيئات ، فقد تنصب عليهم الشتائم واللعنات في هذه الحياة وتكون قيامتهم قيامة دينونة (يوحنا ٥:٢٩) تعالوا تعلموا مني لاني وديع ومتواضع القلب (متى ١١:٢٩) انا اتكلم ليس حسب ما انا بل اتكلم بحسب رحمتي . اني احب الرحمة اكثر من السلطة ! انا ملك الكل اتكلم معك فما اعظم قوتي . ولكن لا اريد ان اقهر ضعفك باقتداري . انا لا اقول تعالوا تعلموا مني لاني سيد الخليقة والهها الذي ينظر الى الارض فيجعلها ترتجف ، الذي قاس السموات بالشبر وكال تراب الارض بالمكيال (اشعيا ٤٠:١٢) لكن تعالوا تعلموا مني لاني وديع ومتواضع القلب. انا وديع: لانك انت اخطأت وانا تحملت الجلد. انا متواضع باختياري.

انا السيد جئت لاخلص الذين كانوا تحت يد العبودية . هم ضربوني على وجنتي . العبيد صلبوني وانا المخلص . لكني لم انظر الى هذا كله بل كنت اصلي الى ابي قائلاً : يا ابتاه اغفر لهم لانهم لا يعلمون ماذا يفعلون (لوقا ٢٣ : ٣٤) اذن تعالوا تعلموا مني لاني وديع ومتواضع القلب . انا اطلب منكم نشاطاً ولا اخجل ان اطلب من عبيدي واتوسل اليهم كي لا اضطـــر الى قصاصهم . تعالوا تعلموا مني الوداعة قبل ان تروا المخيف مني ! تعالوا فاني الان ابرئكم وسريعاً ادينكم . انا مشفق الان ، وبعد قليل سانطق بالحكم عليكم . انا رحوم الان ، وبعـــد قليل اكون دياناً حقاً . تعالوا تعلموا مني لاني وديع ومتواضع القلب ! اتحترمون تواضعي او تخشون اقتداري ؟ تعالوا وتداركوا ظهور وجهي بالاعتراف لان وداعتي محدودة بوقت معروف ! فالحياة الحـاضرة هي وقت ظهور طول اناتي فقط ، هكذا يقول السيد : سيأتي وقت حين تغلق ابواب رحمتي ورأفتي سيأتي وقت حين لا ينفع الخاطىء ذرف الدموع ، يأتي وقت حـين صوت البوق يعلن عن مجيئي الثاني اذ تطير الملائكة فوق الارض كلها وتحضر الى الدينونة ربوات من الاموات وحينئذ يوضـــع العرش ، وانا آتي على القوات العلوية ، ترافقني الرئاسة والقدرة اينما سرت ،واذ ذاك انوار ملكوتي تضيء العالم باسره ، فتفتح الاعمال الارضية امام كل فرد ويكافأ كل من تمم الناموس بدقة ، ويلفظ الحكم الشديد على الشياطين اذ يقف المدان وليس له الا اعماله فتلومـــه افكاره ويحكم ضميره عليه .

عندئذ تصغي الارواح الشريرة لكلام الديان والنار تنتظر حكمه . فلا تفيد الصارخ وقتئذ كلمة ارحم ! اذن تعالوا قبل ان ابدأ بالدينونة لانني ان اغلقت الابواب وجلست كي ادين فلا ارحم ، ولهذا قدمت بايضاح مثـــل العذارى الجاهلات اللواتي لم يكن في مصباحهن زيت الحـــق فانطفأ واغلق باب قصر العرس ولما طرقنه اجابهن العريس من الداخل : ما اعرفكنّ (متى٢٥ : ١)

وهكذا يا اخوة ، فلا نضيع وقت الاصلاح ، ولنثبت نفوسنا بالاعمـــال

الصالحة والاحسان ! وليملك كل منا ما يحتاج الى الحياة الابدية ولنبتعد عن الاعمال الفاسدة ولنزين نفوسنا بالعفاف والطهارة ولنتمسك بتلك اللؤلؤة الفائقة الثمن وهي الايمان الطاهر قبل ان تنتهي حياتنا ويباد العالم ونور المجد البشري وكل الملذات العالمية . ولنرض الديان لانه يقول : اني لا أسر بموت من يموت يقول السيد الرب : فارجعوا واحيوا (حزقيال ١٨ : ٣٢) فلو شاء موت الخاطىء لما قال ما ذكر . هو يريد أن يرحم ولذلك يحذر . إنه يشفق ليثبت وينبيء لكي يحولك عن الخطر الحقيقي ، فانه ان هدّد يريد النجاة ، وان سكت يقصد القصاص ، وهذا نعلمه من الامثاله . فان الله حين هدّد اهل نينوى رحمهم وحين سكت عن اهل سادوم أهلكهم . انه اعدّ الاكاليل لنا اذا لم نجلب العذاب لنفوسنا . انه يريد الغاء الجحيم ، واقفال سجن الظلمة ، وصب كل غضبه على الشيطان . يريد ان يجلس ليدين لا لاجل قصاص البشر بل لكي يعطي الاكاليل . فان كان سيدنا هكذا فلنقبل بحرارة على كلامه مملوئين رأفة ومصغين لكلماته : تعالوا تعلموا مني لاني وديع ومتواضع القلب كي نستحق ان نسمع صوته المرغوب : تعالوا يا مباركي ابي رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم (متى ٢٥:٣٤) ونستحق ان نسرّ به بنعمة المحب البشر سيدنا يسوع المسيح الذي له المجد مع الاب والروح القدس الى دهر الداهرين امين .

عن المنفعة الناتجة من استماع الكتب المقدسة

ان شئت ان تعلم ما هي الفائدة الناتجة عن قراءة الكتب المقدسة جرب بنفسك ماذا يحدث معها عند سماعك المزامير او الاغاني الشيطانية ؟ في اية حال روحانية تكون اذ تصرف الوقت في الكنيسة ، وفي اية حالة تكون اذ تصرف الوقت في المسرح ، ومن هذا ترى الفرق العظيم بين الحالة الاولى والثانية . مع ان النفس واحدة في الحالتين لم تتغير . لذلك قال بولس الرسول : لان هذا الفاسد لا بد ان يلبس عدم الفساد (كورنثوس الاولى ١٥:٥٣)

اذن ! نحن في حاجة كلية الى استماع الاناشيد الروحية في كل حين ، وبهذا فقط نمتاز عن الحيوان الذي نحن احط منه من وجوه عديدة. فاستماع الكتب المقدسة غذاء النفس وزينتها وحصنها ، وبالعكس ان لم تسمعها ، اذ بهذا مجاعتها وهلاكها . هوذا ايام تأتي يقول السيد الرب ارسل جوعاً في الارض لا جوعاً للخبز ولا عطشاً للماء بل لاستماع كلمة الرب (عاموص ٨:١١) فهل نحن اشد حاجة الى الشر الذي يهددنا به الرب؟انك بهذا تجلب القصاص على رأسك عن طيبة خاطر وتهلك نفسك بالجوع ، وتجعلها اضعف من كل شيء في العالم .

كلمة عادية تفسد النفس او تشفيها ، فهي تثير الغضب فيها وتؤنبها ايضاً . كلمة فاسدة تهيج الشهوات ، وكلمة اخلاقية صالحة تحرّض على العفة والطهارة . فان كان للكلمة العادية قوة كهذه ، فكيف انت لا تبالي بالكتب المقدسة ؟ وان كان للارشاد البسيط تأثير عظيم ، فكم بالحري يكون اعظم ،تأثير النصيحة الروحية ؟ كل كلمة ملفوظة في الكتب المقدسة اقوى من النار ، فهي تلطف النفس القاسية وتجعلها قابلة لعمل كل خير . بواسطتها فقط قدر بولس الرسول على قمع كبرياء اهل كورنثوس وعجرفتهم وبث روح الوداعة فيهم . لقد فاخر هؤلاء بأشياء كان الاجدر ان يخجلوا منها . لكن ما اسرع ذلك الانقلاب الذي حل فيهم لدى تسلمهم رسالة بولس . فمعلمهم يشهد بذلك قائلاً : انظروا ان هذا الحزن الذي حزنتموه لمرضاة الله كم انشأ فيكم من التحذر ، بل من التبرئة ، بل من الحفيظة ، بل من الخوف ، بل من التشوق ،بل من الغيرة ، بل من الانتقام (كورنثوس الثانية ٧:١١)

بواسطة الكلام المقدس تقدر ان تدير الخدم والاولاد والنساء والاصحاب ، وبه تقدر ان تجعل عدوك صديقاً لك . وبالكلام المقدس حصل الرجال العظام ، أولياء الله ، على المزايا الكاملة . فسرعان ما سمع داود الكلمة لاجل تصحيح خطاه ، وحالاً اظهر نفسه نموذجاً صالحاً للتوبة ، وبواسطة الكلمة قدر الرسل

ان يبشروا في اقطار المسكونة كلها . ولكن ما الفائدة لمن يسمع الكلمة ولا يعمل بها ؟ اجل ، ان فائدة الاستماع كبيرة ، لانك اذ تعلم نفسك جيداً تتنفس الصعداء وتصل الى حد تصبح معه قادراً على تتميم ما سمعت فعلاً ، فاذا لم يشعر المرء بالثمه هل يمكنه ان يردع نفسه عنه ، او يدرك قبح ما يفعل ؟ لذلك يجب الا نهمل استماع الكتب المقدسة .

عن وجوب نداء اسم الله في كل وقت

كن حيثما شئت ! افي محزنك ؟ فهنا يمكنك الرجوع الى اعماق نفسك والترنيم لله تعالى من دون ان يسمعك احد . فان موسى هكذا صلى والله تعالى استجاب صلاته . لماذا تصرخ الي يقول الرب ! مع انه كان يصرخ اليه عقلياً وبانكسار قلب . لذلك سمعه الله وحده وان كنت سائراً في الطريق لا يضرّك ان تصلي لربك وهو يعطيك بغزارة . فكل شيء تأتونه باسم الرب يسوع المسيح ان كان بالقول او بالفعل تمجدون به الاب والابن .

فعلينا ان نتمم ما ذكر ، لانه حيث يصرخ باسم المسيح يطهر المكان من كل رجاسة ودناءة . ان اكلت او شربت او كنت تستعد للزواج او تتأهب للسفر ، افعل كل هذا باسم الله ، اي اصرخ اليه كي يبادر الى معونتك . لا تبدأ بعمل ما قبل ان تصلي الى الله تعالى ! اتريد ان تتكلم؟ لا تفتر عن ذكر الله ! لذلك نصدر رسائلنا باسم الله تعالى لانه حيث يكون اسم السيد يكون العمل صحيحاً . ان تممت هذا يكون عملك صحيحاً ناجحاً. كل عمل تفتتحه باسم الله تعالى تراه سعيداً ناجحاً . ان كان اسم الرب يخزي الارواح الشريرة ويصد الامراض والاسقام ، فلا شك انه يسهل سير الاعمال ايضاً !

عن كيفية الحصول على خوف الله تعالى

يتولد فينا خوف الله ، ان فكرنا ان الله تعالى موجود في كل مكان يسمع ويرى ما يجري في القلب وفي اعماق النفس ليس الاعمال والكلام فقط بل ويميز افكار القلب ونيّاته (عبرانيين ٤ ١٢) فاذا سلكنا هـذه الطريق لا نأتي عملاً رديئاً ولا نتكلم عنه ولا نفكر به . قل لي بربك ! لو تحتم عليك الوقوف قرب رئيسك دائماً ألا تقف بخوف واحتشام ؟ فكيف يمكنك الوقـــوف بحضرة الله تعالى ضاحكاً او مستنداً الى الجدار بلا خوف وارتعاش ؟ فـــلا تستهن بطول أناته انه يطيلها عليك لكي تعود الى التوبة . ومهما فعلت لا يغب عن بالك ان الله موجود في كل مكان .

لذلك ، ان تناولت طعاماً ، او تأهبت للنوم ، او غضبت ، او نهبت شيئاً ، او استسلمت للملذات ، او اي شيء فعلت من الاعمال ، لا تنس ان اللهموجود، فهذا يمنعكعن الاستهزاء ، وعن الاستسلام للغضب . فان كانت افكارك هكذا على ما ذكر ، فخوف الله يمـــلأ قلبك على الدوام كأنك موجود في حضرة الملك .

ان المهندس مهما كان خبيراً وبارعاً في فنه ، نراه يرتعش خوفاً من السقوط من أعلى البناء . وانت لقد صعدت الى العـلاء لانك آمنت وعملت الاعمـــال الصالحة . فكن ثابتاً ، وقف بخوف ، وانظر بانتباه لئلا تسقط .

ان الارواح الشريرة كثيرة وهي ترغب في سقوطك من العـلاء . لذلك قال النبي داود : اعبدوا الرب بخوف واهتفوا له برعدة (مزمور ٢:١١) فأي شر يكون مع الرعدة ؟ فسرورنا الوحيد ان نأتي عملاً صالحاً . وهذا الفرح طبيعي لعاملي الصلاح بخوف .

عن عمل الصليب الخلاصي

لا يكفي ان نرسم الصليب بالاصابع فقط بل يجب ان يسبق ذلك استعداد القلب والايمان الحقيقي . فان رسمت الصليب على وجهك بالصورة المذكورة لا يجسر احد من الارواح النجسة ان يدنو منك لدى رؤية ذلك السيف الذي قهر به ، ذلك السلاح الذي جرح به جرحاً مميتاً . ان المرء يرتعش عند رؤية المقصلة المعدة لاعدام المجرمين . فكم يكون خوف الشياطين عندما يرون ذلك السلاح الذي حطم المسيح به قواهم وقطع رأس الحية ؟

لهذا ، لا تخجل من عظمة هذه النعمة كي لا يخجلك المسيح عند مجيئه في مجده ! اذ تظهر علامة الصليب امامه وتكون اشد لمعاناً من أشعة الشمس . فظهور علامة الصليب برهان للعالم بأسره وشهادة عن تتميم ما ينبغي عمله لاجل المسيح . وهذه العلامة ، ان كان فيما مضى ، او في وقتنا الحاضر تفتح الابواب الموصدة وتلاشي قوة الاعمال المضرة وتحول تأثير السم وتبريء الجراح المميتة الحاصلة من انياب الوحوش الكاسرة . فكما انها حطمت ابواب الجحيم ، وفتحت ابواب السموات ، والفردوس ثانية ، وهدمت حصن الشياطين ، فلا عجب ان تغلبت ايضاً على المواد السامة والوحوش الكاسرة وما شابهها . بناء عليه ، ارسم علامة الصليب في عقلك ، لان الصليب جدد العالم كله ! وطرد الضلال ، وادخل الحقيقة ، وجعل الارض سماء والبشر ملائكة . فما دام الصليب معنا فلا خوف علينا من الشياطين ولا من ضررهم .

باي قلوب ينبغي المجيء الى كنيسة الله

يلاحظ ان الكثيرين يتبعون العادات المرعية بشأن الحضور الى الكنيسة ، وهي ارتداء الملابس القشيبة النظيفة ونظافة الايدي ولا يهتمون مطلقاً لنفوسهم كي تكون نقية للمثول امام الرب . فقولي هذا لا يمنع من تغسيل الوجه والايدي. ولكي ارغب في ان يكون الاغتسال كما يجب ليس بالماء فقط بل بتبييض الايدي باعمال البر والصلاح .

فالاقـــذار التي تخرج من الفم هي النميمة والتجديف والشتائم والغضب والكلام الفاحش والضحك والاستهزاء . فلو لطخت نفسك بها ألوفاً من المرات، تعال الى الكنيسة ان كنت تعرف انك نظيف منها ! لمـاذا تتعب سدى بغسل لسانك بالماء وانت الذي لوثته بالادران المضرة المهلكة ؟ قـل بربك اتجسر على الصلاة ان كانت يداك ملطختين بالروث والاوحال ؟ بالطبع كلا ! مع ان هذا لا يسبب لك ادنى ضرر . اما تلك الاقذار فمهلكة . اذاً لماذا تخاف الاشياء التي لا اهمية لها ، ولا تبالي بالمحرمات . فمـــا قولك الا تجب الصلاة ؟ نعم ! الصلاة واجبة ! ولكن عليك انت فقط ان تكون نقياً من الادران .

وما قولنا في الذي تنجس سابقاً ؟ الجواب يجب ان يتطهر . باية واسطة ؟ بالبكاء والتنهد والاحسان الى الفقراء والتسامح مع من كدرتهم فبهذا تنظف لسانك ولا تعود تسخط الله تعالى . فان تقدم احد اليك بيدين قذرتين وامسك برجليك طالباً اليك المعذرة فانك لا تسمح له فقط بل تدفعه برجلك . فكيف تجسر أن تتقدم قذراً الى الله ؟ ان لسان المصلي يد يعانق بها ركبة الله . لذلك لا تبخس لسانك كي لا يقول لك السيد : وان اكثرتم في الصلاة لا استمع لـكم . ولانك من كلامك تتبرأ ومن كلامك يحكم عليك (اشعيا ١٥:١) و(امثال ٢١:١٨) و(متى ٣٧:١٢) لهذا احفظ لسانك كحدقة العين . اللسان حصان الملك ، فان لجمتـه

وعلمته على السير المستقيم فالملك يكون مرتاحاً ان ركبه . اما ان تركته يعدو ويقفز بدون لجام ، فلا يركبه سوى الشياطين والارواح النجسة .

انك لا تجسر على التقدم الى الصلاة ان عرفت زوجك مع ان هذا ليس جرماً ، وترفع يديك الى الله بعد الشتائم التي تؤدي الى جهنم . وقبل ان تنقي نفسك تماماً فقل لي كيف لا تخاف هذا ؟ او لاتعلم ما قال بولس الرسول : ليكن الزواج مكرماً عند كل واحد والمضجع غير نجس (عبرانيين ١٣ : ٤) . فاذا نهضت من المضجع غير النجس ، لا تجسر ان تتقدم الى الصلاة . فكيف تجسر ان تصرخ باسم الله المخيف الرهيب ، وانت في مضجع ابليس ؟ لانك ان دنست نفسك بالشتائم والكلام الرديء تكن مضطجعاً مع ابليس . لذلك ان كنت تتقدم من الله بحرارة فلا تسمح لنفسك بالغضب فيدخلها الشيطان ويتحد معها ، بل اطرده كالكلب الكلب ! هكذا امر بولس بقوله : فأريد ان يصلي الرجال في كل مكان رافعين ايادي طاهرة بدون غضب (تيموثاوس الاولى ٢ : ٨) وبناء عليه لا تدنس لسانك لانه لا يستطيع بهذا ان يصلي عنك اذ لا جرأة له على ذلك : زينه بالوداعة والتواضع واجعله مستحقاً ان يصرخ الى الله تعالى : امل اذنك الى المسكين واجبه برفق ووداعة (سيراخ ٤ : ٨) واصرف معظم اوقاتك بنشر التعاليم الالهية وكل حديثك في شريعة العلي (سيراخ ٩ : ٢٣) فان زينا نفوسنا بهذه الصفات نتقدم الى الملك ونخر ساجدين امامه ليس بالجسد فقط بل بالافكار ايضاً .

فهل نفكر الآن بمن اليه نتقدم ومن اجل اي شيء ؟ وعلى اي شيء نريد ان نحصل ؟ نحن نتقدم الى الله تعالى الذي تحيط به الساروفيم ، ولا تستطيع ان تنظر اليه لشدة نوره ، والذي ترتعد الارض من وجهه ويعيش في نور لا يقترب منه ، نتقدم اليه كي ينجينا من جهنم ويغفر لنا خطايانا ويعتقنا من العذاب الاليم . ويهبنا السماء والنعمة . فلنسجد له بالجسد والعقل لكي ينهضنا نحن الساجدين ،

ولنتحدث معه بكل وداعة وتواضع . فمن هو ذلك البشري الحقير التعيس الذي لا يكون وديعاً حتى في وقت الصلاة ؟ من هو ذلك المصلي الذي يلعن وهو مملوء من الغيظ صارخاً ضد اعدائه . لا تفكر بالشر الذي سببه لك الغير بل بالشر الذي جلبته انت لنفسك ، بالشر الاعظم الذي تسببه انت . لا احد يقدر على احتقارك ان لم تحقر انت نفسك . لذلك ان شئت ان تقوم ضد اعدائك قم ضد نفسك اولاً ، فهذا لا احد يمنعك عنه . اما ان قمت ضد غيرك فتصادف اهانة كبيرة . هل أحزنك أحد أو سلبك او عرضك للخطر ؟ فهذا كله لا يعد إهانة ، بل اذا امعنا النظر فيه نجده بالعكس يجلب لنا نفعاً عظيماً .

ان المهان من سبب الشر لغيره وليس الذي احتمله . وهنا الشر في الاعمال الشريرة كلها ، لاننا لا نعلم من يسبب لنا الشر ! فلو ادركنا هذا جيداً لما تكدرنا ابداً ولا شكونا احداً في صلاتنا عالمين انه لا احد يقدر ان يسبب لنا الشر ، لأن الشر ليس في سلب ما تملكه بل في ان تسلب انت ما لغيرك . لذلك ان سلبت شيئاً أدن نفسك ، وان سلبك احد مقتنياتك ، صل من اجل السارق فيكون لك بهذا النفع الجسيم . ان السارق لم يتعمد لك الخير ، فانت تجلبه لنفسك ان تحملت ما حل بك بصبر وسعة صدر .

ان القوانين الإلهية والبشرية تعاقب السارق . اما انت فمجد وغبط . فلو سرق المتألم إناء مملوءا ماء وأروى به الظمأ الشديد لضاعف الحر في جوفه وزاد مرضه ألماً . وهذا ما يقال عن الطماع وعن محب المال لان لهيب الطمع أحر من الجمر ، ونتيجة السارق اشد من اللهيب .

لا يجوز ان نقف باعجاب للصلاة

قال المخلص : ومتى صليت لا تكن كالمرائين ، فانهم يحبون ان يصلوا

قائمين في المجامع ، وفي زوايا الشوارع ، لكي يظهروا للناس . الحق اقول لكم انهم قد استوفوا اجرهم . واما انت فمتى صليت فادخل مخدعك واغلق بابك وصل الى أبيك الذي هو في سر وابوك الناظر في السر يجازيك علانية (متى ٦ : ٥ و ٦) فهنا المخلص يدعو الذين يصلون باعجاب مرائين ، وما اجدر هذا الاسم بهم ، فهم ينظرون الى الناس متظاهرين بالصلاة وهم غير مصلين بل مستوجبو الضحك . فمن يشاء ان يصلي فليترك كل شيء لمن هو قادر وحده ان يجيب طلبته لكن ان اهملت هذا وسرحت نظرك فيما حولك فلا تنال أدنى منفعة من صلاتك . فهذا متعلق بارادتك . لذلك قال السيد المخلص ان هؤلاء قد استوفوا اجرهم ممن يريدون ، ان الله لم يرض بهذا بل يريد ان يخزيهم وحده ، ولكنهم لا يستحقونه لانهم لم يعملوا شيئاً لاجله بل يطلبون جزاءهم من البشر . لذلك يبين لنا المسيح قبح التظاهر بالصلاة منتقداً المصلين المرائين لانهم يستوجبون الضحك ، ولافتاً أنظارنا الى الانتظام والاخلاص ومقدما لنا المثال الحسن للصلاة وواعداً المصلين المخلصين بالجزاء الحسن قائلاً : فادخل الى مخدعك ! فما قولك ؟ لعلك تقول انه لا لزوم للصلاة في الكنيسة ! نعم لا لزوم لها قطعياً ان كانت صلاتك للاعجاب فقط . فالله ينظر دائماً الى جوهر الامور حتى وان دخلت مخدعك وأغلقت الباب وراءك فهذا أيضاً لا يأتيك بنفع البتة ، ان فعلته باعجاب لكي تظهر للناس . فالله يريد منك ان تغلق أبواب قلبك وتطرح عنك كل إعجاب قبل ان تغلق الباب الخارجي فلو طرح الكبر جانبا لكان كل عمل مبرراً وخاصة وقت الصلاة .

فليتنا نتجنب هذا الخطأ دائما في وقت الصلاة . لكننا تركنا المجال لافكارنا ، واصبنا بمرض الاعجاب ، ولذلك لم نسمع صلاتنا . واذا كنا لم نسمعها فكيف نستعطف الاله لكي يسمعها ؟ ان الكثيرين مع استماعهم المواعظ البليغة لا يحسنون السلوك وقت الصلاة لانهم يلفتون انظار الجميع إليهم ، وان كانوا واقفين حيث لا يرون ، وهكذا يجعلون أنفسهم موضوعا للضحك والسخرية ، ان كان بوقوفهم

أو صراخهم . ألا تعلم أنك تستاء في السوق ممن يلح عليك بالصراخ وقلة الادب للعطاء ، ولو سألك ذلك بالهدوء والادب لاستمال قلبك ونال العطاء بسخاء .

بناء عليه لنتمم صلاتنا لا بالحركات والصراخ بل بالنية الطيبة الحقة ، ولا بالاصوات المزعجة المنفرة الواقفين قربنا بل يجب ان نصلي بالوداعة وانسحاق القلب والدموع الحارة ! وهكذا في الاحزان فلا تنتحب بصوت عـال بل يجب ان تصلي بالهدوء كما ذكرنا آنفا . فان موسى صلى في وقت كربته وقد استجاب الله صلاته وقال له : ما لك تصرخ إلي (خروج ١٤ : ١٥) وحنه لم يسمع لهـا صوت في وقت الصلاة وقد حصلت على كل ما طلبته لأن قلبها كان يصرخ ، وهابيل كان يصلي وهو يموت صامتا وكان صراخ دمه اشد من البوق . فانتحب وتنهد كالقديسين ومزق قلبك لا لباسك كما قـال النبي ، واصرخ من الاعماق كما يقول داود : من الاعماق صرخت اليك يا رب ودع صلاتك سرية .

الا تعلم ان الضجة ممنوعة قطعاً في قصور الملوك حيث تجد السكينة والهدوء في زوايا القصر كلها ، ففكر في انك داخل قصر الملك السماوي لا الأرضي مـع محافل الملائكة ورؤساء الملائكة ترنم سريا مـع الساروفيم والاجناد السماوية المحافظة على الحشمة والترتيب ترنم إليه تعالى بخوف كلي اتحـد معهم في وقت الصلاة واقتد بجمالهم السري ! ان صلاتك موجهة الى الله الموجود في كل مكان والعارف أسرار القلوب ، لا الى انسان . فان كانت صلاتك كما ذكر فجائزتـك عظيمة ، لان المخلص يقول ؟ ان أبي الذي يرى في الخفية يجازيك علانية ، لم يقل يهبك بل يجازيك ،وعلى هذه الصورة جعل الله ذاته مديناً لك وقد خصك بهـذا الشرف العظيم . انـه الاله غير المنظور فيريد ان تكون الصلاة سرية وغير منظورة .

يجب ان نتعود اتمام كل ما علمنا اياه الرعاة في الكنيسة

اننا نجمعكم في الهيكل لا لاجل الاجتماع فقط بل لاجتناء الثمار أثناء وجودكم المحل المذكور . فان كان مجيئكم الى هنا لا يأتي بالثمر فلا أهمية لاجتماعكم في هذا المكان ، لأننا ان ارسلنا أولادنا الى المعلم ولم نر الفائدة المطلوبة نتكدر ونرسلهم الى معلم آخر . فما عذرنا نحن ان لم نظهر ميلنا الى الفضيلة كما نظهره الى العلوم العالمية فنعود الى البيت دائما بصفائح بيضاء لا كتابة فيها ، مع أننا نقدم لكم في كل اجتماع المعلمين الماهرين من أنبياء ورسل وبطاركة وأبرار . ومع هذا لا نرى الفائدة المطلوبة . فانكم بعد ترنيم مزمورين أو ثلاثة ، وبعد تكميل الصلوات العادية من دون انتباه تتفرقون إلى منازلكم ظانين ان ما فعلتموه كان لاجل خلاصكم .

أسمعتم ما قاله الله بواسطة النبي : ان هذا الشعب يعبدني بفمه أما قلبه فبعيد عني ! فلكي لا يحدث معنا كذلك امسح ما خطه الشيطان في قلبك من حروف ورسوم ، واعطني قلباً خالياً من الاهتمامات الدنيوية كلها لاخط عليه ما أريده من دون خوف . اما الآن فاني لا أرى عليه سوى هذه الكلمات : السرقة والطمع والحسد والغضب ؛ وعندما آخذ بيدي أوراقكم اراني عاجزاً عن قراءتها لاني لا أجد ما كتبته لكم في أيام الآحاد الغابرة وأرسلته لكم بل أجد محله كتابة رديئة مشوهة . لأننا بعد ان نمحو لكم الكتابة الاخيرة ونخط كلاماً روحياً بدلاً عنه فبمجرد خروجكم من هنا تسلمون قلوبكم الى الشيطان ، وبهذا تتركون له مجالاً جديداً ليكتب ما يريد بدلا من كتابتنا ، فما الفائدة من هذه الحالة ؟ فاني ، وان لم اتكلم عن هذا الموضوع فضمير كل واحد منكم يعلم ذلك .

ومع هذا فأنا لا اهمل إتمام ما يجب علي ، وهو تجديد كتابة الحروف الصحيحة لكم ؛ وان هدمتم أتعابنا فلا شك في ان الجائزة اكيدة لنا ؛ وان الخطر العظيم لكم ،وإن كنت لا أقصد ان أقول ما يثقل عليكم .

لذلك اطلب منكم وأتضرع اليكم ان تقلدوا اجتهاد الاولاد الصغار في هـذا الامر . فانهم يتعلمون في الاول كل حرف على حـــدة ثم الحروف مجتمعة حتى يتوصلوا الى القراءة فلنفعل نحن كذلك ! لنقسم الفضائل الى اقسام ولنتعلم اولا ألا نحلف ثم ألا نتجاسر على لفظ اللعنة ولا نحسد ولا نستسلم للجسد ولا ننهمك في المآكل والمشارب ولا نقنط ، ولا نكون قساة عديمي المروءة وبواسطة هـذه الفضائل نتوجه الى الروحيات متعودين العفة ، وترك الملذات العالمية ، وتعـــلم الحكمة ، والصدق ، ونكران الذات ، والوداعة ، وانكسار القلب ، وكتابـة كل هذا على صفحات القلب والتمرين عليه في البيت ومع الاصدقـــاء والزوجة والأولاد .

ولنبدأ الآن بوضع حجر في الاساس ، وهذا سهل جداً ، مثلاً لنتحفظ من اللعنـة ونتمرن على هذا الدرس البدائي اولا في البيت لان الدوافع كثيرة كأن تغضب من خادمك او زوجتك او من ولدك الطائش الاحمق فتصل معـــه الى الشتائم واللعنات ، فإن تغلبت على اللعنة في بيتك مع وجود الاسباب الكثيرة المثيرة غضبك فقد يمكنك ان تكون كذلك في الهيئة الاجتماعية . وكذلـــك امسك عن شتم زوجتك وخادمك في بيتك ولا تشتم احداً قطعاً ، فان زوجتك كثيراً ما تمدح رجلاً آخر أمامك شاكية سؤ طالعها فتثير شتائمك بمدحها سواك فاحتمل انت ذلك بصدر رحب ولا تشتم . وكثير أيضاً من الخدم يمدحون سادة آخرين فلا تنزعج من كلامهم بل احتمل هذا أيضاً بسعة صدر . وليكن بيتـك ساحة النضال ومبدأ الفضيلة . تعلم فيه ان تكون ماهراً باحتكامك مع الاخرين في الهيئة الاجتماعية . وبهذه الطريقة اخلع عنك الكبر وتجنبه مـــع زوجتك

وأولادك وخدمك ليسهل عليك تركه مع الاخرين .

ان ترك الكبرياء أمر مؤلم وشديد وخصوصاً أمام الزوجة . فان حطمنا قوة الكبرياء تجاهها يسهل التغلب عليها أمام الاخرين . وهكذا يمكن التغلب على بقية الاميال النفسانية بالقيام ضدها في البيت . فليكن التقدم سريعاً وليكن التغلب سهلاً ، يجب ان نحدد لذواتنا القصاص عندما نحيد عن أحد الواجبات المتعلقة بنا ، وهذا القصاص لا يضرنا بل يعود بالنفع علينا ويجلب لنا الجائزة العظيمة ، كأن يكون هذا القصاص من نوع الصيام الشديد او السجود الى الارض وما شابه ذلك من الامور المتعبة ، وبهذا نكسب منافع جمة ونذوق حلاوة الفضيلة ونحصل على النعم الآتية ونكون اصدقاء دائمين لله تعالى . ولكي لا يحصل ما سبق وتنقادوا الى الشيطان فيمحي ما كتب من التعاليم بعد خروجكم من هنا وانتم غير مبالين بما ذكر وطارحين كتاب العقل جانباً ، فمتى عاد أحدكم الى بيته فليقص ما سمع من التعاليم على زوجته لتساعده على إتمامها ويسيرا معاً في الطريق المستقيم .

فان سقطت او عثرت في طريق الفضيلة اولا وثانياً ومراراً عديدة فلا تقنط بل انهض من عثرتك ولا تتراجع الى الوراء وسر الى الامام حتى تنال اكليل المجد والغلبة على إبليس وتحفظ الفضيلة مصونة من كل عيب . فان ثابرت على حياة الفضيلة واعتدتها لا تهمك وصية من الوصايا . فالعادة طبيعة ثانية وهي تشبه الامور الفطرية . وكما ان النوم والاكل والشرب والاستراحة أمور سهلة جداً ، فالفضيلة تصبح كذلك . وبطريق الفضيلة نحصل على الجائزة ، وهي الوصول الى الراحة التامة الى المينا الهادئة ، ونلتذ بالسكينة الدائمة ونوجه سفينتنا بحملها الثقيل في ذلك اليوم الى المدينة الاتية ونستحق الاكليل الذي لا يبلى ونكون أهلاً لسيدنا يسوع المسيح الذي له المجد والملك والقوة إلى دهر الداهرين .

عن الاستعداد اللازم لدى التقدم لمناولة الاسرار المقدسة

كثيرون في وقتنا الحاضر يقولون : اننا نرغب في أن نرى وجه المسيح وهيئته ولباسه وحذاءه . فها انك تراه وتلمسه وتاكله . انت راغب في ان ترى لباسه ، أما هو فيعطيك ان تلمسه وليس ان تراه فقط ، يعطيك ان تاكله وتقتبله في داخلك ، فلا يجوز لأحد ان يتقدم من الاسرار بعدم اكتراث وبصغر نفس بل بمحبة محرقة وحرارة ونشاط . فـــان كان اليهود اكلوا الذبيحة وهم مستعدون : احذيتهم في أرجلهم وعصيهم في أيـــديهم ، فكم بالحري انت ، يجب ان يكون نشاطك اعظم .

ان اليهود استعدوا للذهاب الى فلسطين وعليهم هيئة المسافر ؛ امـــا انت فمستعد للسفر الى السماء ، لذلك وجب عليك الاستعداد دائماً لأن قصاص غير المستحقين القرابين عظيم جداً . تصور سخطك على الذي سلم المسيح ، وعلى الذين صلبوه ! احذر ان تكون مجرماً أمام جسد المسيح ودمه . هؤلاء أماتوا الجسد الكلي القداسة وأنت تتقدم اليه بنفس غير نقية بعد ان خصك بهذه النعم .

لم يكتف المسيح انه صار إنساناً بل قبل اللطمة والموت . اننـا نتحد معه ليس بالايمان فقط بل بالجسد . فما هي النقاوة والطهارة الواجبـة على من يتلذذ بهذه الذبيحة ؟ يجب على اليد التي تلمس هذا الجسد ان تكون أطهر من أشعة الشمس ، وهكذا يجب ان يكون الفم المملؤ بالنار الروحية واللسان المضرج بالدم المخيف . فما أعظم تلك المائدة التي نتلذذ بها ! ان الملائكة تنظر إليها ولا تجسر ان تحدق فيها من دون خوف ورعدة بسبب النور الساطع الصادق . أما نحن فنتغذى بها ، ونتحد مع المسيح بواسطتها ونصبح معه جسداً واحـداً . فمن

يحدث يجبروت ويسمع تسبحته كلها (مزمور ١٠٥ : ٢) .

من هو الراعي الذي رعيته باعضائه ؟ ولم أقول الراعي ؟! فكثيرا ما توجد امهات يدفعن باطفالهن المولودين حديثاً الى المرضعات . اما المسيح فلم يحتمل هذا بل يغذينا بدمه الخصوصي وبه نتحد معه . فكر جيداً في انه ولد من طبيعتنا وربما أجبت عن قولي ان هذا الامر لا يختص بالجميع فأقول بالعكس انه يخص الجميع لكونه جاء العالم بطبيعتنا . اذاً جاء لاجل الجميع واذا كان مجيئه لاجل الجميع فيكون قد جاء من اجل كل فرد على حدة . فعلام تقول ان النفع ليس للجميع كأن المنفعة عائدة الى الشخص ومتوقفة على إرادته وليس بالذي تنازل وارتضى ان يكون ضحية من اجل الجميع . ان المسيح يتحد مع كل مؤمن بواسطة الاسرار المقدسة ، فيغذي ابناءه .

اذاً ما هو الاستعداد والشوق المتوجبان علينا لدى تقدمنا الى المائدة الخلاصية والى ثدي الكاس الروحاني . وبعبارة اوضح لتكن رغبتنا في الاتحاد مع نعمة الروح القدس كرغبة الاطفال الرضعان الى ثدي الامهات ! اما الذي يستوجب حزننا من اجله فهو ذلك الشخص الذي لم يتناول من هذا الغذاء . ان الاستحالة لا تجري بواسطة انسان . فالذي صنع هذا السر في وقت العشاء يتممه الآن ايضاً . نحن نكمل وظيفة الخادم اما تقديس الاسرار واستحالتها فيتولاها المسيح نفسه . فالامل الا يكون بيننا لا يهوذا ولا محب للفضة . فمن كان منكم ليس بتلميذ للمسيح فليخرج حالا ، فلا يجوز لاحد ان يتقدم الى المائدة الا لمن كان في عداد التلاميذ ، اذ ان المسيح يقول اصنع الفصح مع تلاميذي (متى ١٦ : ١٨) هذه المائدة هي عينها التي قدمها المسيح لتلاميذه وليس سواها ، ولا يجوز ان يقال ان تلك صنعها المسيح وهذه الانسان . فان الاولى والثانية صنعها المسيح ، وهذا المحل هو العلية نفسها ، حيث كان المسيح وتلاميذه .

مديح القديس بولس الرسول

ان السماء المستنيرة بأشعة الشمس الذهبية أقل بهاء وضياء من مدينة رومية لان أقطار المسكونة كلها تستنير من لمعان ذينك الكوكبين الرسولين بولس وبطرس . سيقوم بولس في اليوم الاخير ، من تلك المدينة ثم بطرس . تخيلوا منظرها في تلك الساعة اذ يقوم بولس وبطرس من القبر ويصعدان لملاقاة المسيح .

ما اجمل تلك الوردة التي تقدمها رومية للجميع ! ما اجمل ذينك الاكليلين اللذين يزينان المدينة المذكورة ! ما ابهى تلك السلاسل الذهبية المحيطة بها ، وتلك الينابيع العذبة المحتوية عليها ! لا تذهلني كثرة الذهب في رومية ، ولا الاعمدة الفخمة ، ولا سائر انواع الزينة ، بل اعمدة الكنيسة . من يقدر ان يمكنني الآن من ملامسة جسد بولس ، فألتصق بقبره وأرى رفات الجسد الذي كملت به احزان المسيح ، وحمل جراحاً كجراحه ، وكرز في جميع الاقطار . رفات جسد طاف بولس به المسكونة ، وبشر بالمسيح ، وكانت أنواره ساطعة كالبرق ، وصدى صوته يتجاوب كقصف الرعد . نعم كان سماعها اشد من قصف الرعود الحقيقية على الشياطين .

ان بولس قال الكلام المرغوب : فاني أود لو اكون انا نفسي محروماً من المسيح لاجل اخوتي وانسبائي حسب الجسد (رومية ٩ : ٣) نعم انه بهذا الرفات تكلم امام الملوك ولم يخجل وعرّفنا بسيده المسيح . نحن لا نخاف الرعد الحقيقي كما تخاف الشياطين صوت بولس ، فان كانت ترتعد من ثوبه فكم بالحري من صوته ؟ ان هذا الصوت كبّل الشياطين ، وطهر المسكونة ، وكف الامراض ، وطرد الضلال ، وادخل الحقيقة .

لقد كان المسيح موجوداً مع ذلك الصوت وسائراً معه في كل مكان . كان صوت بولس كصوت الشاروبيم . فكما ان المسيح جالس على عرش القوات السماوية ، جلس ايضاً على لسان بولس المستحق ان يجلس المسيح عليه لانه بشر حسب إرادة يسوع ومرضاته ، وحلق كالساروفيم في اجواء لا توصف . فهل يوجد اسمى من ذلك الصوت القائل لا ملائكة ولا رؤساء ولا قوات ولا حاضرة ولا مستقبلة ولا علو ولا عمق ولا خليقة أخرى تقدر ان تفصلنا عن محبة الله التي في المسيح يسوع ربنا (رومية ٨ : ٣٧ و ٣٨) كم كان لهذا الصوت من الاجنحة والعيون . لذلك يقول الرسول : لئلا يطمع فينا الشيطان ، ولأننا لا نجهل افكاره (كورنثوس الثانية ٢ : ١١) لذلك هربت الشياطين ليس فقط عندما سمعت كرازته بل لدى رؤية ثيابه مع انه كان بعيداً عنها .

كم أود أن أرى رفات فم قال المسيح بواسطته اسراراً عظيمة لا تفسر ، حقا انها لاعظم من التي علمها هو نفسه . فالمسيح صنع وتكلم بواسطة التلاميذ اكثر مما صنع بذاته . رفات جسد سلمت بها تعاليم الروح القدس الى العالم . فما الذي لم تصنعه شفتا بولس الصالحتان ؟ إنهما طردتا الارواح النجسة وحلتا الخطيئة وسدتا أفواه معذبي المؤمنين وربطتا ألسنة الفلاسفة وجاءتا الى الله بالمسكونة ، وتغلبتا على حكمة البربر ، وجددتا كل شيء على الارض ، وذلك ، بالسلطة المعطاة لبولس . أود ان ارى قلبه لا شفتيه فقط ، قلباً ان قلنا عنه انه قلب المسكونة فاننا لا نخطىء ابداً . انه ينبوع الخيرات ومبدأ حياتنا وعنصرها . فقد تدفق من هذا القلب ، روح الحياة على الجميع ، ومنه انتقلت الى اعضاء المسيح . وقد صار الاتحاد معه بالنيات الصالحة لا بالشرايين .

ان هذا القلب اتسع جداً حتى وسع في داخله مدناً برمتها وقبائل وشعوباً ايضاً « قلبنا متسع » (كورنثوس الثانية ٦ : ١١) يقول بولس : وهذا القلب الواسع قد انقبض من تأثير المحبة كما قال هو نفسه : لاني من حزن كثير وكآبة

قلب كتبت لكم (كورنثوس الثانية ٢ : ٤) فكم اود ان ارى ذلك القلب الحساس الذي كان يذوب حزناً من اجل كل هالك ، ويتمخض ثانية بآلام الولادة بالابناء الذين ولدوا غير مكملين – قلباً رأى الله كما قيل : طوبى لانقياء القلوب لانهم يعاينون الله – قلباً اضحى ذبيحة . انما ذبائح الله الروح المنكسر (مزمور ٥٠ : ١٩) – قلباً اسمى من السماء وأوسع من المسكونة واكثر لمعاناً من أشعة الشمس وأشد حرارة من النار واصلب من الماس – قلباً تتدفق منه الانهار كما قيل : تجري من بطنه انهار ماء حي (يوحنا ٧ : ٣٨) . كان يجري من هذا القلب ينبوع حي ويفيض على وجه البسيطة وعلى النفوس البشرية ومنه تتدفق ليلاً ونهاراً لا انهار عادية بل انهار من دموع .

عاش هذا القلب حياة جديدة لا كحياتنا هذه . فأحيا لا انا بل إنما المسيح يحيا فيّ (غلاطية ٢ : ٢٠) يقول بولس . وبهذه الصورة كان قلب بولس قلباً للمسيح ولوحاً للروح القدس وكتاباً للنعمة . كان يرتجف من اجل خطيئة الآخرين ، فهو نفسه القائل : اخاف عليكم ان اكون قد تعبت فيكم عبثاً (غلاطية ٤ : ١١) كما خدعت الحية حواء (كورنثوس الثانية ١١ : ٣) لاني اخاف إذا جئت ان لا اجدكم كما اريد وان تجدوني كما لا تريدون (كورنثوس الثانية ١٢ : ٢٠) فمع كل ما كان لهذا القلب من القوة والجرأة كان يخاف على نفسه لانه يقول : أخاف بعدما كرزت للاخرين ان اصير مرفوضاً. (كورنثوس الاولى ٩ : ١٥) وايضاً : اني متيقن ان لا ملائكة ولا خليقة تقدر ان تفصلنا (رومية ٨ : ٣٨) ان هذا القلب استحق ان يحب المسيح حباً لا نظير له كان يحتقر الموت والجحيم وينكسر من أجل دموع الاخوة أليس هو القائل : ماذا تفعلون تبكون وتكسرون قلبي (اعمال ٢١ : ١٣) ان هذا القلب الصبور لم يحتمل ولو وقتاً قصيراً ، إذ كان اهل تسالونيكية على وشك الحياد عن الايمان . اود ان ارى رفات تينك اليدين المقيدتين اللتين بمجرد وضعها كانتا تعطيان نعمة الروح القدس التي كتبت بها هذه الرسائل . انظروا ما اكبر الاحرف التي

كتبتها اليكم بيدي (غلاطية ٦ : ١٠) السلام بيدي انابولس (كورنثوس الاولى ١٦ : ٢١) رفات يدين إذا رأتهما الافعى سقطت في النار . اودان ارى رفات عينين لم تفقدا بصرهما سدى بل ابصرتا خلاص المسكونة كلها . وبالجسد تمكنتا من رؤية المسيح ، لم تريا الارضيات ، لكن أبصرتا غير المنظور لم تعرفا النوم في الليالي ، ومع ذلك فقد ازدادتا نشاطاً . ولم تصبرا على عمل الحساد .

أود ان ارى رفات رجلين طافتا المسكونة ولم تتعبا . غلتا بالقيود واهتزت لهما السجون ، رجلين طافتا المدن والصحاري لا مرة واحدة بل مراراً (اعمال ١٥ : ١٤ — ٢٦) . لا يسعني المجال ان اتكلم عن كل عضو على حدة ، اريد ان اشاهد قبراً غيب فيه سلاح الحق سلاح النور ، اعضاء حية الى الآن لا ميتة لم تزل كما كان بولس في قيد الحياة ، اعضاء يحيا فيها المسيح ، اعضاء صلبها العالم . اعضاء المسيح لبست المسيح وهيكل الروح القدس ، اعضاء مرتبطة بالروح مستمرة على خوف الله ، اعضاء تحملت جراح المسيح .

ان رومية تحفظ رفات بولس ولذلك فهي محصنة اكثر من القلاع والمتاريس .
وهناك ايضاً رفات بطرس . ان بولس كان يحترمه ، إذ كان في قيد الحياة : صعدت لاتعرف ببطرس (غلاطية ١ : ١٨) فالنعمة جعلته مستحقاً ان يكون مع بطرس حتى في الموت تحت سقف واحد .

كنت اود ان ارى اسده الروحاني فانه كأسد استشاط غيظاً وهجم على قطيع الثعالب على جماعة الارواح النجسة والفلاسفة ، كان يدخل الى اماكن الشياطين كالبرق الخاطف . لم يجسر الشيطان ان يظهر راساً امامه ، كان يخاف ويرتعد ويهرب بعيداً إذ يلمح ظله او يسمع صوته حينما كان يغيب بولس بالجسد عن الشعب كان يستولي عليه فكان بولس ينتزعه من بين يديه حالاً وقد فعل هذا مع الاخرين حتى علمهم عدم الخوف .

تأمل كيف قوّى وشجع من كان تحت رعايته فانه يقول إلى اهل افسس : ان مصارعتنا ليست مع لحم ودم بل مع الرؤساء ومع السلاطين (افسس ٦ : ١٢) ومن ثم يشير الى الجائزة في السماء قائلاً : فاننا مرتبطون ليس بالارضيات بل بالسماويات وبالسماء ويقول للاخرين : الستم تعلمون اننـــا سندين ملائكة فبالاولى امور هذه الحياة (كورنثوس الاولى ٦ : ٣) . فلنمعن النظر في كل ما ذكر ، ولنكن اقوياء .

ان بولس كان انساناً وكانت طبيعته مثلنا بشرية ولم يختلف عنا بشيء لكن محبته للمسيح كانت قوية جداً . لذلك صعد الى اعلى السموات واصبح مع الملائكة فإن اردنا ان نشعل ناراً كهذه في قلوبنا فليس هذا بعسير علينا ان قلدنا الرسول القديس فلو لم يكن هذا مستطاعاً لما صرح به بولس : فاسألكم ان تقتدوا بي كما اقتدي انا بالمسيح (كورنثوس الاولى ٤ : ١٦) لذلـــك لا نعجب منه فقط وننذهل من اعماله بل يجب ان نقلده ونقتدي به حتى نكون مستحقين ان نراه في العالم الاتي ، ونشترك معه بالمجد الذي لا يوصف سائلين الله تعالى ان يوصلنـا جميعاً لذلك بنعمة ومحبة سيدنا يسوع المسيح للبشر .

عن واجبات المؤمن

يجب على كل مؤمن ان يكون مصباحاً منيراً في هذا العالم . ان كنت لا تنير نفسك ولا تتجنب الفساد ، فلا شيء يجبرنا على معرفتك . ألهذا غطست في الماء المقدس ؟ ان الفساد لا بد ان يوصلك الى القصاص . فكثرة المجد تزيـد قصاص الذين لا يحسنون السلوك . لا يجوز للمؤمن ان يتلألأ بما اعطيه من الله فقط ، بل بكل ما يخصه ايضاً ، بكل ما يرى ويصدر عنه ، ان كان باعماله او بنظره او بهيئته أو بصوته .

قلت تجنب المثابرة على الفساد ، لا لاجل المظاهر الخارجية بل لنفع من ينظر الينا . اما الان فاني اجهد نفسي لمعرفتك ، ولكنني اراك عكس ما اريد من كل الوجوه . فإن اردت ان استنتج عنك شيئاً من الحالة التي انت فيها اراك في ميادين سباق الخيل . وفي الصيام ، اراك تصرف ايامك في المحرمات مع المنافقين في الاسواق ، ومع السالكين طرق المعاصي . أريد ان استنتج شيئاً من هيئة وجهك فأراك دائماً ضاحكاً مشتت الفكر اشبه بالعاهرة . وان حولت نظري الى لباسك فاني لا اراك افضل من الممثل . وان اردت ان استنتج شيئاً عنك من رفاقك فإني اشاهدك تقود وراءك الكسالى والمهالقين ، وان اردت ان افهم شيئاً من كلامك اراك لا تنطق بشيء معقول عملي نافع في هذه الحياة . وان اردت معرفتك من شتى الجوانب فإنني اجد اشياء تستوجب الحكم عليك .

يجب ان نطلب من السيد غفران الخطايا

قبل كل شيء

لنتقدم من السيد ونسأله غفران خطايانا قبل ان نطلب منه الخيرات الارضية . فهو يعطينا كل ما نحتاج اليه ان سألناه بحرارة . في تلك الايام ، ايام كان السيد المسيح على الارض ، وقد ذاع صيته في انحاء سوريا كلها ، ثم في انحاء المسكونة قاطبة . ان سكان الانحاء المختلفة جاؤوا اليه اذ سمعوا انه يخرج الشياطين . اما انت الان فامامك اعماله كلها ، تراها بأم العين ، وهي تدل على قدرته . ومع ذلك فأنت لا تريد ان تنهض وتسرع اليه . هؤلاء تركوا اوطانهم واصدقاءهم واقاربهم وجاؤوا اليه . اما انت فلا تريد ان تخرج من بيتك وتتقدم اليه لكي يعطيك افضل منهم بكثير . اما نحن فلا نطلب منك شيئاً مما ذكر .

ابق مـــع اخصائك وارفض العادات الشريرة فقط فتحصل على الخـــلاص بسهولة .

ان اصابتنا علة جسدية نبذل ما في وسعنا لنتخلص منها . اما ان اصابنـــا مرض روحاني فنتماهل ونرفض التطبب منه . لذلـــك لا نشفى من امراضنا الجسدية ، وهكذا نحسب الاشياء الطفيفة والحقيرة ، راغبين في تنظيف الجداول الصغيرة ، وغاضين النظر عن منهل الشر الاصلي . ان فساد النفس هو سبب علل الجسد . ويثبت هذا ذلك المخلع الذي مضى على مرضه ثمان وثلاثون سنة ، وقد نقب السقف حاملوه ليدلوا بسريره الى المسيح . وما اكثر الامثلة على هـــذا ، فيجب ان نستأصل الشر اولا وحينئذ نحصل على الشفاء .

ان المرض لا يكون بانحطاط الجسد بـــل بالخطيئة ، ومرض النفس اشد من مرض الجسد لانها افضل منه . بناء عليه لنتقدم الى المسيح ونطلب منـــه شفاء نفوسنا المخلعة تاركين الاشياء العالمية ، ومنصرفين الى الروحيات . فاذا كنت لا تحزن من اجل الخطيئة فلا تحسب نفسك في مأمن من الخطر .

دع زفراتك تتصاعد ان كنت لا تشعر بانكسار قلبي لاجل المحرمـــاتالتي تفعلها . ان عدم الشعور بهول الخطيئة ينشأ عن نفسك غـــير الحساسة المستسلمة للمعاصي ، لا عن عدم تبكيت الخطيئة .

تأمل في عذاب اولئك الذين يشعرون بعظم خطيئتهم ومرارة بكائهم . ثق بانهم اشد كآبة من الذين يطرحون في النار ويقطعون احياء . انظر ماذا يفعلون، كيف يتألمون ، كم يذرفون من الدموع ، وكم يصعدون من الزفرات ليتخلصوا من عذاب الضمير ، فماذا يفعلون لاجل الخلاص — ان لم يتألموا نفسياً بمرارة ؟

فالافضل ان لا نخطىء مطلقاً ، وان سقط احد في الخطيئة يجب عليه ان

يشعر بها ويصطلح . فان كنا لا نحاسب انفسنا عنها ولو قليلاً ، فكيف نجسر ان نتضرع الى الله ونسأله مغفرة الخطايا . وان كنت ايها الخاطىء لا تريد ان تعترف بإثمك فأي مغفرة تسأل من الله ، انك تسأله اشياء لا تعرفها . لذلك وجب عليك ان تعترف بخطاياك واحدة فواحدة كي تعلم مقدار الدين الذي يترك لك ، وتتحرك فيك عاطفة الشكر والثناء الى من احسن اليك ، فان أهنت احداً توسط الاصدقاء والجيران حتى البوابون ، وتبذل جهدك ومالك وتضيع معظم اوقاتك سدى ، وتذهب اليه بنفسك وتسأله العفو وتلح به ولو لم يعف عنك . اما ان احزنا اله الكل فنتهاون بالامر ولا تتحرك فينا الحمية ، ونظل على عمل ما تعودناه . فمتى اذاً نسترضيه ؟ ألا نغضب الله تعالى اكثر من السابق ، ان داومنا على عملنا هذا .

حقاً ان عدم الندم والحزن على الخطيئة يثير غضب الله اكثر من الخطيئة نفسها وما دام الامر كذلك فالاجدر ان تسترنا الارض حتى لا نرى الشمس ، ولا نستنشق الهواء . لنا سيد شفوق رحوم لكننا نغضبه ولا نندم ، وهو في غضبه لا يكرهنا وينبذنا بعيداً عنه بل يستميلنا اليه . انه في حالة غضبه يفيض علينا الخيرات ، وانت ترى هذا وتستخف به اكثر من السابق . وهو يصرف وجهه عنك قليلاً كي تتحد معه الى الابد . نعم انه يبث فينا روح الامل لانه محب للبشر .

اذاً ، لنقدم له قوتنا الحقيقية قبل ان يأتي ذلك اليوم، فلا تعود التوبة نفسها تجدينا نفعاً. كل شيء يتوقف على ارادتنا في الحياة الحاضرة . اما في يوم الدينونة الرهيب فالحكم يكون في سلطة الواحد الديان . فلنبادر الى وجهه بالاعتراف (مزمور ٩٤ : ٢) الآن يجب البكاء والعويل . اذاً ان استرضينا الديان قبل يوم الدينونة الرهيب لا نعرض انفسنا لها . اما ان كان الامر بالعكس ، فكل منا سيقف امام العالم باسره حتى يجري عليه الحكم ، ولا يكون له أدنى امل

بالغفران . فان لم تغفر خطايانا في هـذا العالم لا مهرب لنا من الحساب والعقاب لدى انتقالنا الى العالم الآتي .

لا يجوز للخاطىء ان ييأس من الخلاص

لا يجوز للخاطىء ان ييأس من الخلاص . كما انه لا ينبغي للانسان الصالح ان يستسلم للاهمال ، ويتكل على نفسه ، فقد يحدث احيانا ان تسبقه زانية . لذلك لا يجوز للخاطىء ان ييأس فقد يمكنه ان يسبق الاولين .

اسمع ما قال الله لاورشليم : هل رأيت ما فعلت العاصية اسرائيل ، انطلقت الى كل جبل عال والى كل شجرة خضراء وزنت هناك ، فقلت بعدما فعلت كل هذا ارجعي فلم ترجع (ارميا ٣:٦و٧) فعندما نرتد الى الله بحرارة المحبة الحقيقية لا يذكر لنا شيئاً من المعاصي القديمة فهو سبحانه وتعالى غير الانسان لا يؤنب على الماضي . فاذا رجعنا اليه تائبين لا يقول لنا لماذا ابتعدتم عني كل هـذه المدة فهو يحيينا منذ رجوعنا اليه باخلاص ومحبة . فلنتحد معه بحرارة المحبة ونسمر قلوبنا بخوفه . وما اكثر الامثلة في العهد الجديد والقديم ايضاً على ذلك . فمن كان شراً من منسى ؟ انه قدر ان يستعطف الرب ! ومن كان أوفر حظاً من سليمان ؟ لكنه سقط اذ تهاون .

انني اقدر ان اريكم الأمرين الاول والثاني في شخص واحد ، في شخص والد سليمان ، اي داود . فقد كان باراً وخاطئاً . من كان سعيداً كيهوذا ؟ لكنه أسلم المسيح ! من كان يستحق الشفقة اكثر من بولس ؟ لكنه صار رسولاً . من كان أشد غيرة من سمعان بطرس ؟ لكنه ظهر اكثر شراً من الجميع . كثير من هذه الامثلة جرت قديماً ، والآن تحدث يومياً . وعليه فلا

يجوز لاحد كهؤلاء ان ييأس من الخلاص ، كما انه لا يجوز لابن الكنيسة المؤمن ان يعتمد على نفسه ،لان السيد يقول للاخير : اذاً من يظن انه قائم فليحذر ان يسقط (كورنثوس الاولى ١٠ : ١٢) وللاول يقول : هل يسقطون ولا يقومون (ارميا ٨ : ٤) وقال ايضاً قوّوا الايـــدي المسترخية وشددوا الركب الواهنة (اشعيا ٣٥ : ٣) ان الرب يقول للابرار تقووا ، وللخطأة : استيقظ ايها النائم وقم من الاموات (افسس ٥ : ١٤) لانه يجب على البعض ان يحتفظوا بما عندهم وعلى الاخرين ان يتـــداووا من السقام لانهم يتألمون كثيراً . فكثيرون من المرضى يحصلون على الشفاء التام كما ان كثيرين من الاصحاء يعتريهم المرض لعدم عنايتهم بصحتهم ، لذلك يقول السيد للبعض : ها انت قد برئت فلا تخطىء ايضاً لئلا يكون لك شر (يوحنا ٥ : ١٤) وللاخرين : أتريد ان تبرأ ؟ قم احمل سريرك وامش (يوحنا ٥ : ٨)

ان الخطيئة حمل ثقيل بل مرض عضال . والاجدر ان يقال انها اشد من المرض . فالانسان الخاطىء لا يفعل شيئاً صالحاً بل يعمل اعمالاً شريرة . لكن ان وصلت انت الى حالة كهذه واردت النهوض فسقامك يزول حالاً . وان طالت علتك وتألمت حتى مدة ثمان وثلاثين سنة واردت ان تبرأ فلا يحول دون ذلك شيء . والان السيد واقف ينتظر يقول لك احمل سريرك ، أرد القيام فقط لا تيأس . فالله هو معينك لا الانسان .

ليس لك انسان ينزلك الى البركة بل لك اله لا يحوجك الى النزول اليها ، ليس لك انسان يعينك ، لكن معينك من يأمر بحمل السرير . لذلك لا يمكنك ان تقول : بينما اكون متقدما ينزل قبلي آخر فإن رغبت في ذلك ، انزل الى الينبوع فلا يمنعك أحد ! النعمة لا تنقص ولا تنفد ومياه هذا الينبوع لا نهاية لها ومن فيضانها نقدر ان نشفي نفوسنا واجسادنا . كانت راحاب زانية فخلصت ، كان اللص قاتلاً وقد دخل الفردوس ، وكان يهوذا مع المعلم وقد هلك . اما اللص

فعلى الصليب صار تلميذاً . ان طرق الله لا تدرك . ان المجوس عملوا ما يرضي الله . والعشار صار احد الانجيليين . ومضطهد الرب صار رسولاً .

تمعن جيداً فيما ذكر ولا تيأس ابداً كن نشيطاً ! اسرع حالاً واسلك الطريق المؤدية الى السماء كي لا يغلق الباب ويمنع الدخول . الوقت قصير والتعب زهيد جداً ، حتى ولو كان في ذلك مشقة عظيمة ، فلا ترفض ! فان لم تتعب في هذا الميدان المهم ، ميدان التوبة والعلاج ، لا بد لك من التعب في امور هذه الحياة من جهات اخرى . وان كان لا بد من هذا ، فلماذا لا نختار التعب الذي يعود علينا بخصب كثير وجائزة عظيمة ؟مع انه لا يقاس بوجه من الوجوه، التعب من اجل الفضيلة مع التعب من اجل العالم ! في تعب الحياة امور خطيرة ، متواصلة وخسارات دائمة وخيبة آمال ودناءة عظيمة وضعف للنفس والجسد وبذل مال ، ولذلك لا تكون ثمرة اتعابنا كما نتوقع ؛ وان حصلنا على ثمر فكثيراً ما تذهب اتعابنا ادراج الرياح في هذه الحياة . ولنفرض ان عملنا نجح، وكان النجاح باهراً، فنجاحنا هذا لا يدوم !

انك تحصل على ثمرة اتعابك في ايام شيخوختك حيث لا قوة لك على التمتع بها . انك تعبت في ايام صباك الزاهرة ، اما الغلة فتجمع في ايام الشيخوخة اذ تصبح منهوك القوى وضعيف الحواس ، وان لم يكن هذا فذكر الموت القريب يعكر صفوك . اما التعب من اجل الفضيلة فهو عكس ذلك فانها تنتقل من هذا الجسد الضعيف المائت الى جسد لا يعرف الشيخوخة ولا يموت بل يدوم الى الابد .

يكون التعب اولاً ولا يطول كثيراً ولا تعقبه جائزة ولا نهاية لها ، فهناك تقدر ان تتمتع باثمار اتعابك حيث لا خوف عليك من الاخطار وهناك لا تخشى التقلبات ولا تفقد ما جنيت كما يحدث في هذا العالم . ما هذه الخيرات الزائلة الحقيرة التي لا تكاد تظهر على وجه البسيطة حتى تصير رماداً مع انك بذلت

قواك حتى حصلت عليها ؟ اذن كيف تقدر ان تقيسها بتلك الخيرات الدائمة التي تحصل عليها من دون مشقة ، والتي تزين رأسك بالاكاليل منذ شروعك في العمل .

فمن يحتقر الخيرات الارضية يجد في عمله هذا الجائزة ويسلم من المخاوف والبغضاء والوشاية والرياء والحسد . من كانت حياته طاهرة نقية يحصل على اكليل المجد ، وتعزية القلب ، حتى في هذه الحياة . فهو لا يحتقر ولا يسخر منه ، بل يكون بعيداً عن الاخطار والتهم وعن كل شيء آخر . بناء عليه كل طرق الفضيلة تؤدي الى الجائزة .

فلكي نحصل على الخيرات السماوية والارضية يجب ان نتجنب الخطيئة ونبادر الى الفضيلة ، فإن تممنا هذا نحصل على التعزية الحقيقية حتى في حياتنا الحاضرة ونكون مستحقين الخيرات الآتية التي نسأل ان تعطى للجميع بنعمة سيدنا يسوع المسيح ومحبته للبشر الذي له المجد والملك الى دهر الداهرين .

عن التواضع

ان اردت ان تظهر بفضيلة عظيمة فلا تفخر بها كثيراً لتظهر اعظم من قبل . لا تفكر في انك فعلت شيئاً ، فتكون بهذا قد تممت الواجب عليك . اننا نصبح ابراراً اذ نحسب انفسنا في عداد الخطأة كما حدث ذلك حقيقة مع العشار ، وقد يكون الاجر اعظم ، اذ ونحن ابرار ، نحسب ذواتنا في عداد الخطيئة .

ان التواضع يجعل الخاطىء باراً . والافضل ان يقال ان هذا التواضع هو الادراك الحقيقي . تأمل ما يفعل الاعتراف الحقيقي مع الخاطىء ، فكم بالحري يكون عظيما عمل التواضع في الابرار . لذلك لا تبذل اتعابك سدى ، ولا تدع

عرق جبينك يذهب بلا فائدة ، فتحرم الجائزة بعد خوضك ألوفاً من المعارك . ان السيد ادرى بخدماتك ، فهو لا يبخسك حقك ان قدمت كأس مـــاء بارد لعطشان ، ان اعطيت فلساً واحداً ، او تنهدت مرة واحدة ، فقد يقبل منك هذا مع الشكر ويجزيك عنها جزاء عظيماً .

ألا تعلم ان المادح نفسه لا يمدحه الله ؟ اذاً يجب ان نتجنب ذكر حسناتنا لان ذكرها يجعلنا مكروهين ومذنبين امام الله . فمتى كثرت الاعمال الصالحة وجب ان يكون الكلام عنها أقل . وبهذه الواسطة نقدر ان نحصل على المجد العظيم من الله والناس . واننا لا نحصل على المجد من الله فقط بـــل على شيء افضل ، على الجائزة . وعلى المواهب العظيمة . لا تطلب الجائزة فتحصل عليها . اعترف انك تخلص بواسطة النعمة فيصبح الله مديناً لك عن اعمالك الصالحة وعن اعترافك بالجميل ايضاً ، ان فعلنا الخير وحده يكن الله مديناً لنا عنه فقط ؛ لكن اذا لم نفكر بما فعلنا من اعمال الخير فقد يكون مديناً لنا عن هذه العاطفة ايضاً اكثر من العمل نفسه . اذاً ، هذه العاطفة الشريفة تعادل عمل الخير ، ومن دونهـــا لا قيمة حتى لاعمال البر . هكذا يكون عطفنا اكثر على خـــدمنا حينما نراهم يخدمون باخلاص ظانين أنهم لم يفعلوا بعدُ ما يرضينا .

وهكذا ، ان شئت ان تكون اعمالك الصالحة عظيمة تصورها حقيرة حتى تكون عظيمة . ان قائد المئة قال ليسوع : لست مستحقاً ان تدخل تحت سقفي لكن قل كلمة فيبرأ غلامي ! (متى ٨:٨) لذلك استحق النعمة وحصل عليها اكثر من جميع اليهود . وقال بولس : أنا الذي لست أهلاً ان ادعى رسولاً (كورنثوس الاولى ١٥:٩) وبهذا صار بولس اول الرسل القديسين وقد قال يوحنا المعمدان : لست أهلاً ان احل سيور حذائه . (لوقا ٣:١٦) وبهذا اصبح صديق العريس ، وتلك اليد التي تعد أهلاً لحل سيور حذائه استحقت ان توضع على هامة المسيح . وقال بطرس اخرج من سفينتي يا رب لاني رجل خاطىء (لوقا ٥:٨) ولذلك

اصبح أساس الكنيسة فلا شيء يسر الرب اكثر من ان يحسب الانسان نفسه في عداد الخطأة ؛ فهذا العمل هو عين التواضع . ان المتواضع والمنكسر القلب لا يتعجرف ولا يغضب ولا يحسد قريبه ، وبالاجمال لا يعثر ابداً . لا تقدر ان ترفع ذراعك المكسور الى فوق مهما حاولت ، كذلك النفس المنكسرة لا تنهض ولو مرت أمامها مئات الشهوات .

الحكم على الذات

اسمع ما قال بولس : لاننا لو كنا حكمنا على انفسنا لما حكم علينا (كورنثوس الاولى ١١ : ٣١) ان سلكت هكذا تتوسع بالتدريج في الطريق المؤدية الى الكماليات حتى تحصل على الاكليل ، وربما تسأل كيف يحكم المرء نفسه بنفسه أو يناقشها الحساب ؟ إبك وتنهد بمرارة . تواضع وعنّف جسدك . تذكر كل خطيئة فعلتها على حدة . ان هذه الآلام ليست بيسيرة على النفس . من ذاق هذا الانكسار القلبي يعلم ما تقاسي النفس من المرارة ! من يذكر خطاياه يعلم الكآبة الروحانية الناتجة عن ذلك . لهذا وضع الله جائزة التوبة وهي التبرر من الخطيئة . ذكرني فنتحاكم معاً حدّث لكي تتبرر (اشعيا ٤٣ : ٢٦) .

فالحق ان ذكر الانسان خطاياه وفكر بها دائماً كان هذا أفضل واسطة للاصلاح ، فمن يفعل هذا يشتد انكسار قلبه ويعترف بانه لا يستحق الحياة . من يقول هذا يكون ليّنا كالشمع . لا تحاكم نفسك على الضلال والزني وغيرهما مما يقر بثقلها الجميع . بل اجمع في عقلك النمائم السرية والطعن بالغير والكلام الرديء والعجرفة والحسد وما شابه ذلك . فهذه زلات تستوجب القصاص الشديد . فالنمام يستحق نار جهنم ، والسكير لا محل له في ملكوت السموات ، وكل من لا يحب قريبه يحزن الله حتى انه لو تألم من اجل ذلك لا يرضيه ، وكل من

يهمل عائلته يحيد عن الايمان ، وكل من احتقر المساكين يدخل النار . فهذه كلها زلات لا يستهان بها وانما يجب عليك ان تحملها في عقلك ، وتكتبها جيداً على صفحات قلبك كأنها على ورق . ان كتبتها بيدك فالله يمحوها لك ، وان فعلت بالعكس فالله يدونها ثم يقاصصك عليها . فالأفضل ان نكتبها نحن كي يمحوها الله تعالى ، وألا نضعها في زوايا النسيان حتى لا يرينا الله إياها في يوم الدينونة الرهيب . ولكي لا يحدث معنا هذا يجب ان نفحص أنفسنا بامعان لنرى انها خاطئة في اشياء كثيرة .

من يخلو من الطمع ؟ لا تبرهن أنك لم تكن طماعاً ؛فالقصاص واحد وان كان الامر زهيداً . لا تدع ذلك يبرح فكرك واندم من أجله . من لم يطعن بقريبه ؟ ان هذا يحرم من ملكوت السموات ! من لم يتعجرف ؟ ان التعجرف يؤدي الى الهلاك ! من لم ينظر خلسة ؟ ان هذا يعدّ مع الزناة ! من يغضب من اخيه بلا سبب ؟ يستحق الحكم ! من يحلف ؟ هذا أيضاً مع الاشرار ! من لم يتجاوز اللعنة ؟ وهذا شر ! من لم يخدم المال ؟ فهذا خرج من خدمة المسيح الحقة ! كنت أود أن أعدد لكم عثرات أخرى ، لكنني اكتفي بما ذكر لكي ينكسر ذلك القلب الذي لم يتحجر بعد والذي لم يصل الى درجة عدم الاحساس . فاذا كانت كل واحدة من هذه العثرات تدخل نار جهنم فكيف يكون فعلها اذ تجتمع معاً ؟ فما قولك بأي صورة تقدر ان تخلص ؟ استعمل علاجات تقاوم تلك العثرات : الشفقة والصلاة والكآبة والندم والتواضع وانكسار القلب واحتقار النعم الارضية . ان الله ارانا طرقاً عديدة للخلاص ان انتبهنا قليلاً لذلك . فلننتبه ولنجتهد كي تبرأ جراحنا ؛ عاملين الرحمة والاحسان وزاجرين الغضب عمن اساء إلينا وشاكرين الله على كل حال وصائمين على قدر استطاعتنا مصلين من أعماق القلب ، محسنين الى القريب . بهذه الصورة نحصل على غفران خطايانا ونستحق النعم الموعود بها ، فلتكن للجميع بنعمة سيدنا يسوع المسيح ومحبته للبشر الذي له المجد والملك الى دهر الداهرين آمين .

الفضيلة اجمل حلية للانسان

علام تفتخر أيها الانسان ؟ أبثيابك المزخرفة؟تأمل جيداً فيمن توشح بثوب الفضيلة تر انك تشبه العشب البالي وهو يشبه شجرة تأتي بأثمار جيدة وتبقى بهجة للناظرين . انك تحمل طعام الدود والعث التي متى هجمت عليك تعرّيك من زينتك . فالثياب نسيج الدود والذهب والفضة تراب ورماد ، ولكن العث بل الموت نفسه لا يقدر ان يضر بمن تحلى باثواب الفضيلة وهذا حق لان فضيلة النفس لا أول لها فهي ثمر روحاني ؛ ولذلك ، لا يأكلها الدود . فثوب الفضيلة ينسج حيث لا عث ولا دود ولا شيء آخر من هذا النوع .

لا يجوز ان نبرر انفسنا في اهمالنا الخلاص بداعي الجهل

ان الحياة الحاضرة ميدان . فكيفما سار الانسان فيه يجب ان يكون متيقظاً وذا عيون كثيرة . اذاً لا يخامرنا ظن ، اننا نقدر ان نتبرر ما دمنا جاهلين . فهذا العذر لا يقبل ابداً واننا سننال القصاص عن جهلنا ، فاليهود كانوا جاهلين . لكن هذا العذر لم يقبل لهم . والوثنيون كانوا جاهلين ، لكن لا شيء يبررهم .

اما ان كنت لم تقدر على ادراك الاشياء التي لا تدرك حقيقة ، فلا ذنب لك في ذلك . واما ان كنت تجهل الاشياء التي يسهل عليك فهمها فلا بد لك من القصاص الشديد . وان كنت غير متهاون كثيراً بالاشياء بل تبذل قصارى

جهدك لمعرفتها ، حينئذ يمد الله اليك يد المساعدة لمعرفة الغامض . لذلك قال بولس للفيليبيين. وان ارتأيتم شيئاً آخر فالله سيعلن لكم ذلك ايضاً (فيليبي ٣ : ١٥) فان أردنا النجاح في المسائل التي هي اكبر من قوانا العقلية نحرم من المساعدة كما حدث لليهود اذ قال المسيح : فلهذا أكلمكم بامثال لانهم يبصرون ولا يبصرون (متى ١٣:١٣) فما معنى هذا القول يبصرون ولا يبصرون ؟ معناه : يبصرون كيف يخرج الشياطين ويقولون فيه شيطان ، ويبصرون القائمين من الاموات ولا يسجدون له بل يفكرون في قتله .

اما كرنيليوس فلم يكن كهؤلاء بل تمم كل ما يتعلق به لذلك وهبه الله ما اراد . فلا تسل لماذا احتقر الله ذلك الوثني الصالح القلب والسليم النية ؟ ان البشر لا يعلمون من هو السليم النية . ولكن الذي خلق القلوب يقدر ان يفحصها جيداً . فان هذا الوثني كان غالباً لا يهتم لنفسه ولا يجتهد . لذلك قد نسأل كيف يجوز هذا وهو سليم النية ؟ فاجيبك ، تأمل جيداً في صلاحه ، واجتهد ان تعرفه من نواحي حياته فترى انه كان يهتم بها كثيراً فلو شاء ان يحول هذا الاهتمام الى الاعمال الروحانية لما احتقر ابداً ! هذه حقيقة واضحة كالشمس . اينما كان الانسان يقدر ان يخلص بسهولة ان انتبه قليلاً . ولكن لا تظن ان الاعمال الخلاصية أمر يسير ! أصحيح ان الاعمال الخلاصية محدودة في أرض فلسطين فقط ومحصورة في هذا الجزء الصغير من المسكونة ؟

ألم تسمع ما قال النبي : الكل يعرفونني من الصغير الى العظيم ، ألا ترى ان هذا ثبت بالبرهان ؟ ما عذر الذين يرون التعليم الحق منتشراً في جميع الاقطار ولا يرغبون به ولا يهتمون لمعرفته؟ اما سؤالك : أيجوز ان يطلب ذلك من القروي والبربري ؟ فاجيبك ليس من الفلاح والبربري فقط بل من أناس اشرس من برابرة عصرنا الحاضر ! كل من يهان في هذه الحياة يحاول ان يرد الاذى عنه . وعلى الاجمال كل فرد يعمل ويجرب كي لا يتحمل أدنى ضرر. اما في الاعمال الروحانية

فلا تراعى هذه الشروط .

كان الوثنيون يعبـــدون الحجر ويسجدون له كإله ويقيمون له الاعياد ويصرفون المال ويظهرون خوفهم الشديد منه ولا احـد يتجاسر ان يتهاون في هذه الامور لبساطتهم . اما الان فيحتجون بالبساطة والجهل حيث يصرخون الى الاله الحقيقي . كلا ! فلا الجهل ولا البساطة يجني علينا بل التهاون اصل كل بلاء . من هم اشد خشونة ؟ أمعاصرو ابرهيم ام معاصرونا ؟ ظروف من توافق لحسن العبادة ، أتلك ام هذه؟ الامر واضح للعيان لا شك انها الظروف الحاضرة! فقد بشر باسم الله بـــين كل الشعوب وتمت نبؤة الانبياء ، وتكذبت الوثنية وغلبت . أما في تلك الايام فقد كان الناس بلا تعليم ، والخطيئة سائـــدة ، ولم يسلم التعليم الى مرشدين ، ولم يكن انبياء ولا تعليم ، ولا يعرف الله الا القليلون ، وكان الجهل ضارباً اطنابه ، والظلام مخيماً على المسكونة كأنهـــا ليلة من ليالي الشتاء غير المقمرة . اما ذلك الرجل العجيب ابرهيم صاحب الروح العالية فقد اعترف بالله الحي واقتحم كل الصعوبات ومال الى الفضيلة وأوقـــد نار الحمية في الكثيرين ، ونجح في عمله مع انه لم يكن خبيراً في امور الحياة ، ولا متعلماً ، لان الكتابة لم تخترع حتى ذلك الوقت . فبما ان هذا الرجل تمم ما يجب عليه لم يهمله الله . ولا يجوز ان يقال ان ابرهيم اقتبس الشريعة من ابويه . لقد كان ابوه وثنياً يعبد الاصنام . وهو نفسه كان بربرياً نشأ وترعرع بين البرابرة ، ومع ذلك فقد فاق ذريته في أمور التقوى وحسن العبـــادة التي كانت تستفيد من الشريعة والانبياء . وهذا لانـــه لم يهتم كثيراً بالدنيويات بـــل انصرف بكليته الى الروحيات .

وملشيصاداق الم يعش في تلك الايام ايضاً ؟فقـد امكنه ان يتلألأ فيها حتى دعي كاهن الرب . فلا يجوز قطعاً ان يحتقر الانسان الساهر اليقظ . ولهـــذا يجب علينا ان نتيقظ ولا نضطرب بل ان نكون احسن من ذي قبل .

لا يجوز ان نحاسب الله ونجربه قائلين : لماذا يترك البعض وينادي الاخرين ؟ فنشبه ذلك العبد الذي نبذه سيده لأنه اراد الاطلاع على ادارة بيته وأوامره . مسكين وحقير هـــذا العبد فقد كان يجب عليه ان يهتم لتأدية الحساب وكيف يجب ان يستعطف سيده . فانت تطلب الحساب وتهمـــل الواجب عليك حتى تنال القصاص . وربما تسأل ما يقال للوثني اذاً ؟ فاكرر مـــا ذكرته : لا تهتم للوثني بل اجتهد في اصلاحه لئلا تغتر بواسطته ، ولا تناقش الحساب عنـه فقط بل عن حياتك لئلا يحصل له ضرر فتعرض نفسك للخطر الشديد ! فانه عندما يراك تحدث عن الملكوت وتتحد بالاشياء الحاضرة وتخـــاف جهنم وترتعد من مخاوف هذه الحياة؛انه اذ يراك على هذه الحالة يؤنبك قائلاً : ان كنت تريـــد الملكوت : فلم لا تحتقر الحياة الحاضرة ؟ وان كنت تنتظر الدينونة الرهيبة ، فلم لا تستخف بمصائب هذه الحياة ؟ وان كنت تترجى عدم الموت ، فلمـــاذا تخاف منه . ماذا يكون جوابك على هذه الاسئلة ان طرحت عليك .

لذلك فكر في هذه الامور وضاعف انتباهك ! لان هذه الامور يعثر الوثني بسببها . ان كان يهمك الخلاص برر نفسك مما ذكر لا بالكلام فقط بـــل بالفعل أيضاً . هذه الاسئلة لا يلوم الله عليها احداً . لكنك تلام على طراز حياتـك في كل زمان ومكان فاجتهد ان تصلحها ! وربما سألـــك الوثني أيضاً : أنى لي ان اعرف بان الله علم المستطاع فأنت مسيحي المولد ونشأت على موجب تعاليم هذه الشريعة الممتازة ومع ذلك لا تتمم شيئاً من اوامرها ؟ فماذا تجيب عن هـــذا ؟ لا شك في أنك تجيب : إنني أريك الآخرين الذين تمموا الشريعة حرفيـاً ، أي المتوحدين الذين يعيشون في الصحراء .

أفما هو عار عليك ان تكون مسيحياً وتشير الى الآخرين كأنـك عاجز ان تميز المسيحية وتفضلها ؟ ألا يسرع الوثني ليعترض عليك قائلاً:ما الداعي لصعود الجبال والذهاب الى الصحراء ، ان كان القاطن في المدينة لا يقدر أن يعيش عيشة

صالحة ، وما فضل التعاليم المسيحية ان كان يتوجب على المرء ، لاجلها ، ان يترك المدينة ويهرب الى البرية ، فارني رجلاً له زوجة وأولاد ، أو مسكيناً يعيش حياة صالحة ؟ فما هو جوابك عن هذا ؟ ألا يجدر بك ان تخجل ؟ ان المسيح لم يعلم هكذا ! اذاً ماذا ؟ فليضىء نوركم قدام الناس . (متى ٥ : ١٦) لا في الجبال ولا في الصحراء ولا في الحرجات الكثيفة ! بل في المدن أيضاً زاولوا حياة الصحراء الحكيمة لكي تصبح مدناً حقة . هكذا أمور تصلح الوثني وتحفظكم من عثرات شتى .

لذلك ان شئت ان تخلص نفسك من العثرات وتكسب الجوائز الكثيرة ، أصلح حياتك واجعلها اكثر ضياء : حتى يرى الناس أعمالكم الصالحة ويمجدوا أباكم الذي في السموات (متى ٥ : ١٦) ولكي نتمجد في الآتي بمجد عظيم فليكن لنا هذا بنعمة سيدنا يسوع المسيح ومحبته للبشر الذي له مع الآب والروح القدس المجد والملك والشرف الان وكل اوان والى دهر الداهرين .

الخلاص ممكن للمرء على اختلاف الطبقات والاحوال

ما اكثر النماذج في الكتب المقدسة للحياة الصالحة . فالواحد تمجد بالفقر والاخر بالغنى . ايليا تمجد بالفقر ، وابرهيم تمجد بالغنى . الواحد تمجد بالحياة الزوجية والاخر بالبتولية . ابرهيم بالاولى وايليا بالثانية . فاسلك الطريق التي تريدها : فالاولى والثانية تؤديان الى السماء . الواحد تمجد بالصوم كالمعمدان ، والاخر بدونه كأيوب . أضف الى هذا ان الاخير كان يهتم بزوجته وأبنائه وبناته ومسكنه وكانت ثروته طائلة . لم يكن للأول غير لباس من وبر .

ما لي أذكر المسكن والغنى والمال ؟ فالملوك تعيش حياة صالحة ، ربما اكثر من العامة ، مع كل ما لديها من مال وحسن حال . ان داود النبي كان ملكا وقد تمجد ولم يغترّ بالتاج والارجوان . وآخر تمجد وهو يدير شعباً برمته ، اعني به موسى ، فقد كانت سلطته مطلقة ولا يخفى ما يلزم من الصعوبة والشدة لادارة ذلك الشعب الجبار . فمن هذه الأمثلة رأيت ان بعضا تمجدوا بالغنى ، وبعضا بالفقر أو الحياة الزوجية او بالتبتل .

والآن انظر الى الذين هلكوا ، ان بالحياة الزوجية او بالبتولية او بالغنى او بالفقر ! فشمشون هلك بالحياة الزوجية ، بل بارادته ، وليس من الزواج . والخمس عذارى الجاهلات هلكن بالتبتل . والغني القاسي الذي لم يشفق على لعازر هلك بالغنى . وما اكثر الذين يهلكون بالفقر . وكم من ملوك هلكوا وهم يديرون أمماً كبيرة ! فهل يخلص الموظفون في الجندية ؟ انظر الى كرنيليوس ! أيخلص الوكلاء ؟ انظر الى خصي كنداكة . فمن الامثلة كلها يتضح لنا اننا نخلص ولا نهلك ان احسنا التصرف بالغنى او بغيره ، فالمتحفظ لا يضره شيء .

هل الاسر يسبب ضرراً ؟ كلا ! تذكر يوسف ، فقد استطاع ان يحافظ على الفضيلة في الاسر ! تذكر دانيال والثلاثة الفتية المأسورين كيف تمجدوا. الفضيلة تمجد في كل حالة ، فهي لا تقهر ، ولا يمنعها شيء مطلقاً . ومالي أتكلم عنها في الفقر والاسر والعبودية. الفضيلة لا تسبب ضرراً ولا جوعاً ولا تهلكة ولا مرضاً. والمرض أثقل من نير العبودية كما رأينا لعازر وايوب وتيموثيوس الذين تألموا من امراض كثيرة ، فلم تقهر الفضيلة لا من الغنى ولا من الفقر ولا من السلطة ولا من العبودية ولا من ادارة الاعمال ولا من المرض او الضعف او النفي ، لانها تسرع الى السماء تاركة كل شيء على الارض .

فان كانت نفسك شريفة ، فهي التي تقيك من الرذائل والنقائص . وان

كان المرء مقداماً فلا يقف امامه شيء من الموانع الخارجية ، كذلك من جهة الفن ، فان كان رساماً مدرباً خبيراً بدقائق الفن ، لا ينقص شيء من معرفته ، وهكذا ان اصابه مرض او فقر او كان لديه أدوات الرسم او لم يكن ، او داوم الشغل ، او تركه مدة من الزمان ، فالانسان الفاضل المنقطع الى عبادة الله تظهر فضيلته في الغنى والفقر والمجد وغيره .

كيف يجب ان نستفيد من هبات الله

في أية حالة كنا ، يجب ان نرفع انظارنا الى الله مستفيدين من النعمة التي وهبنا اياها . القوة البدنية او الغنى او غير ذلك ، لانه عار علينا نحن خليقة الله ان نستعمل هذه النعم لمنفعة الاخرين لا لخالقنا. انه قد أعطاك عينين فاستخدمها لاجله لا لاجل الشيطان ، وذلك في ان تتأمل في مخلوقاته ومجده وتصدهما عن النظر الى النساء ، واعطاك يدين فاستخدمها كذلك لاجله لا للشيطان والسلب والطمع بل لتكميل الوصايا واعمال البر ، ارفعها اليه اثناء الصلوات الطويلة وامددها لاسعاف الساقطين . واعطاك اذنين فاستخدمها لأجله ايضاً لا لاستماع الاغاني العالمية والحكايات القبيحة لانه قيل وتعلم الناس مرضاتك (سيراخ ٩ : ١٨) قف في جماعة الشيوخ ومن كان حكيماً فلازمه (سيراخ ٦:٣٥) واعطاك فماً فلا تدعه يفوه بغير مرضاة الله بل رنم المزامير والاناشيد الروحية كي تعطي نعمة للسامعين (أفسس ٢:٢٩) للبنيان لا للخراب ، للمدح لا للقدح ، للتوفيق لا للنميمة . وأعطاك عقلاً لا لتجدف عليه بل لتمدحه . واعطاك مالاً لتنفقه كما يجب . وقوة لتستخدمها كذلك . ومعرفة لتسير بحياتك الروحية الى الامام ، لا لتحيد عن الاعمال الصالحة ، ولكي نخدم بعضنا بعضا ، لا لننصب الفخاخ للاخرين. واعطانا المأوى لنأمن المطر والعواصف لا لنزينه بالذهب ونترك المسكين يهلك

جوعاً . وأعطانا اللباس للسترة لا للعجرفة ولا لتوشيتهـــا بالذهب . فالمسيح اعطاك المسكن لتقبل فيه غيرك ، لا لتقطنه وحدك .

لا يجوز ان ندنس شفاهنا بالكلام البذيء

لا تحزنوا الروح القدس لانـكم به تعرفون ! اجعلوا هذه الكلمات كخاتم على شفتي كل منكم ولا تلغوا هذه الاشارة . ان الشفاه المطبوعة بالروح القـــدس لا تتكلم باشياء معوجة . لا تقل لا بأس ان نطقت بكلمة رديئة او اهنت هذا او ذاك ، فالذي تحسبه زهيداً يحسب لك شراً عظيماً . وان الشر الذي تظنـــه صغيراً سرعان ما تهمله فيتقوى ، وحينئذ يتعذر شفاؤه .

اختمت شفتيك بالروح القدس ؟ فتذكر ما فهت به حين مولدك واذكر قيمة شفتيك ! انك تدعو الله اباك وتهين ، في الوقت نفسه ، اخاك ! فكر جيداً لماذا تدعو اللهأباك ،أبالطبيعة هو اب لك ؟ كلا ! اذن لا يمكنك ان تـدعوه هكذا ، ألأنه أحسن اليك ؟ كلا ليس من اجل هذا ، بل لاجـــل محبته للبشر ورأفته ورحمته العظيمة . اذن ! عندما تدعوه أبا ، فكر بانك لا تستحق هذا الشرف اذا احتقرت اخاك وكفرت بنعمة الله فلا تهن شرفاً نلته بالرحمة بقساوتك مع اخوتك !

أتدعو الله أباً وتحزن قريبك ؟ فهذا امر غير طبيعي في ابن الله ! فواجبات ابن الله مسامحة الاعداء والصلاة من اجل صالبيه واهراق الدم من اجل مبغضيه. ان المستحق ان يدعى ابن الله يحفل من اعدائه وجاحدي نعمته ومن البرابرة

والوقحاء والمرائين ، اخوة وورثة له ، ولا يعامـــل اخوته معاملة العبيد الارقاء .

اذكر جيداً الكلمات التي تنطقها شفتاك والمائدة التي تستحقها . فكر جيداً بماذا تلامسان ، وما تأكلان ، ومـــا تقبلان ؟ أتظن انك لا تجرم اذا شتمت أخاك ؟ وان كانت الحال هكذا فكيف تدعوه اخاً ؟ وان لم يكن لك اخ ، فكيف تقول اذاً ابانا الذي في السموات؟ ان الضمير في كلمة ابانا يدل على كثيرين. ففكر مع من تقف اثناء تكميل الاسرار ! مع الشاروبيم والساروفيم ، فهؤلاء لا يشتمون ولا تعرف شفاههم غـــير التسبيح وتمجيد الله . اذن كيف تسبح الله انت ؟ كيف تشترك معهم بالقول : قدوس قدوس قدوس بعد لفظك الشتائم . قل لي ! ان كنت اناء ملكياً مليئاً بالمآكل الملوكية وخصصت بهذا العمل وصدف ان نجّس هذا الاناء احد الخدمة فهل يجسر بعد هذا ان يقدم هـذا الاناء المليء بالاقذار مع الآنية الاخرى المستعملة على مائدة الملك ؟بالطبع كلا ! فان الشتائم واهانة القريب تشبه هذا الاناء بالتمام .

أبانا ! ليس وحدك تقول هذا. تأمل ما يلي هذه الكلمة في السموات . فان هـــذه الكلمات تكشف عن ذهنك وتثبت لك انه يوجد لك أب في السموات فلا تتفوه بشيء عـــالمي ! انها اصعدتك الى العلاء واوجدتك مع الاجناد السماوية . إذاً ، لماذا تسقط الى الهاوية . اتقف أمام عرش الله وتتلفظ بالشتائم ألا تخاف من أن الله يعد عملك هذا إهانة ؟ اذا ضرب عبدعبداً آخر وشتمه أمام أعيننا ألا نتكدر منه ، ونحسب عمله إهانة لنا ولو كان عمله بحق ؟ أمـــا انت الواقف مع الشاروبيم أمام عرش المولى فتتجاسر ان تهين أخاك .

أترى هذه الآنية المقدسة ؟ انها أعدت لشيء معين ، فمن يجسر ان يستعملها لشيء آخر ؟ انك أقدس من هذه الآنية بكثير . فالله زين شفتيـــك بأناشيد ملائكية عديدة .فلماذا تدنس ذاتك وتلطخها بالاقذار ؟أتقف في السماء وتستسلم

للشتائم ؟ قد استحققت ان تقبل السيد فلماذا تتلفظ بما لا يليق . قـــد زين الله شفتيك بالتسابيح الملائكية العديدة وأهلك لتتقبل الملائكة بل السيد نفسه ، ومع ذلك تستسلم للشتائم فأسألك ان تتركها ، لانها بعيدة عن الروح المسيحية ومضرة كثيراً .

ألا يؤثر فيك كلامنا ، ألا تخجل منا ؟ اذن اسمع جيداً ما قال المسيح : من قال لاخيه يا احمق يستوجب نار جهنم (متى ٥ : ٢٢) فاذا كانت جهنم معدة لمن يوجه لأخيه إهانة صغيرة فكم بالحري تكون لمن يسبب لغيره الاهانات الكبيرة؟ لنعود شفاهنا الكلام الجيد المفيد كثيراً ! لا الكلام الرديء المضر . نحن لانحتاج بذلك الى النفقات . لنضع فقط باباً ومزلاجاً لشفاهنا ولنجتهد ألا ننطق بكلمة رديئة ! ولنتضرع الى الله والى من أهناه كي لا نتألم سدى ونحزن أنفسنا لا الله تعالى . لنعالج أنفسنا بالصلاة والمسالمة مع القريب لا بالكلام فقط بـــل بالاعمال أيضاً ، لأننا إن أهنّا صديقنا نجلب منه القصاص لنفوسنا . لنعلم ان الكـــلام الرديء خطيئة فنتخلص بذلك منهـــا ! واله السلام يحفظ عقولكم وألسنتكم ويحيطكم بسياج منيع من خوفه باسم سيدنا يسوع المسيح !

لا يجوز التأثر إن شتمنا أحد من دون ذنب

لا يجوز ان نتأثر من أحد ولو شتمنا بلا حق ! لاننا ان سلكنا طريق الشر نكن أتعس خلق الله وان لم يشتمنا أحد ! أما ان سلكنا طريق الفضيلة فنكون سعداء ونضم الينا كل من يطلب خلاص نفسه ولو ذمنا العالم كله . لاننا بذلـــك لا ننظر الى كلام الاشرار البذيء بل الى حياة الفضيلة . ان صوت الفضيلة أعلى من صوت البوق . والحياة الطاهرة أبهى من الشمس لا يشوبها كلام الأردياء مهما كثروا .

واذا جمعنا مزايا الفضيلة فكنا ودعاء متواضعين ، ورحماء وانقياء وصانعي السلام ، لا نتأثر أيضاً من الكلام الرديء بل نقبله بفرح . وبذلك نجذب كل من ينظر الينا ونؤثر في الجمهور تأثير العجائب فينضم الينا بطيبة خاطر ولو كان متوحشاً او خبيثاً كالأرواح الشريرة الرديئة ، وقس على ذلك .

فإن أهانك أحد علانية فلا تضطرب بل حقق فيه نظرك جيداً ، فلا يتأخر الجمهور عن أن يصفق لك متعجباً من حلمك ومكثراً من مديحك والثناء عليك في القلوب (دانيال : ٣) راجع مديح نبوخذنصر للفتيان الثلاثة الذين طرحوا في الاتون مع أنه كان عدوهم واكبر مضطهد لهم فانه اذ رأى شجاعتهم مدحهم لأنهم لم يذعنو لامره بل لتعليم الله فقط (دانيال ٣) فالشيطان يبتعد عنا اذا لم ينجح في سعيه خائفاً من ان يسبب لنا مجدا بتجاربه لنا ، وبابتعاده عنا متهوراً يعترف كل فرد بفضيلتنا مهما كان فاسداً رجساً ويقدرها حق قدرها بعد ذلك الظلام وان لم يعترف لك البشر بهذا فإنك تحصل على المديح من الله تعالى وعلى المجد العظيم .

لهذا لا تحزن ولا تصغر نفسك . فان الرسل كانوا للبعض رائحة موت للموت وللآخرين رائحة حياة للحياة (كورنثوس الثانية ٢ : ١٦) فان لم تفعل شيئاً يستوجب المذمة فأنت بريء من كل لوم وتصبح سعيداً جداً ! بناء عليه دع حياتك تتلألأ ولا تعر أذناً صاغية الى من يذمك اذ ان الفاضل لا يخلو من اعداء كثيرين عاجزين عن ضرره فيتمجد بسببهم اكثر من الاول . فلنفكر بهذا ، ولنضع نصب أعيننا شيئاً واحداً وهو ان نسلك طريق الفضيلة ونسير بالذين في الظلام الى حياة السماء النيرة . ان لهذا النور قوة لا يحدها العالم بل ينير الذاهبين الى هناك ايضاً فانهم اذ يرون احتقارنا الحياة الحاضرة واسراعنا الى الاتية يمدحون فضيلتنا المفيدة بالاعمال لا بالكلام فقط .

لا يجوز الحزن إن ذمنا أحد

فلا تخافوا منهم لأنه لا مخفي الا وسيظهر ولا مكتوم الا وسيعلم (متى ١٠ : ٢٦) ماذا يحزنكم ؟ ألانهم يسمونكم مرائين وخداعين ؟ تمهلوا قليلاً فيسمونكم منقذي العالم ومحسنين اليه . ان الزمان سيعلن المكتوم ويكشف طعن أعدائكم بكم فتظهر فضيلتكم ان كنتم منقذين ومحسنين ، وقد اثبتم ذلك بالاعمال ، فالناس لا يصغون الى الاقوال بل ينظرون الى حقيقة الاعمال ، وعندئذ تظهر حقيقة الوشاة والكذبة والاشرار . أما انتم فيتلألأ ضياؤكم كأشعة الشمس اللامعة وتظهر حقيقتكم للجميع وتعرفون من أنتم ويعلو صوتكم كصوت البوق ويشهد الناس فضيلتكم . بناء على كلامي يجب ان تزيلوا كل حزن من قلوبكم وتنشطوا ويتثبت رجاؤكم بالنعم المقبلة لأنه لا يمكن ان تبقى أعمال مكتومة !

هل يجوز ان ندخل إلى قلوبنا الاهانة الموجهة الينا

ان تلهب قلبك غيظاً حصن صدرك بعلامة الصليب ، واذكر آلام المخلص وما حدث في ذلك الزمان ، فيتشتت لدى هذه الذكرى كالرماد ، كل اضطراب روحي . فكر في الكلام والاعمال ! فكر ان السيد تألم من أجلك أنت العبد ، أما انت فتتألم من اجل نفسك . تألم السيد من اجل الذين صلبوه وتحنن عليهم ، أما أنت فمن اجل ذاتك فقط . صلب هو من اجل الذين اضطهدوه ، أما انت فمن اجل الذين اضطهدتهم . تألم السيد على مرأى المدينة كلها ، وجميع شعب اليهودية والغرباء والمواطنين الذين عاملهم بمحبته للبشر ، اما أنت فعلى مرأى

القليلين فقط . والذي يستوجب الحزن كثيراً ان تلاميـذه تركوه والذين كانوا يخدمونه سابقاً هربوا منه الآن . أما اليهود أعداؤه والجنود واللصان فأحاطوا من الجانبين بالمصلوب يحاكمونه ويلومونه ويهينونه مستهزئين به ومجدفين عليه .

اذاً ، فكر بهذا جيداً ، وتحمل الاهانة كما تحملها سيدك ! هل كانت اهانتك علانية أمام الجمهور ؟ طبعاً ليس كالسيد ! أجرى عليك القصاص ؟ طبعاً لا على جسدك ولم تعذب عرياناً ! هـل لطمت ؟ ليس كالسيد ! افتكر فيمن لطمك ومن أجل أي شيء ومتى ؟ والذي يلفت النظر في ذلـك الوقت ان لم يتذمر أحد من الحادث أمامه ولم يتأثر بل بالعكس كان الجميع يمدحون ذلـك العمل ويضحكون من السيد ويهينونه ويلومونه كمنافق معجب بنفسه ولم يقدر ان يثبت كلامه بالاعمال . ومع هذا كله كان صامتاً وبصمته لقننا درساً لا يقـدر بثمن وهو طول الاناة . أما نحن فلا نملك أنفسنا ان اهاننـا احد ، فنثور ، ونضرب الارض بأرجلنـا مبتعدين عن الانسانية ، وبالعكس اذا كان الامر متعلقاً بالله تعالى فلا يحركنا كثيراً ، وهكذا بخصوص الاخرين . أما ان اهاننا او اغضبنا احد فنفقد الصبر ونصير كالوحوش المفترسة مـع اننا نقرأ الكتب المقدسة يومياً .

ان السيد سلمه أحد تلاميذه والاخرون تركوه وهربوا والذين أنعم عليهم يبصقون عليه ، واحد خدام رؤساء الكهنة يلطمه والجنود وعـابرو الطريق يستهزئون به ويشتمونه واللصان يهينانه ، اما هو فقد كان صامتاً وقـد غلب الجميع بهذا الصمت والسكوت ويعلمك ان تتحمل الاهانة بوداعة كي تتغلب على المعتدي بغير حق وتجعل الجميع معجبين منك . فمن لا يتعجب ممن يتحمل الاذى بوداعة من الاشرار السفهاء ؟ ان كل من يتألم ولو كان مذنبـاً ويصبر على الألم بوداعة يبرئه الكثيرون . اما من يتألم ، ولو كان بريئاً ، ولا يصبر على ذلـك فيقال عنه انه مستحق ، ويصبح اضحوكة في عيون الكثيرين كمن يستولي عليه

الحمق والغضب فيفقد شرفه ؛ فمثل هذا لا يكون حراً مطلق الارادة ، ولو حكم الالوف من العبيد !

أغضبت من احد ؟ في مثـــل هذا الوقت يجب ان تظهر حكمتك ! ان الوحش يلبث هادئاً وادعاً ان لم يغضبه احـد ، وبالعكس تظهر وحشيته حالاً لدى اقل سبب . فبأي شيء نمتاز نحن عن الوحوش ان كان سكوتنا فقط حينما لا يغضبنا احـــد ؟ ان الوحش يغضب ويثور لان ليس له قوة الادراك ، ولأنه يضرب بالسياط . اما انت فما هي الاهانة التي تتحملها ؟ اسلب ما لديك من مال ومتاع ؟ ان تحملت المصيبة بسعة صدر ونفس كبيرة تحصل على اكثر مما فقدت ! أخسرت سمعتك الحسنة ؟ ان ذلك لا يضيرك ما دمت عاقلاً محترمـاً في عيني نفسك . ولماذا تغضب ممن لم يسبب لك ضرراً بـــل نفعك ؟ ان الذين يمدحوننا يحركون فينا عاطفة اللين والحنو ،بيد ان الذين يضطهدوننا ويحتقروننا ينمون فينا الصبر وطول الاناة .

ان الذين يحزنوننا يجعلوننا حكماء فنتشجع روحيـاً ، اما مادحونا فيزيدون خيلاءناوينفخون فينا روح الكبرياء والاعجاب والتهـــاون فتضعف نفوسنا ، ويثبت هذا الاباء الذين لا يلاطفون اولادهم بقدر ما يوبخونهم لعدم تحملهم الاذى بسبب التساهل معهم ، وهذا شأن المعلمين مع التلاميـذ . لذلك يجب ان نعاف المديح والتمليق . فان هذا يسبب الضرر اكثر من الاهانة . اللطف فـــخّ لغير المتحفظين ، والتوقي منه اصعب من الاهانة اضف الى ذلكان الجائزة اكبر والمجد اعظم . ان الشخص الذي يهان ولا يحتاج يستوجب الاعجاب اكثر ممن يضرب ولا يسقط على الارض ! ولكن هل من الممكن ان يهـان الانسان ولا يتحرك ! هل اهانك احد ؟ حصن صدرك بعلامة الصليب تذكر ما حدث على الصليب ، يذهب منك الحقد ، لا تفكر بالاهانات دائما بل فكر بالبر والاعمال الصالحة التي تتأتى لك من المعتدين فتصير للحال وديعا اكثر من قبل !

فكر في خوف الله تصبح أهدأ من السابق ! خذ مثالاً من العبيد فانك ان شتمت احداً منهم وجدته صامتاً . فكر بهذا انه يمكنك ان تكون عاقلاً رزيناً بكبّت نفسك على قساوتك ، وعلمها الا تحزن لاقل اهانة حتى لا تحزن انت ايضاً ، تصور ان من يهينك يهذي فاقداً رشده فان كان كذلك فلا تحزنك اهانته فان المجانين يضربوننا ولا نغضب منهم بل نتوجع لاجلهم ، لذلك تألم انت من اجل الذين يهينونك لانهم شبيهون بالوحوش الشرسة بحدتهم وبالشياطين النجسة في غضبهم .

اسرع وخلص ذلك الرجل المعذب من الشيطان الشرير فانه كاد يهلك فان هذا المرض ان اعترى احداً لا بد من ان يهلكه في وقت قصير لذلك قال الحكيم : غضب الاثيم لا يمكن ان يبرر لان وقر غضبه يسقطه ، الطويـــل الاناة يصبر الى حين ثم يعاوده السرور (ابن سيراخ ١ : ٢٨ و٢٩) مبيناً قساوة الغضب التي تجلب الهلاك العظيم في وقت قصير ، وهي من الامراض التي يتعذر شفاؤها .

انني اريد ان اريك من هو القادح ومن هو الحكيم اريد ان اريك نفس كل منهما عارية لترى ان نفس الاول كالبحر الهائج والثاني كالمينا الهادي لا تهيجه الرياح والعواصف بل توقفها عند حدها . ان القادح يستعمل كل الوسائط ليورط سواه وعندما يفقد كل امل في النجاح بغرضه يتراجع الى الوراء ، بعدما بـدأ باصلاح اخلاقه وأنب نفسه على ما فعل . فان شئت ان تقاوم احداً فافعل مـا تريد ، دون غضب ، فيكون نجاحك اعظم ان كانت اعمالك بتعقل لا بتأثير الغضب ، وبهذا لا تصادف ما يسؤك . فكل سعادة وصلاح يأتيك عن طريق نفسك لاننا نقدر بعون الله تعالى ونعمته ان نكون ناعمي البال حافظي الشرف . لماذا تطلب المجد من سواك ؟ احترم نفسك فلا احد يسلبك شرفك . اما ان سلبت شرفك بنفسك فانك تفقده مهما دافع عنك الاخرون واذا لم نفسد انفسنا فلا احد يقدر ان يفسدها وهكذا تماماً ان لم نسلب شرفنا فلا احد يقدر ان يعيرنا او يعيبنا !

ان الكبير النفس المستحق المجد لا يأبه بما يقال عنه وينسب اليه من مذمة ولا يتأثر او يغضب من ذلك لانه يعرف نفسه وبراءته فان كان الامر كذلك فما هو الذي يضره من ذلك ؟ الحق لا شيء فانه لم يفقد شرفه بل الذين اتهموه باطلاً . فلو قال احد ان الشمس مظلمة ايحط قوله من كرامتها ام كرامته ؟ بالطبع من كرامته لانه اما فاقد البصر او فاقد العقل كذلك الذين يحسبون الابرار اشراراً فانهم ينزلون من كرامتهم انفسهم لا من كرامة الابرار فيجب علينا اذاً ان نضاعف اجتهادنا لنحفظ ضميرنا نقياً ولا نترك اي شبهة تدخل اليه .

فان سلكنا الطريق المذكورة ورأينا بعضاً ينحون علينا باللائمة ، فلا يجب ان نكترث لهم او نتكدر من اجلهم . فمن يعرف حقيقة نفسه لا يخسر شيئاً ولو عده البعض أثيماً . بل بالعكس ، كل من يظن الشر في الاخرين باطلاً يهلك لا محالة . وكذلك ، فان اعتبارك الشرير باراً لا يأتيه بأقل نفع بل يستوجب الحكم عليه اكثر ، لان الاهمال وعدم الاكتراث يستوليان عليه ، فلو عد الشرير شريراً لربما انتفع باعترافه بخطاياه ، بينما لو كانت مستورة لما اكترث بها . فتوبيخ الخاطىء ضروري ليعترف بخطاياه ويندم عليها . فهل يمكن ان يستيقظ من غفلته ان مدحه العالم بدلاً من التأنيب ؟ ألم تسمع كيف بولس الرسول وبخ اهل كورنثوس لانهم شجعوا الخطأة ومدحوهم بدلاً من ان يحملوهم على الاعتراف بذنبهم ، فثبتوهم في غيهم !

لذلك اتضرع اليكم الا تظنوا الشر بالاخرين وتهينوهم وتضطهدوهم بل احفظوا ضمائركم نقية خالية من وصمة العار وفتشوا ذواتكم ولوموا انفسكم فقط . فعلى هذه الحال نتلذذ بالحياة الحاضرة وفي الآتية ، بنعمة سيدنا يسوع المسيح وبمحبته للبشر الذي له مع الاب والروح القدس المجد والملك الان والى دهر الداهرين امين .

جمال الجسد يتعلق بجمال النفس

لا يتوقف الجمال على جمال الجسد بل على التهذيب والنور المطبوعين في النفس، لذلك احبب نفسك التي تعطي جسدك الجمال . وها انا اثبت لك ان كل شيء جميل في هذه الحياة يتوقف على جمال النفس : فان كانت النفس مسرورة يتفتح الورد في الوجنات ، وان كانت محزونة يذهب الجمال حالاً وتلبس ثوب الحداد الاسود . ان كانت في حالة السرور يتعافى الجسم ، وان كانت بالعكس تنحط قوى الجسد ويصير كخيط العنكبوت .

ان تغضب النفس تر الجسد قبيحاً مكروهاً ، وان تنظر بوداعة وصفاء تر الجسد جميلاً مرضياً . وان سيطر الحسد على النفس واخذ بمجامعها عرا الجسد الاصفرار والذبول . وان امتلأت بالمحبة الخالصة بدا الجسد جميلاً بنوع خاص . ولذلك كثيرات من النسوة المحرومات من جمال الوجه الطبيعي يظهرن جميلات بجمالهن النفساني . تصور جمال الوجه الابيض المتورد بحمرة الخجل كم يؤثر في الناظرين ! بينما النفس الوقحة التي لا تعرف الخجل يقبح صاحبها ويظهر كالوحش الكاسر خلافاً لنفس الخجول التي تجعل منظره لطيفاً وديعاً ، لانه لا شيء أجمل وألطف من النفس البارة .

ان محبة جمال الجسد ممزوجة بالاكدار ومحبة الجمال النفساني مقرونة باللذة والهناء والهدوء والتقى الدائم . بناء عليه لماذا تتجاوز الملك وتندهش من رسوله ؟ وتترك الحكيم نفسه ، وتنظر بانذهال الى من يعبر عن كلامه ؟ فان رأيت نظرة جذابة خارجية اجتهد ان تعرف الداخل ، وان كان هذا اي الاخير قبيحاً فلا تبال بالاول ، وان رأيت امرأة قبيحة المنظر ذات وجه مستعار جميل فلا شك انك لا تفتن بها وكما انك لا تريد ان تغطي المرأة الجميلة

جمال وجهها بالوجه المستعار بل ترغب في ان يخلع عنها حتى تقدر ان ترى جمالها الطبيعي ، كن كذلك مع النفس واجتهد ان تعرف حقيقتها قبل كل شيء . فالجسد كالوجه المستعار يغطي النفس ويبقى مثلما تراه لاول مرة ، اما النفس وان كانت قبيحة فيمكنها ان تصير جميلة حتى وان كانت قبيحة وحشية شرسة فيمكنها ان تنقلب جميلة وديعة صافية ومحبوبة جذابة . فعلى المرء ان يفتش عن جمال الوجه كما ذكر سابقاً فيرى الله جمالنا ويهبنا خيراته بنعمة سيدنا يسوع المسيح ومحبته للبشر الذي له المجد والملك الى دهر الداهرين .

عن اعطاء النفس هواها

ان الرفاهية والتبرج تقرب الشيخوخة قبل أوانها وتضعف الحواس وتظلم الفكر وتعمي العقل وتملأ الجسد بالرطوبة وتجمع العفونة التي تسبب الامراض الكثيرة وتلقي حملاً ثقيلاً يتعسر حمله وكثيراً ما ينتج عنه السقوط واحيانا الهلاك .

قل لي لماذا تسمن جسدك ؟ أيمكن ان نقدمك ذبيحة او على المائدة ؟ قد يحسن ان نكثر غذاء الطيور ، والافضل الا يكون ذلك لانها اذا سمنت كثيراً لا يكون اكلها صحياً تماماً ، فالشراهة شر عظيم وهي مضرة بالحيوان ايضاً . بتسمينها نجعلها عديمة النفع لذاتها ولنا لانه يعسر هضم الطعام الدسم والعصارة تنحل . اما الحيوانات التي لا يكثر لها الطعام او تصوم قليلاً فتستخدم في الاشغال المتعبة وتكون نافعة جداً لذواتها وللاخرين وتصلح للغذاء ولكل شيء. والذين يتغذون بلحوم هذه الحيوانات يكونون اصحاء اكثر من غيرهم ، اما الذين يتغذون بلحوم الحيوانات السمينة جداً فيماثلونها بالكسل والمرض ويضعون حملاً ثقيلاً على عواتقهم ؛ فلا شيء مكروه ومضر للجسد كالنهم ، لا شيء يمرضه ويضعفه ويضره كالتخمة واستعمال الاطعمة الكثيرة . فباعة الخمر لا يملأون

الزقاق كثيراً كيلا تتمزق ؛ اما هؤلاء فلا يهتمون بمعدهم وامعائهم المسكينة بل يحملونها فوق طاقتها من انواع الطعام ويملأونها بانواع الخمور الى اقصى درجة الى الاذان والمناخير والحلوق وبهذه الصورة يضيقون جداً على الروح وعلى تلك القوة التي تنشأ عنها الحياة وتقوم بها . فهل اعطي لك الحلق كي تملأه بالخمور واشياء اخرى مضرة حتى الشفتين ؟

ان الانسان لم يخلق من اجل هذا ، بل ليسبح الله أولاً ويرفع الصلوات المقدمة اليه ويقرأ التعاليم الالهية ثانياً لتقديم النصائح المفيدة للقريب . اما انت فكأنك اعطيته الحلق للنهم فقط فلا تعطيه وقتاً ولو قصيراً للاعمال المقدسة . فما اشبه هؤلاء بالذين يأخذون عوداً ذهبي الاوتار ، فعوضاً عن ان يعزفوا عليه ويسمعونا الانغام المألوفة يطرحونه بين الاقذار . فأنا أشبه بهذا ، لا الاكل بل النهم المتجاوز الحدود . لان الغذاء الكثير يضر ولا ينفع . ان الاحشاء اعطيت لاجل تناول الطعام . اما الشفاه والحلق واللسان فلم تعط لاجله فقط بل لاجل الاعمال الاكثر اهمية . ان الاحشاء تنبهنا الى الضرر عند النهمة وعدم الاعتدال ، بل تنتقم منا وتقاصصنا لعدم الانصاف ؛ تقتص من الارجل التي تحملنا وتسير بنا الى الولائم الفاخرة ، وتوقف الايدي الممتدة لتقديم المآكل اللذيذة المتنوعة وتضر شفاه الكثيرين وعيونهم ورؤوسهم .

فكما ان العبد يثور على سيده ومولاه اذا حمله اشياء فوق طاقته ، هكذا الاحشاء ان حملت فوق طاقتها فانها تهلك وتسبب الضرر لبقية الاعضاء والدماغ ايضاً . فالله احسن الينا بربطه عدم الاعتدال بتلك النتائج المضرة لكي نراعي الاعتدال بطيبة خاطر خوفاً من الوقوع في الاضرار والمخاطر . وهكذا نراعي صحة الجسد ونخلص النفس من كل ألم ومرض ونكون شركاء في الخيرات الاتية بنعمة سيدنا يسوع المسيح ومحبته للبشر الذي له المجد والملك الى دهر الداهرين

عن السكر

لا تحتقر الخمرة بل السكر . وعندما يملك السكران رشده صف له قبح السكر . قل له قد اعطي الخمر لاجل التسلية لا لاجل القباحة . اعطي لتكون فرحاً مسروراً لا موضوعاً للاستهزاء ، لتقوية الصحة لا لهدمها ، لتطبيب اسقام الجسد لا لاضعاف النفس .

ان الله اكرمك واعطاك هذه الهبة ، فلماذا تتجاوز الحد باستعمالها وتحتقر ذاتك . اسمع ما قاله بولس الرسول : استعمل قليلاً من الخمر من اجل معدتك وامراضك المتكاثرة (تيموثاوس الاولى ٥ : ٢٣) فاذا كان القديس الذي اعترته الامراض والاسقام الكثيرة لم يستعمل الخمرة الا بامر معلمه ، فلأي دينونة نعرض انفسنا نحن الاصحاء اذا استعملناها من دون حاجة كما قيل : استعمل قليلاً من الخمر من اجل معدتك واسقامك الكثيرة . اما بولس فيقول لكل من يشرب الخمرة منكم : استعمل قليلاً لان السكر يولد الضلال فاذا لم تريدوا ان تمسكوا ذواتكم عن السكر فامتنعوا عنه لانه يهيج فيكم الشهوات المكروهة .

الخمرة اعطيت لاجل الفرح كما قال النبي داود لانها تفرح قلب الانسان ، اما انتم فتفسدون معنى هذا القول الصالح . ما هو الفرح ؟ هل هو في ان تفقد رشدك ، وتتألم من امراض عديدة ، وان ترى كل ما يحيط بك قاتماً مظلما ، وان تصبح محتاجا الى من يمسح رأسك بالزيت المقدس . انا لا اتكلم عن الجميع بل لاجل الجميع . انا لا اقول ان الكل يشربون بل الذين لا يشربون لكي يعنوا بالذين يشربون .

لهذا اوجه كلامي بنوع خاص اليكم انتم المعافون تماما لان الطبيب يترك المريض ويخاطب الاصحاء الجالسين قربه . نعم اليكم أوجه كلامي كي لا تدعوا

العـــدوى تسري اليكم ولكي تنجّوا من ذلك المرض الخبيث ، من سرت اليهم العدوى ، فلا يكون بينكم من هو ادنى من الحيوان . ان الحيوان يفرط ، اما هؤلاء فانهم يصيرون احمق من الحيوان لاجتيازهم حدود الاعتدال . الا نفضل الحمير بحق عليهم ؟ أليس الكلب افضل منهم بكثير ؟ كل فـــرد من الحيوانات اطلاقا، ان أكل او شرب يعرف الحد الذي يكتفي به لا يتجاوزه ولو اجبر على ذلك ، بل نحن لا نقدر ان نجبره على ان يأكل او يشرب اكثر من استطاعته لئلا نسبب له الضرر. فليتنا نتصرف هكذا مع انفسنا لئلا نكون احط من الحيوانات تبصراً واحتياطا .

ان آلامك وعذابك لا تحد باليوم الذي تكون فيه سكران بل بما يتبعه من الايام . فكما يبقى أثر الحمى المهلكة في الجسم بعـــد دور النقاهة ، هكذا بعد السكر يبقى ثوران العاصفة في نفسك وجسدك معا . فالجسد المسكين يظهر مخلعا كسفينة حطمتها العاصفة ، والنفس تمسي في حالة يرثى لها اكثر من الجسد المخلع الثائرة فيه الاهواء والشهوات . وهكذا عندما يصحو السكران ويعود الى رشده يشتد هياجه بتذكره الكؤوس والاقداح ، وكما ان الزوبعة تمر وتبقى بعدها آثار الخراب الذي سببته ، هكذا تفعل في الانسان فتسلبه كل شيء صالح من حكمة مكتسبة او خجل او وداعة او تواضع ، كل هـــذه الفضائل يبددها السكر في بحر التعاسة .

ان السفينة إذا أفرغ ما فيها تصبح أخف من ذي قبل ،وبدل الأحمال الثمينة المفيدة ، تملأ من جديد بالرمال وغيرها من الأقذار فتهوي الى العمق بمن فيها من الربابنة والملاحين والركاب . فلكي لا يحدث معنا ذلك علينا ان نتجنب الزوبعة ، لأن السكير لا يحق له ان يرى ملكوت السموات كما يقول بولس الرسول : انـه لا السارقون ولا الطماعون ولا السكارى ولا الشتامون ولا الخـاطفون يرثون ملكوت الله (كورنثوس الاولى ٦ : ١٠) وكيف يرى السكير ملكـوت الله وهو يحول النهار الى ليل والنور الى ظلمة بل ينظر بعينين محملقتين وهو لا يرى ما

تحت قدميه ، وليس هذا هو الشر الوحيد الذي يتولد عن السكر بل يعرض السكير نفسه الى قصاص فظيع ، الى الكآبة وحدة الغضب وانهاك القوى والسخرية والشتائم . فما الذي ينتظره أولئك الذين يقتلون نفوسهم بمثل هذه الاهوال ؟

فعلينا ان نتجنب هذه المخاطر لكي نحصل على الخيرات الحاضرة والآتية بنعمة سيدنا يسوع المسيح ومحبته للبشر الذي له المجد والملك مع الاب والروح القدس الى دهر الداهرين .

عن الصوم

من يصم يصبح خفيفاً كما لو كان له أجنحة فيصلي بنشاط كلي ويخمد الشهوات الشريرة ويستعطف الله ويجعل نفسه المتعجرفة متضعة ، لذلك صام الرسل اكثر الأوقات . ومن يصلي صائماً يملك جناحين أخف من النسيم ، فلا يهذي ولا يتثاءب ولا تنحط قواه في وقت الصلاة كما يحدث مع الكثيرين . فهو اسرع من لهيب النار وارفع من الارض ، وهكذا يظهر عدواً ومحارباً للشيطان ، لأنه لا أحد أقوى من المصلي بحرارة ، فاذا كانت تلك المرأة قدرت ان تستعطف القائد القاسي الذي لم يخف ولم يخجل من البشر ، فكم بالحري يستعطف الله من يقف أمامه رافضاً الملذات العالمية وتاركا أنواع المآكل الشهية . واذا كان جسدك ضعيفاً لا يقوى على الصيام دائما فلا يجوز لك ان تكون ضعيفاً في اوقات الصلاة وفي الامساك عن أنواع الطعام ،فان كنت لا تقدر على الصيام فلا تستسلم للرفاهية على الاقل ، فبالاعتدال تقدر ان تزجر حدة الشيطان الذي يحب الرفاهية والسكر اللذين هما ينبوع الشرور ومصدرها . ألم يدفع الشيطان الاسرائيليين الى عبادة الاصنام ، ويجر أهل سدوم الى الاعمال الفاسدة ؟ لذلك يقول الكتاب

المقدس : هكذا كان إثم أختك سدوم الكبرياء والشبع من الخبز وسلام الاطمئنان (حزقيال ١٦ : ٤٩) نعم هذا الذي أهلك الكثيرين وحرمهم من النعيم وأدخلهم الى الجحيم !

لا يجوز الاضطراب إن طرأ علينا تغير في الحياة الحاضرة

كما يختلف في الطبيعة ، الليل والنهار والصيف والشتاء ، كذلك يحصل معنا . إما الفرح أو الترح ، وإما المرض أو الصحة ، فلا تعجب أثناء مرضك فانك ستعجب من أشياء أخرى إبان صحتك ، ولا تضطرب وقت الحزن فانك ستضطرب وقت الفرح ، وهذا كله يجري بنظام طبيعي .

لماذا تعجب ان حصل لك شيء من هذا القبيل ؟ من منكم يجهل ما حصل للقديسين ؟ فلكي تفهم ذلك ، نمثل لك تلك الحياة التي تفكر بها فهي مفعمة بالمسرات خالية من الهموم .

أتريد ان تقف على حياة ابرهيم منذ أولها ، ماذا تسمع قبل كل شيء ؟ اذهب من ارضك ومن عشيرتك (تكوين ١٢ : ١٠) أرأيت انه لم يُطلب منه شيء مفرح ؟ لكن تأمل ما يتبع ذلك من المسرات : واذهب الى الارض التي اريك فاجعلك أمة عظيمة وأباركك واعظم اسمك (تكوين ١٢ : ١ – ٢) وماذا بعد ان جاء الى تلك الأرض ؟ هل وصل الى المينا وانتهت الاحزان ؟ كلا ! بل تبعها أحزان اشد وطأة من الاولى وهي الجوع والسفر وسلب الزوجة . ولكن، كانت تنتظره مسرات بعد تلك الاحزان وهي التغلب على فرعون وتمجيده مع عطايا كثيرة ثم رجوعه الى البيت ، فكانت بقية حياته كلها سلسلة من الأفراح

والأتراح . وهكذا الشيء نفسه حدث مـــع الرسل . لذلك يقول بولس : الذي يعزينا في كل ضيقنا حتى نستطيع ان نعزي الذين هم في كل ضيقـة (كورنثوس الثانية ١ : ٤) وربما تقول كيف يأتون إلي وأنا دائماً في الاحزان ؟ فأقول لـك لا تكن عديم الاحساس عديم الشكر اذ لا يمكن لاحد أن يصرف أيامه كلهـا في الاحزان كأن الطبيعة البشرية لا تتحمل الحزن الدائم . فنحن نرغب في ان نكون مسرورين دائماً ولكننا ننسى ونحن حزانى الأشياء المسرة المفرحة . ومع ذلك فان أردت ان تفحص حياة مضت في بحبوحة العيش واللهو والرفـاهية ، وحياة مضت في الحاجة والفقر والاكدار تر ان الحزانى لهم مـا يسرهم أيضاً فلا تضطرب قلوبكم.

تصوروا شخصاً يرسف في الأغلال او ملكا يتيما لم يزل في عنفوان الشباب ، وقد ورث ثروة طائلة . وتصوروا كذلك عاملاً يتعب ويدأب كل نهاره. فالمتنعم بسعة العيش تكون أفكاره دائماً مضطربة لأنـــه يفتش عن المجد والشهرة فوق قدرته ، ويكون ملوما من خدمه ومحتقرا من الفقراء والكثيرين بسبب تبذيره ، ولما يحصل لمثل هؤلاء الاغنياء من العداء والوشاية والاهانة والخسارة ومؤامرات الحساد عليهم ، لأنهم لا يقدرون ان يشاهدوا غناهم فيغرونهم على عمل المنكرات ليهدموهم بالوسائط المختلفة ويسببوا لهم الاضطرابات . اما العامل الفقير فهو حر من كل ما ذكر وإذا اهانه احد فلا يتكدر كثيراً لأنه لا يفضل احداً على نفسه ، ولا يخيفه فقد الميراث لأنه يأكل ويشرب هانئا مقتنعاً وينام قرير العـــين ناعم البال فمن يحتسي اطيب الخمور واجودها لا يلتذ بها بقدر ما يلتذ العامل العاقـل بشربه مياه الينبوع الصافية .

وان لم تكتف بما تقدم من البراهين ، نقابل لك حياة الملك بحيـاة السجين فترى الاخير ملتذاً بحياته راضياً مطمئناً ، وترى الملك قد سئم الحياة مع التاج والبرفير والهموم الكثيرة والمخاوف المستولية عليه . اذن لا يقدر احد ان يعيش

من دون احزان ، و كذلك من دون مسرات ، لأن الطبيعة البشرية لا تتحمل هذا ، كما ذكرت لكم سابقاً ، فالسعيد اكثر من غيره هو الذي لا يدع الاحزان تستولي عليه ، وهذا الامر يتعلق بشخصية المرء نفسه ، لأنه يتكدر من صغر النفس لا من طبيعة الاشياء ، فان كنت تريد البهجة دائماً تجد الأسباب الكثيرة لذلك ، لا شيء يحزننا ان ثبتنا في الفضيلة التي تثبت فينا روح الرجولة والامال الصالحة وتجلب لنا الرضى من الله والاحترام من الناس وتنعش قلوبنا وتبهج نفوسنا . نعم ان الثبات في الفضيلة ليس بالامر الهين ، ولكن هذا يسر الضمائر ، ويولينا انشراحاً داخلياً لا يوصف .

ما الذي يسرك في الحياة الحاضرة ؟ أرفاهية العيش ام صحة البدن ام المجد والغنى ؟ ان هذا كله لا يبرح كما ذكرت ان يريك المرارة ان قسته بالمسرات الداخلية إذ لا شيء يبهج الانسان اكثر من الضمير المرتاح والآمال الصالحة !واذا أردتم ان تتحققوا هذا القول سلوا شخصاً كاد يفارق الحياة أو شيخاً مسناً ، وذكروه بالرفاهية التي تمتع بها في حياته وبالمجد والشرف و كذلك بالاعمال الصالحة التي فعلها في أيامه الغابرة . وسلوه ما الذي يبهجه الآن اكثر من سواه ؟ فتروه عند ذكر الاولى يغطي وجهه خجلاً ، وعندما يذكر الثانية ينذهل من شدة الفرح . ان الملك حزقيا عند مرضه لم يذكر مجده وملكه ولا الموائد الفاخرة بل الحق فقط اذ قال : اذكر يا رب كيف سلكت امامك بالحق . (سفر الملوك الرابع ٢٠:٣) وانظر كيف بولس الرسول يبتهج بالاعمال الصالحة قائلاً : قد جاهدت الجهاد الحسن واكملت السعي وحفظت الايمان (تيموثاوس الثانية ٤:٧) .

رب قائل انه ليس للرسول ما يتكلم عنه غير ما ذكر ، فأقول كلا ! ان لديه اشياء كثيرة كالمجد والشرف اللذين حصل عليهما ، والاحتفالات التي استقبل بها في كثير من المدن ، والخدمات الكثيرة التي قدمت له . كما قال ايضاً بل كملك

من الله قبلتموني وكالمسيح يسوع ؟ فاين اغتباطكم فاني اشهدلكم أنكم كنتم ، لو أمكن ، لقلعتم اعينكم واعطيتمونيها (غلاطية ٤:١٤ و١٥) وايضاً : اللذين وضعا عنقيهما من اجل حياتي (روميه ١٦:٤) فهو لا يتكلم عن المجد بل عن الاتعاب والاخطار والاكاليل التي تعطى عنها . وهذا حق لان تلك تبقى في هذا العالم ، أما هذه فتسير معنا . عن الاولى نناقش الحساب ، وعن الثانية نأخذ الجائزة . ثم اولا تعلمون كيف ان الافكار تضطرب في اليوم الاخير والقلوب تهيج ؟ في تلك الدقيقة ، ستكون الاعمال الصالحة كالمطر ابان الزوبعة يهديء النفس المضطربة فالخوف لا يبارحنا ما دمنا احياء ، وان ثابرنا على النشاط . ولكنه يفارقنا عند مفارقتنا الحياة .

ان حزن السجين يشتد حينما يقدم الى المحكمة يؤدي الحساب. هكذا نسمع القصص الكثيرة عن مخاوف الايام الاخيرة عند ظهور المناظر المزعجة التي لا يطيقها حتى من كان على فراش الموت . ان الملقى على سريره يرتعد في حالة النزع من المخاوف الآتية اذ تريد النفس ان تفارق الجسد خوفاً من رؤية الملائكة المقبلة . فاذا كنا نرتعد من رؤية البشر المخيفة ، فكيف يكون عذابنا وألمنا لدى رؤية الملائكة المقبلة والقوات التي لا تقبل الرجاء ؟ عند ذلك يجذبون النفس وينزعونها من الجسد. واذ ذاك تبكي بكاء مراً ، ولكن بلا فائدة . ان الغني الذي ذكر في الانجيل مع لعازر ، لقد بكى كثيراً من اجل الموت ولم ينتفع شيئاً ، لذلك يجب ان نطبع هذا في مخيلتنا ، ونذكره دائماً ، لكي لا يحصل لنا ما حصل للغني . ولنذكر خوف الممات دائماً لنتخلص من القصاص عن خطايانا ، ونحصل على الخيرات الابدية بنعمة سيدنا يسوع المسيح ومحبته للبشر الذي له المجد مع الاب والروح القدس المحيي من الان والى دهر الداهرين امين .

عن علاقة الرعية براعي الكنيسة

الرئيس في الكنيسة يعطي السلام الذي هو مثال السلام الموهوب من المسيح. لذلك ان تقدمت الى مائدة الرئيس فيجب ان تقبلها بحرارة وميل كلي . ان كان عـــدم الاشتراك بالمائدة شراً فقد يكون الشر اعظم ان رفضت الذي باركها .

ان الكاهن جلس لاجلك والشماس وقف كذلك لاجلك تعباً واهي القوى ، فما هو عذرك ان لم تقبل كلامهما . الكنيسة هي البيت المشترك بـــين الجميع ، الذي ندخله نحن بعدكم متشبهين بالرسل . وحينما ندخله نرحب حـــالاً بكم جميعاً بالسلام طبق القانون ، لذلك لا يهملنّ احـد من الحاضرين واجباته ، ولا تكن مشتت الافـكار عندما الكاهن يرحب بالجميع ، فان حصل شيء من هذا ، فانه يهدد بالقصاص العظيم . والافضل لي ان احتقر مراراً ان دخلت الى بيت احدكم من ان لا يسمع سلامي حينما ادخل الكنيسة وارحب بكم ، فهذا لا يطاق البتة ، لان هذا البيت اعظم من سائر البيوت ، اذ بـــه تحفظ كنوزنا العظيمة وآمالنا ايضاً .

اي شيء هنا ليس عظيماً ولا يستحق الأبهة ، هذه المائدة اجلّ وافضل من مائدتك التي في بيتك ! وهذا المصباح اجل وأفضل من المصباح الذي في بيتك ! فكلامي هذا يثبته أولئك الذين مسحوا بايمان بزيته المقدس وحصلوا على الشفاء التام بواسطة الزيت ، وهذا المذخر لا يقاس مع مذخرك الذي في بيتك نظراً الى عظمته وقوة الاحتياج اليه ، لم توضع فيه الملابس بل الحسنات ، وان كانت قليلة. فلو حافظنا على الاتفاق التام لما كان لنا بيت سواه ! وليس بالامر الصعب. فقد يشهد بذلك أولئك الثلاثة آلاف والخمسة آلاف من المؤمنـين الذين كان لهم

بيت واحد ومائدة واحدة ، اذ قيل : وكان لجمهور الذين آمنوا قلب واحد ونفس واحدة (اعمال ٤:٣٢) فان قصرنا عن هذه الفضيلة فعلى الاقل يتوجب علينا حين اجتماعنا في هذا البيت ان نتمم الامر الاخير. وان كنا فقراء ومقصرين في بعض الاشياء فعلى الاقل يجب ان نكون اغنياء بهذا . لذلك عندما ندخل اليكم اقبلونا بمحبة وعندما اقول لكم السلام لكم جميعاً قولوا لي انتم ولروحك ايضاً. لا يكن قولكم هذا خارجاً من الحنجرة فقط بل من اعماق القلب ليس من الشفتين بل من الروح ! والا ان كنت تقول ولروحك ايضاً ، وتقوم ضدي بعد خروجك من هنا وتتكلم بالشر عني وتقذفني بانواع الشتائم سراً ، فما يكون هذا السلام ؟ انت تذكرني بالشر وانا اعطيك السلام من قلب نقي ، ولا يمكنني ان انطق بشيء رديء عنك ، اذ لي قلب الوالد . ولكن ان رأيتني ألومك احياناً ، فانما هذا لشدة اهتمامي بك . انت تهجوني سراً ولا تقبلني في بيت السيد ، فانا اخاف ان يشتد كدري ، لا لانك اهنتني وطردتني ، بل لانك ابغضت السلام ورفضته ، وجلبت لنفسك القصاص الصارم ، مع انني لا انفض الغبار ولا اذهب بعيداً عنك ، اما التهديد فيبقى لكل قريتك .

انني غالباً ما ارحب بكم بالسلام ، ولا اقطع هذه العادة ابداً . وان قبلتموني باحتقار لا انفض الغبار ، ليس لاني اريد ان اعصى كلام السيد بل لاني احبكم كثيراً . انني لم اتحمل شيئاً صعباً لاجلكم ، لم اتحمل مشاق الاسفار البعيدة . ولم اجيء اليكم كما جاء الرسل القديسون لا يملكون شيئاً ، لم آت بدون حذاء ، ليس لي الا رداء واحد .

في ذلك الزمن كانت البيوت كنائس ، اما الان فالكنيسة هي البيت . في ذلك الوقت لم يتكلموا في البيوت عن الدنيويات ، اما اليوم فلا يتكلمون في الكنيسة عن الروحيات . ان تصرفكم هنا يشبه تصرفكم في الاسواق ، فعندما يكلمكم الله لا تسمعون له صامتين بل تتحدثون فيما بينكم . وحبذا لو اشتغلتم

باشياء تخصكم وحدكم ، ولكنكم بالعكس تتكلمون وتصغون لأشياء لا علاقة لها بكم . لهذا ابكي ولن اترك البكاء ، ليس لي الحرية التامة كي اترك هذا البيت بل يتوجب علي البقاء فيه الى ان افارق الحياة . لهذا اقبلونا (كورنثوس الثانية ٧: ٢) كما علم بولس فقوله هذا لا يقصد به المائدة بل القلوب ، والميل الينا لان ما نطلبه منكم هو المحبة والمودة القلبية الخالصة . وان كان هذا صعباً عليكم فعلى الاقل اتركوا الاهمال وحبوا انفسكم فقط . ان تعزيتنا ان نراكم مفلحين في عمل ومتقدمين اكثر من السابق .

ان حبي اليكم عظيم ، وقد يزداد ايضاً ، ولو تناقص حبكم لي . فالاشياء كثيرة ، هي التي تجبرنا على مبادلة العلاقات بيننا . للكل مائدة واحدة لنا اب واحد كلنا خرجنا من بطن واحد . للكل يقدم شراب واحد من كأس واحدة. ومن الوسائط التي يوطد الاب بها المحبة المتبادلة هو استعمال الكأس الواحدة لاجل الشرب وهذا علامة المحبة القوية ، اما قولك باننا لا نقدر ان نضاهي الرسل فاني اوافق معك عليه لاننا لا نستحق ان نماثلهم حتى ولا خيالهم ومع هذا فيجب ان تتمموا عملكم ، وهذا لا يستوجب خجلكم بل ينفعكم لانكم اذا اظهرتم المحبة الواجبة عليكم وسمعتم لغير المستحقين تحصلون على هبات اكثر . نحن لا نتكلم من انفسنا لان لا معلم لنا على الارض فالذي تسلمناه نعطيكموه .فاذا اعطيت لا تطلب شيئاً غير المحبة وان كنا لا نستحق المحبة فعلى الاقل نستحقها من اجل محبتنا لكم . لقد علمنا السيد ان لا نحب الذين يحبوننا فقط بل اعداءنا ايضاً . فمن هو ذلك القاسي القلب الخشن الطباع الذي بعد تسلمه هذه الوصية يكره ويبغض حتى من يحبونه ؟ مع ان ذنوبه لا تحصى .

لنا شيء مشترك في المائدة الروحية وسيكون عندنا شيء مشترك في المحبة الروحية . ان اللصوص اذا جلسوا الى الطعام يتركون طباعهم الشريرة فما عذرنا نحن الذين نتناول جسد المسيح ألا نشابههم في الوداعة ؟ ان الكثيرين

يكتفون ان يكونوا اصدقاء ، لا لأنهم يتناولون الطعام على مائدة واحدة ، بل لأنهم ابناء مدينة واحدة . اما نحن الذين لنا المدينة والبيت والمائدة والطريق والباب والجسد والحياة والرأس والراعي والملك والمعلم والقاضي والخالق والآب وكل ما ذكر مشترك بيننا فما يكون اعتذارنا عن تباعدنا عن اشتراك بعضنا مع بعض ؟

ألا تطلبون منا العجائب التي كان يصنعها الرسل اذا كانوا يبشرون كي نطهر البرص ونطرد الارواح الشريرة ونقيم الاموات ؟ ان ايمانكم بالله تعالى من دون برهان دليل على ايمانكم الحقيقي به ، واذا كان الذين يملكون بعض المواهب والكمالات كحسن المنطق والشرف ويفاخرون بها ويتعجرفون وينفصلون عن البقية بدون عجائب افلا يكون انفصالهم اقوى اذا ظهرت العجائب ايضاً ؟ ولماذا اتكلم بلا اثبات ، فاليكم اهل كورنثوس مثالاً على ذلك فانهم تفرقوا احزاباً للشيء نفسه .

اذن فتش عن خلاص النفس وليس عن العجائب . لا تفتش عن شخص قام من الاموات وانت تعرف ان الكل سيقومون ولا ترغب ان ترى أعمى مبصراً بل انظر كيف ان الجميع يتطاولون الى رؤية اشياء افضل وانفع بكثير . عود نظرك العفاف واصلح عينك لو كانت حياتنا كما يجب لعجب منا الوثنيون اكثر من صانعي العجائب ، فكثيراً ما تعد العجائب من نوع الخداع ويشتبه بها مع ان العجائب المسيحية ليست من هذا النوع . اما الحياة الصالحة فلا تعرض للاشتباه بل بالعكس ان الفضيلة تسد افواه الكثيرين .

لماذا السيد علمنا الصلاة بلسان الكثيرين ؟

ان السيد في كل لفظة من الصلوات التي علمنا اياها يأمرنا ان نصلي معاً

مشتركين عندما نقول : أبانا الذي في السموات لتكن مشيئتك على الارض كما في السماء ، خبزنا الجوهري اعطنا اليوم ، اترك لنا خطايانا ولا تدخلنا في تجربة لكن نجنا من الشرير . فهكذا يأمرنا ان نلفظ طلباتنا كلها بلسان الجميع ، وبذلك يعلمنا محبة القريب . وبناء عليه مـا هو القصاص الذي يقع على أولئك الذين لا يسامحون القريب بل يطلبون الى الله الانتقام منه . وبهـذه الصورة يتجاوزون التعاليم تماماً ، مع ان الله رسم هذا حتى لا نعادي بعضنا بعضاً .

ان المحبة قوام كل خير . لذلك يستأصل الله كل ما يضرها ويعمل ليحمينـا بشتى الوسائل فلا احد يحبنا مثل الله خالقنا لا اب ولا ام ولا صديق ولا انسان ، وقد يتضح لنا ذلك بنوع خاص من خيراته الارضية ومن أوامره . فاذا تعرضت للاسقام والاحزان وغيرها من مصائب الحياة فكر في ماتعمله وتحزن الله به يومياً ولدى هذا لا تعجب ان اصابتك مصائب اعظم بل تعجب ان حصل لك خير . نحن لا ننظر الا الى المصائب التي تحل بنا ولا نفكر بالاحزان التي نسببها لله يومياً فلو فكرنا بما نأتيه من الخطايا في يوم واحد لظهر لنا جلياً عظم القصاص الذي نستحقه . فما اكثر الخطايا التي ترتكبونها ، من منكم لم يتكبر ؟ من لم يقل كلمـة سوء لاخيه ؟ من لم يفكر بالشر ؟ من لم ينظر بعين شريرة ؟ من لم يفكر بعدوه بنفس مضطربة وقلب ملآن عجرفة . فان كنتم في وجودكم القصير في الكنيسة تخطئون ، فكيف تكونون عند خروجكم منها ؟ وان كانت كل هـذه الامواج تتلاطم في المينا ، فماذا يكون عند خروجكم الى لجـة الشر ، اي الى الاسواق والمباشرة بالاعمال البيتية والمدنية ؟ هل تبقى لنا قوى لنعرف ذواتنا ؟؟

ان مشيئة الله ارادت ان تخلصنا من الخطايا العظيمة الكثيرة بعرضها علينـا اسهل الطرق واقصرها . اي تعب في مسامحة القريب ؟ ان التعب في الحقد لا في المسامحة ! ان التخلص من الحقد امر سهل جداً على من أراد وهو يسبب لنـا الراحة التامة .

يجب علينا الاهتمام بخلاص القريب

علينا ان نهتم بخلاص القريب كما نهتم بخلاص نفوسنا فاذا لم نفعل هـــذا لا نخلص نحن ايضاً . ان الجندي الذي يهرب من ساحـــة القتال ليخلص يهلك مع غيره . خلافاً لذلك الجندي البطل الذي يدافع عن الاخرين وعن نفسه ليخلص معهم . ان حياتنا الحاضرة لحرب شعواء واشد من سواها حـــين يستمر القتال والكفاح ، فلنباشر الحرب كما أمر الملك مستعدين للغلبة والقتال وسفك دمـاء الاعداء مهتمين بنجاة الجميع ومشددين الواقفين وناهضين بالواقعين لان الكثيرين من اخوتنا قد يكونون حينئذ مثخنين بالجراح وليس بقربهم احد بعد المعركة ، لا شعب ولا كاهن ولا ناصر ولا صديق ولا اخ وعلى الاجمال لا احد يعنى بهم بل كل يفكر بنفسه فقط فهنا تباد محبة الذات وتعد وقاحة عظيمة عنـــد الله ألا نهتم الا لنفوسنا ، وانما الثناء والمديح لذلك الذي يضحي بنفسه في سبيل الاخرين. فاذا كنا ضعفاء يسهل التغلب علينا من البشر والشيطان، لاننا نسعى الى التفريق ولا نثبت بعضنا بعضاً ولا نتحصن بمحبة الله بـــل نفتش عن أسباب اخرى للصداقة بالقرابة او بالتعارف او بالجوار ، مع ان هـــذه الاسباب لا تثبتنا في الصداقة اكثر من التقوى وحسن العبادة وهكذا لا نزال ضعفاء معاكسين لاننا نصادق اليهود والوثنيين اكثر من مصادقتنا ابناء كنيستنا المسيحيين .

نقول : هذا شرير وذاك وديع وطيب القلب . تدعو شريراً اخـــاك الذي حرّم عليك ان تقول له يا احمق . ألا تعلو خديك حمرة الخجل اذا شتمت اخاك الذي هو عضو من جسدك والذي تشترك معه في الولادة الروحية ويتناول معك من مائدة واحدة ؟ واذا اتى اخوك بالجسد باعمال شريرة كثيرة تجتهد ان تستر عيوبه لانك تحسبها مهينة لشرفك . اما اخوك الروحي الذي يجب عليك ان تنفي التهمة عنه عوضاً عن تثبيتها تدعوه شريراً ولا تطيعه مع ان الواجب عليك

ان تصادقه لتردعه عن الغي والضلال وتنقذه ليرجع الى طريق الفضيلة ، وقد تعترض على ذلك بقولك انه لا يمتثل وينتصح . من أين عرفت ذلك ؟ أنصحته واجتهدت في اصلاحه ؟ تجيب : نعم ، نصحته مرة او مرتين ! ان نصحك هذا يجب ان يستمر دون انقطاع ! ألا ترى كيف ان الله تعالى يردعنا دائماً بواسطة الأنبياء والرسل والانجيل ؟ ماذا ؟ هل نتمم أوامره ونخضع لها؟ كلا ! هل يتركنا من دون نصيحة ؟ أصمت ! ألا يعمل بالعكس اذ يكلمنا دائماً : لا تقدرون ان تخدموا الله والمال ! لكن الاكثرين يدفعهم الطمع والشوق لجمع الثروة يوما فيوما ألم يصرخ بنا الله دائما : اتركوا فيترك لكم ؟ ومع ذلك تزداد القلوب قسوة . ألا ينذرنا دائماً لنسود الشهوات الرديئة ونتغلب على الملذات الساقطة مع ان الكثيرين كالخنازير يتمرغون في حمأة الخطايا . هذا كله لا يزال ينذرنا ، ونحن لا نفكر ولا نقول ان الله ينصحنا بل نظل على حالنا ولا نخضع لانذاره .

لذلك قال : ما أقل الذين يخلصون . فان كانت لا تكفي فضيلتنا لاجل الخلاص فيجب ان نلتفت الى فضيلة الاخرين ! فما الشيء الذي ينتظرنا في الاخرة ان لم نلتفت الى نفوسنا ولا لغيرنا ؟ لكن ما لي ألومكم في الاهمال من اجل خلاص القريب ونحن مهملون من يعيشون معنا تحت سقف واحد ، اعني بهم الزوجة والاولاد والخدم .

اننا نهتم لكي يكون لنا خدم كثيرون يخدموننا باخلاص ، ولكي نترك ميراثاً كبيراً لأولادنا بعد مماتنا ولكي تتحلى الزوجة باجمل الحلى الذهبية الثمينة وتلبس أفخر الملابس ، ولكننا لا نفكر قطعا بنفوسهم بل بالمقتنيات. لا نفكر بالزوجة بل بما يزينها ولا بالأولاد بل بما يرثون . فما أشبهنا بصاحب بيت تكاد جدرانه تسقط . فبدلاً من ان يهتم بترميمها احاطها بسياج فقط . او برجل يحضر لجسده الملابس الفاخرة ولا يعالج اسقامه ومرضه ويترك سيدة البيت تتألم وتذرف الدموع وتهتم بجارياتها واشغالهن وباواني البيت وأثاثه. فنحن نعمل هكذا عيناً،

فبينما تتألم أنفسنا من وطأة المرض وشدته ، نستسلم للغضب والنميمة والاعمال المخالفة للعقل السليم وللعجرفة والاضطراب ، مع أن هذه النفوس ملتصقة بالتراب ، وقد مزقتها وحوش كثيرة ، ومع ذلك فلا نهتم بخلاصها من الشهوات بل نهتم بالبيت والخدم .

ان جمحت دابة أمامنا نغلق الابواب ونختبىء من وجهها . أما الان فنغض النظر عن الوحوش الكثيرة ، اي الافكار الرديئة التي تمزق نفوسنا . إننا نراقب الوحوش مراقبة شديدة فنحبسها في الاماكن الخالية من الناس ، مقيدين إياها بالسلاسل والاصفاد . اما النفس التي هي مجلس الشورى وقصر الملك ودار الحكومة فتدخل اليها الوحوش رافعة اصواتها وضجيجها بقرب العقل نفسه بقرب عرش الملك .

من هذا ينتج عدم الانتظام والاضطراب أينما كان في أعماق النفس وخارجها، فتشبه حينئذ مدينة هجمت عليها البرابرة ودخلتها . وهكذا يحل بنا ما يحل بالطيور الصغيرة اذ تدخل الافعى أعشاشها لتستولي عليها فترفع اصواتها الحزينة وتطير خائفة مذعورة لا تعلم كيف تنجو من الخطر .

على اي شيء تتوقف المحبة المسيحية

المحبة لا تكون بالكلام فقط او بالترحيب البسيط،بل بالمناصرة والمساعدة ، كتخليص الاخرين من الفاقة وامداد المرضى ورد الرزايا عن التعساء والبكاء مع الباكين والفرح مع الفرحين . وهذا هو دليل المحبة الحقة خلافاً للظن ان الفرح مع الفرحين امر قليل الاهمية مع انه عمل عظيم بحد ذاته يتطلبه القلب المدرب في الحكمة . فان كثيرين يتممون أعمالاً صعبة جداً ولا يقدرون ان يفرحوا مع

الفرحين . كثيرون يبكون مع الباكين ، ولكنهم لا يسرون لسرورهم بل يبكون من سؤ النية والحسد . لذلك ان الفرح لسرور الاخرين خدمة لا تنكر ، وهي أهم من البكاء من أجل الاخرين . فاي فضيلة اعظم من اعانة المحتاجين ؟!

عن عظمة فضيلة الاحسان

الحسنة فضل جسيم وهبة من الله تعالى . فباعطائنا الصدقة نماثل الله تعالى . الصدقة هي العامل الاكبر الذي يجعل الانسان انساناً . لذا قال احدهم في وصف الانسان : العمل العظيم هو الانسان ، والشيء الثمين هو الانسان المحسن ، وهذه نعمة اعظم من احياء الموتى .

ان إرواء الظمآن الى المسيح ، أعظم من احياء الموتى باسمه . لأنك ان اتممت الامر الاول تحسن الى المسيح وان اتممت الثاني يكن المسيح قد احسن اليك . فالجائزة لمن يفعل الخير ، لا لمن يتقبله من الاخرين .

بصنعك العجائب تكون مدينا لله ، أما بفعلك الرحمة فيكون الله مديناً لك . وقد يتكمل عمل الرحمة عندما نعطيها بطيبة خاطر وسخاء غير متوقعين اجرا ولا شكوراً . فبهذا نحصل على نعمة لأنفسنا لا خسارة .وبغير هذهالصورة لا تكون الحسنة نعمة ، فعلى من يصنع الخير مع الاخرين ان يبتهج لا ان يحزن .

ان تخفيف أحزان غيرك لا ينطبق مع حزن نفسك ! فاذا حزنت لا يكون عطاؤك حسنة واذا حزنت لانقاذك غيرك من الحزن يكون عملك هذا قاسياً جداً وعديم الانسانية . فالافضل لك ألا تعطي من ان يكون عطاؤك على هذه الصورة .

لماذا تحزن ؟ ألان ذهبك قد نقص ؟ ان كان تفكيرك هكذا فلا تعط !

لا يجب ان تفكر بهيئة الفقير الرديئة

لا تنظر الى هيئة المتسول الرديئة ، بل تصور ان المسيح داخل بواسطته الى بيتك . امتنع عن قساوة القلب وعن الكلام البذيء الذي تلوم بـــه طالبي احسانك مسميا اياهم منافقين كسالى وغير ذلك من الالقاب المهينة .

اعط كسرة الخبز بمحبة بشرية لا بقساوة القلب ! اعط كمحسن لا كمهين ! اطعمه لانه شحاذ لا لأنه يفوه بكلام ابليس الذي يشين حياته . اطعمه لان المسيح يتغذى بذلك ! لا تنظر الى ابتسام الشحاذ الظاهري بل افحص ضميره تجده يلعن نفسه كثيراً ويتنهد ويأسف لحالته ، ولا يظهر حقيقته من اجلك فقط.

الى البخيل

ان الاب سلم ابنه الوحيد من أجلك وأنت لا تعطي كسرة خبز لمن سُلم من أجلك وقتل . انه لم يشفق على ابنـــه المخلص وأنت لا تلتفت الى الجوع الذي أضناه بل تأخذ ما يخصه وتنفقه لاجل نفسك . فهل يوجد شيء اقبح من هذا الجور والظلم ؟ انه من اجلك أُسلم ، ولاجلك أُميت متحملاً الظمأ . فإن أعطيته مما يختص به تنتفع ، ومع ذلك فلا تفكر بهذا ولا تعطي شيئاً . ان أمثالك اقل احساساً من الحجر لأنهم تجاه هذا التحريض كله والحث على الواجب يبقون على قساوة قلوبهم الشيطانية .

ان المسيح لم يكتف بالموت والصليب بل رضي ان يصير محتاجاً متجولاً بدون مأوى ، وعرياناً سجيناً محتملاً الاسقام ليجذبك اليه ، ولكأنه يقول : ان لم تكافئني على آلامي التي تحملتها لاجلك ، تحنن على فاقتي ، وان ترغب في هـذا ، فتأثر من مرضي وتعطف لدى رؤيتك جراحي . وان كان هذا كله لا يستميلك الى المحبة البشرية فانظر الى سهولة الطلب . أنا لا اطلب منك شيئاً غالياً ، اطلب كسرة خبز ، اطلب مأوى ، اطلب كلمة واحدة معزية ! وان كنت تبقى قاسي القلب بعد هذا كله ، فمن اجل الملكوت والعطايا التي وعدتك بها كن صالحاً ، وما دمت لا تحترمها ! تأثر بعاطفة الشفقة عند مشاهدتك اياي عرياناً ، واذكر اني تحملت هذه الآلام على الصليب لاجلك .

في ذلك الزمان كنت محتاجاً اليك ، والان كذلك استعطفك لتصنع حسنة ما . أنا من اجلك صمت ومن اجلك قاسيت الجوع والعطش على الصليب . والان انا عطشان في وجه السائل . لاني اريد اجتذابك الي بواسطة من الوسائط وما هي الا لاجل خلاصك . اريد ان اجعلك محباً للبشرية مع انك مجبر على تأديتي حقوقي بديلاً عن عطاياي الكثيرة !

أنا لا اطالبك كمدين بل اعطيك الاكاليل كالمحسن ولاجل احسانك اعطيك الملكوت . لا اقول لك انقذني من الفاقة او اجعلني غنياً مع اني تحملت الفاقة لاجلك . ولكني اطلب منك خبزاً وثوباً ، شيئاً زهيداً أسند به الرمق فقط ، وحينما اسجن لا اجبرك على نزع اغلالي واخراجي من السجن المظلم بل اطلب اليك شيئاً واحداً وهو زيارة من غلت يداه ورجلاه بالقيود من اجلك ، واني لأحسب هذه الزيارة حسنة كبيرة لاهبك السماء من اجلها فقط مع انني انا الذي حللتك من اشد الاصفاد اكتفي بزيارتك اياي موثقاً .

اني من دون هذا اقدر ان أهبك الاكليل ، لكني اريد ان اكون مديناً لك ،

ليعطيك هذا الاكليل الجسارة ، ومع انني قادر ان أطعم ذاتي تراني اتقدم واقفاً امام ابوابك باسطا يدي اليك . أريد ان تطعمني لاجل فائدتك فقط .

حقا ان محبتي لك عظيمة . ولهـــذا اريد ان اذوق مائدتك حسب العادة المصطلح عليها عند الاصدقاء ، لأفاخر بهذا امـــام المسكونة كلها وعلى مسمع الجميع معلنا عنك دائما ومشيراً الى الذي اطعمني . نحن نخجل ممن نطعمه ونجتهد ان نبقيه مجهولاً . اما محبة المسيح لنا فعظيمة جداً لأنه ان سكتنا ينشر الخبر امام الجميع مع الثناء مصرحا متى كان ذلك بقوله : اننا كسوناه عندما كان عريانا واطعمناه اذ كان جائعا . فاذا فكرنا بهذا الامر لا نكتفي بالمديح فقط بل نتمم الكلام بالعمل .

اذا لم نحب من يحبنا نخطيء

ان التجرد من المحبة والبغضاء خطيئة عظيمة ، وقـد تكون الخطيئة اعظم اذا لم تكن المحبة بين الفردين. ان احببت من يحبك لا تفضل على العشار بل تكون كالوحوش المجردة من المحبة .

ما تقول يا انسان ؟ انك لا تحب من يحبك ؟ اذن ما نفعك بعد هذا ، ولماذا تعيش ؟ أللأعمال الاجتماعية او العائلية ؟ لا لهذه ولا لتلك ! ان الخالي من المحبة عديم النفع ! ان قانون المحبة يخضع غـــالبا اللصوص والقتلة والمحتالين فانهم اذ يأكلون معك خبزاً وملحا تتبدل طباعهم لدى جلوسهم على المـائدة المشتركة . اما انت فتشترك مع الاخرين ، ليس بالملح فحسب ، بـــل بالكلام والاعمال والدخول والخروج ، ومع هذا كله لا تحبهم .

ان الذين يستسلمون الى المحبة الشائنة السافلة يبذرون جميع ما لديهم من المال

والمتاع على النساء الساقطات ، اما انت ، وقد حصلت على محبة طاهرة نقية ، فنراك ضعيفا منهوك القوى لا تجيب عنها بالمحبة مع انها لا تكلفك شيئا، وربما تقول : ايوجد بين البشر من يستحقون الشفقة فان لهم طباع الوحوش ، ولذلك ينفرون من محبيهم ويبغضونهم .

انك تفعل حسنا بعدم تصديقك ما لا يطابق العقل . ولكن كم يكون خجلنا اذا اشرت الى الكثيرين الذين من هذا النوع ؟ كيف تحسبه محبة ، ان كنت تشتم محبك ، او لا تدافع عنه اذا سمعت عنه كلاما رديئا ، او تحسده على مجد عظيم ، واذا لم تحسده فلا تثبت صداقتك له ؟ فلا يكفي انك لا تبغضه ولا تظلمه بل يجب ان تساعد محبك وتسعى لاجل نجاحه السريع فلا شيء اتعس من النفس التي تتكلم وتعمل من اجل هلاك القريب .

منذ يوم واحد كنت مع صديقك تتجاذب اطراف الحديث ، وتأكل معه على مائدة واحدة ، ولكنك اذ رأيت نجاحه رفضت الصداقة وعاديته وكدت تفقد عقلك . فالحق ان هذا ضرب من الجنون ان يتمزق الانسان من نجاح القريب .

عن المسالمة

ان قدمت قربانك على المذبح واذكرت هناك ان لاخيك عليك شيئا فدع قربانك هناك امام المذبح وامض وصالح اخاك اولا ثم ائت وقدم قربانك (متى ٥: ٢٣ و٢٤) .

ما اعظم هذه النعمة ! انها لمحبة للبشر لا يعبر عنها بكلام . ان السيد يأمر بترك السجود له لاجل محبة القريب . وقد اوضح لنا ان تهديده السابق ليس

كرها او رغبة في قصاصنا بل دليلا على محبته لنا ووداعته الظاهرة في كلامه . فانه يقول من فمه العزيز : اقطع الخدمة لي كي تحتفظ بمحبتك ، لان المسالمة مع اخيك هي ذبيحة ايضا ، لذلك لم يقل الله له اصطلح بعد تقدمة القربان او قبل تقدمته ، بل ارسله لاجل المصالحة مع اخيه ، بينما القربان امام المذبح ، وقد ابتدأ بالذبيحة لم يأمر بارجاع القربان ، لم يقل سالم قبل تقديمه ، بل قال اسرع الى اخيك تاركا القربان قدام المذبح .

يأمر بهذا وله فيه قصدان : الاول – ليظهر لنا تقديره للمحبة واعتبارها ذبيحة عظيمة لا تقبل من دونها اية ذبيحة . والثاني – ليجعل المسالمة مع القريب فرضا لازما لا يستهان به ابداً . وفي الحقيقة ، ان المأمور ألا يقدم القربان حتى يسالم قريبه ؛ يسرع الى من اهانه سابقا ليبيد العداوة معه ، وان كان بغير محبة ، لكي لا يبقى قربانه من دون تقديم .

فالسيد يقصد بكل كلمة من كلماته الآنفة ان يخيف مقدم الذبيحة ويحثه على الواجب . لم يقل فقط اترك هناك قربانك ، بل أضاف عليها : قدام المذبح ، ليذكره بالمكان المقدس ويرهبه . لم يقل اذهب فقط ، بل زاد عليها ، وصالح أخاك ، أولاً ، ثم تعال وقدم قربانك .

فمن خلال هذه الكلمات ، نرى ان السيد لا يسمح بالتقدم الى مائدته لمن كان بينهم عداوة . فهل يسمع هذا القول أولئك المرسومون في الاسرار ، ويتقدمون الى المذبح والعداوة في قلوبهم ؟ او هل يسمعه غير المرسومين ؟ فهو موجه اليهم ايضا ، لانهم كذلك يقدمون القربان والذبيحة : اي الصلاة والحسنة . وهذا يتضح من قول النبي : ان الذي يجعل ذبيحته الاعتراف يجدني (مزمور ٤٩ : ١٤ و٢٣) وفي محل آخر : ليكن رفع يدي ذبيحة مسائية (مزمور ١٤٠ : ٢) ولهذا ، ان كنت تصلي وحالتك الداخلية مضطربة ؛ فالافضل ان تترك الصلاة وتذهب وتسالم اخاك ، وبعد ذلك كمل صلاتك .

من اجل هذا وضع الاساس ، ومن اجل هـــذا صار الله انسانا واكمل عمل الخلاص لكي يجمعنا معاً . هنا يرسل المسيح المهين الى المهان . وقد علم ايضاً في الصلاة ان يذهب المهان الى المهين ليصطلحا معاً . لذلك يقول : ان كان لاخيك شيء عليك فاذهب اليه . وهناك يقول : اتركوا للناس زلاتهم . ومع هذا يظهر لي انه هنا يرسل المهان لانه لا يقول : سل أخـــاك ان يسالمك ، بل يقول سالم فقط . ومع ان هذه الكلمة موجهة حسب الظاهر الى المهين ، لكن الكلام كله موجه الى المهان ، لان الله تعالى قال : ان سالمته من نوع المحبة فأنا اكون رحوماً من جهتك ويمكنك عندئذ ان تقدم ذبيحتك بجسارة كلية . واذا كان الغضب لم يزل متوقداً ، فانني بطيبة خـــاطر ارضى بان تترك الذبيحة قليلاً حتى تصبح وعدوك صاحبين .

دع هذا حداً لغضبك ! لم يقل ان تسالم ابان غضبك الشديد ، بـــل قال : افعل ذلك ايضاً ، ولو كانت الاهانة صغيرة جـــداً ، لا يجوز لك ان تطوي العداوة في صدرك . فالمسيح غض النظر عن غضبه الذي يستوجبه البشر بحق ، واسلم نفسه للذبح تاركاً خطايانا .

وقد حثنا بولس الرسول على المسالمة بصورة اخرى اذ قال : لا تغرب الشمس على غضبكم (افسس ٤ : ٢٦) فكما ان المسيح يحثنا على المسالمة مقتبلاً اياها كأنها ذبيحة ، هكذا بولس الرسول يحثنا ويرشدنا الى ذلك ، مشيراً الى النهـــار ، ومحدداً الوقت ، خائفاً من انه يدرك الليل الغضبان منفرداً ممزقاً من الغيظ كي لا يزيد التهاب جراحه .

أثناء النهار يقدر الكثيرون منا ان يسكنوا غضبهم ، ويتغلبوا عليه . امـــا في الليل ، فالمرء عند انفراده ، يرخي العنان لافكاره ، اذ يشتد هياج الامواج وتثور الزوبعة بعنف عظيم . فلكي نتلافى ذلك يطلب منا بولس الرسول ان

نستقبل الليل متسالمين لكي لا يغتنم الشيطان فرصة انفرادنا فيشعل فينا نار الغضب .

وهكذا ، لا يرضى السيد باقل تأجيل حتى اذا قدم احد القربان لا يكترث بالامر ويتماهل بالمسالمة من يوم الى آخر بل يجب ان يطفىء نار الغضب باسرع ما يمكن . وكما ان الطبيب الحكيم يصف العلاج النافع للوقاية من الامراض وشفائها. هكذا المسيح له المجد بتحريمه علينا كلمة احمق التي نوجهها لغيرنا ، يقدم لنا العلاج للوقاية من العداوة . وبأمره ايانا بالمسالمة مع القريب يشفي الاسقام الناتجة عن العداوة .

لا يجوز لك ان تدين قريبك

لا تدينوا لكي لا تدانوا (متى ٧:١) .

ما هذا ، الا يجوز ان نلوم الخطأة ؟ نعم ! ان بولس يقول ايضاً هذا ، والافضل ان نقول : ان المسيح يتكلم بواسطة بولس ، قائلاً : وأما انت فلماذا تدين اخاك . او انت ايضاً لماذا تزدري اخاك ، ومن انت الذي تدين عبد غيرك (روميه ١٤:٤ و١٠) وقال ايضاً : اذاً لا تحكموا في شيء قبل الوقت حتى يأتي الرب (كورنثوس الاولى ٤:٥) وفي المعنى نفسه يقول في محل آخر : وبخ انتهر عظ (تيموتاوس الثانية ٤:٢) وقال ايضاً : الذين يخطئون وبخهم امام الجميع (تيموتاوس الاولى ٥:٢٠) والمعنى نفسه قاله المسيح لبطرس : ان تعدى عليك اخوك فسر وعاتبه بينك وبينه فقط فان سمع منك فقد ربحت اخاك ، وان لم يسمع منك ، فخذ معك واحداً او اثنين ، اذ من فم شاهدين او ثلاثة تثبت كل كلمة ، فان أبى ان يسمع منهم فقل للكنيسة ، فان ابى ان يسمع من

الكنيسة فليكن عندك كوثني وعشار (متى ١٨ : ١٥–١٧) .

كما انه وضع عدواً لا يستهان به لتثبيت الحرم او المعاقبة عنه ، فكل من لا يسمع لاحد منهم أمر بان يعد كوثني وعشار . والا فما القصد من تسليمهم المفاتيح ؟ فان لم يدينوا لا اهمية لهم ، ولذلك اعطيت لهم السلطة التامة بان يحلوا ويربطوا ، فلو كانت المسائل غير محدودة لسرى الخراب الى الكنيسة والاجتماعات المدنية والعائلية ، وهكذا ينتشر الشر اكثر فاكثر اذا لم يدن السيد عبده والسيدة أمتها والوالد ولده والصديق صديقه ، وخاصة اذا لم ندن العدو فان العداوة تزداد وتسير الامور كلها بدون انتظام . فلنبحث هذه الآية بانتباه ، ولنتخذها علاجاً للخلاص ، لا للاضطراب .

فالمخلص يوضح قوة هذا التعليم للعقلاء بالعبارة الاتية : ولماذا تنظر القذى الذي في عين اخيك ولا تفطن للخشبة التي في عينك (متى ٧:٣) . وهنا يظهر على الاخص ان السيد لا يأمر الجميع بدون استثناء الا يدينوا كل الخطايا بالاجمال بل يمنع الذين تفشت فيهم الخطايا من انتقاد الاخرين لاقل ذنب يصدر عنهم . ولا بولس الرسول كذلك منع أهل كورنثوس كلهم ان يدينوا الكبار ولو كان جرمهم ظاهراً ، ولم يمنع الجميع ان يصلحوا الذين أخطأوا في السر ، بل منع التلاميذ الذين يجادلون معلميهم مع الخطأة . ان المسيح يهدد هؤلاء ويوقع الخوف في قلوبهم بالقصاص الذي لا مهرب منه اذ يقول : لانكم بالدينونة التي تدينون بها تدانون (متى ٧ : ٢) اي انك لا تدين سواك بل نفسك ، معرضاً اياها للدينونة الرهيبة والعذاب الشديد . فكما ان ترك الخطايا يتعلق بنا أولاً ، كذلك في يوم الدينونة نضع نحن مقياساً لدينونتنا . لذلك وجب علينا ألا نطعن أحداً أو نلومه ، بل علينا ان نفهمه خطأه وننصحه ، ولا نتهجم عليه بكبرياء بل نعلمه بمحبة لاننا عندما نلفظ الحكم على خطاياه من دون رحمة لا نعرضه للعذاب الشديد بل نعرّض نفوسنا .

فانظر ما أسهل هاتين الآيتين ، وكم تجلبان من الخيرات للطائعين . وبالعكس كم من الشر تسببان للعاصين ؟ فالذي ينظر الى ذنوب قريبه بعين العفو والتساهل والمسامحة يضع أساساً للسماح عن نفسه في اليوم الاخير . وهذا لا يعني ان يغض الطرف عن الزاني او غيره بل ان ننصحه ونصلحه لا كعدو يهدده بالقصاص بل كطبيب يقدم له العلاج الشافي .

لم يقل المسيح لا تخف المجرم ، بل قال لا تدن ، اي لا تكن حاكماً قاسياً . والقول هنا يشمل الآثام الطفيفة لا تلك الخطايا العظيمة المحرمة جهاراً . لذلك قال السيد : ولماذا تنظر القذى الذي في عين اخيك (متى ٧ : ٣) وما اكثر الذين يفعلون هكذا ، اذ يرون راهباً يملك ثوباً زائداً فيقدمون له تعاليم السيد ، مع انهم بالطرق الكثيرة يسلبون يومياً ، ويرابون ويظلمون ، او اذا رأوه لا يتقشف ، يصيرون وشاة شريرين ، مع انهم يثملون ويفقدون رشدهم يومياً ولا يعلمون أنهم بهذا يعدون لانفسهم السعير ويحرمون من كل تبرير !

يجب عليك ان تراقب اعمالك بصرامة طبقاً للتعاليم ما دمت تدين اعمال قريبك . اما ان كنت تعد لنفسك العقاب فلا تتذمر من وطأته الثقيلة ! يا مرائي اخرج اولاً الخشبة من عينك . بهذه العبارة يظهر المخلص غضبه من اولئك الذين يدينون القريب . وعلى هذه الصورة يقول للعبد الذي يطالب بعنف رفيقه العبد الاخر بالمئة دينار التي له عليه ! ايها العبد الشرير اني عفوت لك عن ذلك الدين كله لانك التمست مني . أفلم يكن ينبغي لك ان ترحم رفيقك في الخدمة ايضاً كما رحمتك أنا ؟ (متى ١٨ : ٣٢ و٣٣) فمثل هذا عيناً استعمل كلمة « يا مرائي » . فالحكم القاسي على القريب لا يظهر حب الخير له بل البغضاء للبشر ، لان من يدين غيره يتظاهر بالمحبة له . وهو في الواقع مفعم شراً ، ويعرض القريب الى الملامة والاهانة سدى ويختلس محل المعلم ولا يستحق ان يكون تلميذاً !

فان كنت صارماً جداً بمعاملة الغير ، وترى الهفوات الصغيرة جداً ، فلماذا

تتراخى مع نفسك ولا ترى آثامك الكبيرة ؟ اخرج اولا الخشبة من عينك ! ان السيد لا يمنع دينونة الاخرين تماماً ، ولكنه يأمر اولاً باخراج الخشبة من عين النفس وحينئذ نلتفت الى اصلاح اخطاء الاخرين . كل اعرف بنفسه من غيره . الكبير يعلم اكثر من الصغير . وكل يحب ذاته اكثر من سواه . لذلك ، ان كنت تدين الاخرين قاصداً لهم الخير رده اولاً لذاتك . اثم من اعظم واوضح ؟ فاذا كنت لا تكترث لنفسك ، فمن الاكيد انك لا تدين اخاك حباً باصلاحه . بل بغضاً وتهجماً على عرضه ، فان كان مستوجباً الحكم فليدنه ذلك البريء من كل اثم ، لا انت ! لان المسيح قدم لنا قوانين الحياة العظيمة السامية . وحتى لا احد يقول ان النطق بالحكمة امر سهل جداً . قدم لنا هذا المثل برهانا على عظيم سلطته التي قدر ان يقدمها عن ذاته بانه الوحيد الذي لم يخطىء ولم يتعد واحداً من القوانين التي وضعها بل تممها كلها ، ولكنه اضطر في الوقت الاخير ان يحاكم ويقول : الويل لكم ايها الكتبة والفريسيون المراؤون (متى ٢٣:٢٥) فهو المنزه تماماً عن الشر الذي يدين به الاخرين ، اذ لا قذى ولا خشبة في عينه . انه البريء من هذه وتلك ، وهكذا اصلح خطايا البشر كلهم . انه قال لا يجوز للمرء ان يدين غيره وهو تحت وطأة الجرم نفسه . فلا تعجب من هذا القانون . ان اللص وهو على الصليب تحقق ذلك وأوضح فكر يسوع المسيح بقوله الى رفيقه اللص الآخر زاجراً : أما تخشى الله وانت تحت هذا الحكم بعينه ؟ (لوقا ٢٣:٤٠) اما انت فبدلا من ان تخرج الخشبة التي لا تراها في عينك ، وألا ترى القذى في عين غيرك فقط ، تحكم عليه مجتهداً ، رد الاذى كمن عراه داء الاستسقاء او اي مرض عضال ، ومع ذلك لا يكترث له ، بل يندد سواه لعدم اهتمامه بمرضه الطفيف . فاذا كان رديئاً ألا ينتبه الانسان الى آثامه .فالأردأ اكثر ان يدين الاخرين ، وألا يشعر بألم الخشبة التي في عينه ، لأن الألم أشد وطأة من الخشبة .

خلاصة الوصية التي فاه بها السيد هي : ان من كان عرضة للعيب لا يجوز ان

يكون حاكماً صارماً للمجرمين من البشر ، وخاصة اذا كان الجرم صغيراً قليل الاهمية . وهذا يعني انه لا يمنع النصح والاصلاح بل يندد بعدم الاهتمام بالخطايا الخاصة ، وبالقيام ضد الاخرين ، لان هذا يعظم الشر ويضاعف فساد الأخلاق. وهذا لا ريب فيه ، لان من لا يهتم بآثامه الجسيمة ، ويحكم على آثام الاخرين الصغيرة بصرامة ، يتحمل ضررين . الاول : لأنه لا يكترث لآثامه والثاني : لأنه لا يأبه بالعداوة والبغضاء للجميع بل يندفع إلى أقصى درجات القسوة وعدم الشفقة .

نصائح بشأن انتخاب العروس

على طالب الزواج ان يجتهد لمعرفة أخلاق الصبية وسلوكها ، لا ان يسأل عن المال والميراث واثاث البيت وغير ذلك ، كأنه يريد ان يشتري شيئاً ، او يعقد معاهدة تجارية . ولهذا السبب يسمى الزواج معاهدة. فقد سمعت الكثيرين يقولون تعاهدت مع فلانة ، اي تزوجت منها . وهكذا يذمون المواهب الالهية ، اي الزواج ، كأنهم يبيعون او يشترون شيئاً ، ويعقدون الاتفاق الخطي بشأن الزواج ، وهو يتضمن كفالة تامة لا تفرق عن امور التجارة . فانظروا كيف كان القدماء يفعلون في أمور الزواج واقتدوا بهم ! كانوا يطلبون في العروس السلوك الحسن والاخلاق المرضية والكمالات الصافية . لذلك لم تكن لهم حاجة للمعاهدات الخطية والكفالات بواسطة الورق والمداد ، بل بدلاً عن هذا كانوا يكتفون بمزايا العروس الروحانية .

بناء عليه ، أطلب إليكم ألا تفتشوا عن المال والثروة بل فتشوا عن المزايا الصالحة في الصبية : عن الحشمة والتقوى والورع ؛ فهذه تغنيكم عن كنوز كثيرة وتقوم مقامها .

ان فتشت عما يرضي الله فانك تحصل على الاخـــير ، وان تركت الاول ، وطلبت الاخير ، فانك لا تحصل عليه !

تقول ان فلاناً اصبح غنياً من زوجته . ألا تخجل من تقديم امثلة كهـذه ؟ بينما سمعت مراراً من الكثيرين هذه الكلمات : انهم يفضلون الفاقة على الحصول على الثروة من الزوجة . والحق يقال : انه لا شيء اكره من تلك الثروة ! أيوجد شيء يستوجب الخجل اكثر من ان يعرف المرء بواسطة زوجته ، ويفتح مجـالاً للحديث عن ان فلانا اثرى من زوجته .

وهنا اقتصر القول عن الاكدار العيلية التي لا بد من وقوعهـــا : من كبرياء الزوجة ، وعبودية الزوج ، والمنازعات ، واحتقار الخدام ، وانتقادهم الزوج ، وانحائهم عليه باللائمة ، لان كل شيء في البيت يختص بالسيدة الزوجـة ، وهو لا يكترث او يضطرب لان الذين اعتادوا اكل خـــبز الاخرين يسمعون الكلمات الرديئة ولا يحزنون بل يقبلون العار والمذمة كمديح لهم . واذا اوضحنا لهم حقيقة الامر يجيبون : حسبنا اللذة والحلاوة والا فالموت ! يا للشيطان ! مـــا هذه الاقاويل التي ادخلت الى العالم !

نصائح للوالدة بشأن انتخاب العريس لابنتها

لا شيء افضل من الاخلاق الصالحة ، ولا شيء ألذ مـــن الأدب . ولا شيء اكثر جاذبية من الحشمة ! فلو ان احداً لازم هذه الصفات في الزواج لوجد لذته الحقيقية . ففتشي قبل كل شيء عن زوج لابنتك ، يكون عاقلاً ومناصراً لها ! انك ترغبين في تركيب رأس للجسد وأن تعطيه ابنة لا أسيرة ، فلا تطلبي مالاً ولا شهرة في النسب أو عراقة في الاصل ، فان هذا كله قليـل الاهمية ، لكن

اطلبي التقوى والوداعة والعقل الثاقب ومخافة الله ان كان يهمك مستقبل ابنتك وحياتها معه .

فان كنت أنت الوالدة تطلبين الرجل الغني ، فانك لا تأتين بنفع ، بل تجلبين الضرر لابنتك ، لانك تجعلينها أمة في بيته لا سيدة . فالحلى الذهبية لا تجلب لها المسرات بقدر الاكدار التي تسببها لها العبودية . فالاجدر ألا تطلبي هذا بل اطلبي من يوافق حالتك ، أو من هو افقر منك لا اغنى ؛ هذا ان كنت تريدين إعطاء ابنتك الى زوج لا سيد . وعندما تجدين كمال الاخلاق في ذلك الرجل ، وترغبين في تزويجها منه ، نادي المسيح ليكون حاضراً في هذا الزواج، لا بعده ، لأن الزواج يمثل وجوده السري في الكنيسة . وحينئذ ألحي عليه ليعطي ابنتك زوجاً . كذلك حتى لا يفضلك عبد ابرهيم الذي صلى وتحمل مشاق الاسفار البعيدة وعرف كيف يتوجه .

وانت كذلك صلي حينما تفتشين عن الزوج . قولي له تعالى ليكن من يريد أخذه بحكمته ، سلمي أمرك إليه وهو يجزيك خيراً لثقتك به في هذا العمل الخطير . عليك ان تتبعي قاعدتين : ان تسلمي أمرك لله وتفتشي حسب مرضاة الله عن رجل اديب صالح .

وانت ايتها الوالدة عندما تريدين زواج ابنتك لا تتجولي في البيوت ولا تجمعي أنواع الملابس وغيرها . فليس الزواج معرضاً لذلك . ولا تخرجي بابنتك بموكب حافل ، بل زيني البيت ، وادعي الجيران والاصحاب والاقارب ومن تثقين باخلاقهم الطيبة ، ولا تستدعي الموسيقيين ، لأن هذا من الزوائد ويكلفك مصاريف باهظة تذهب سدى ! بل استدعي المسيح أولاً . وهل تعلمين كيف تستدعينه ؟ انه قال من فمه العزيز : بما انكم فعلتموه بأحد اخوتي هؤلاء الصغار فقد فعلتموه بي (متى ٢٥ : ٤٠) .

لا تفكري بان استدعاء الفقراء لاجل المسيح عمل مكروه . فالامر المكروه هو استدعاء النساء الساقطات . ان استدعاء الفقراء يسبب الغنى . واستدعاء الساقطات يدعو الى فساد الاخلاق . ولا تزيني العروس بالحلى الذهبية بل بالوداعة والحشمة . الزميها تلبس ثوباً بسيطاً عادياً وزينيها بالخجل والحياء قليلاً عوضاً عن الحلى الذهبية ، وعلميها ألا تهتم لها . اجعلي المكان خالياً من الضوضاء والاضطراب ودعي الحضور يستدعون العريس لكي يأخذ الصبية .

لا يجوز ان تملأ الموائد بأنواع المسكرات اثناء كل وجبة ، بل يجب ان تفعم بالمسرات الروحانية ، فيحصل الخير العظيم في العرس ولا تتعرض النفقات للتبذير . اما الاعراس الحالية فلا نقدر ان نسميها أعراسا أو ولائم لما يحدث فيها من الشرور . فكم من قصور فخمة تدمرت من جراء تلك الاعراس ، وكم يلزم من الاهتمام للمحافظة على الاشياء المأجورة حتى لا يتلف منها شيء . وعلى هذه الصور يبدل الفرح بالضجر الشديد والعذاب الاليم للحماة ، ولا تكون العروس خالية البال ،وسالمة من القلق والمسؤولية بسبب ما حدث من التخريب . فهناك المسيح وهنا ابليس ، هناك السرور وهنا الاهتمام ، هناك الفرح وهنا الترح ، هناك الترتيب والنظام وهنا المصاريف الباهظة وعدم الانتظام ، هناك البساطة والقناعة والخلاص والتعقل وهنا الحسد والسكر .

فلنفكر بهذا كله ونتجنب وقوع الشر لنرضي الله ونستحق الحصول على الخيرات التي وعدنا بها بنعمة سيدنا يسوع ومحبته للبشر الذي له مع الاب والروح القدس المجد والملك والشرف الآن وكل اوان والى دهر الداهرين امين .

لا يجوز الحزن الشديد من أجل الاموات

لماذا تبكي سدى ؟ ليس الموت موتاً بل حلماً . لماذا هذا الحزن والعويل ؟

ان الوثنيين إذا فعلوا هـذا يستحقون الاستهزاء ، فبماذا يبرر المؤمن نفسه ان أظهر صغر النفس في مثل هذه الحوادث ؟ وكيف يسامح الذين يفعلون ذلـك بدون ادراك . وقد مضى على مجيء المسيح زمن مديد واصبحت قيامـة الموتى حقيقة لا ريب فيها .

أتقتدين بالنساء الوثنيات اللاتي يفرطن في البكاء والعويل فيرثن لهيب الاتون صارفات السمع عن قول بولس الرسول : اي شركة بين الـبر والاثم ، وأي ائتلاف للمسيح مع بليعال وأي نصيب للمؤمن مع الـكافر (كورنثوس الثانيـة ٦ : ١٤و١٥)

ان علماء الوثنيين ، وان لم يعرفوا شيئاً عن القيامة يجـدون لانفسهم تعزية باحتمال المصيبة برباطة جأش ، لانه يمكن بالبكاء اصلاح ما حدث . امـا انت الذي سمعت الحقائق الارشادية العالية فلا تخجل من صغر النفس الذي تزيد بـه على الوثنيين . فنحن لا نقول لك احتمـل مصيبتك برباطة جأش ، اذ لا يمكن اصلاح ما حدث بالبكاء، بل نقول لك احتمل مصابك برباطة جأش، اذ لا ريب في قيامة الموتى !

ان فتاك لم يمت بل هو نائم ، لم يهلك بل يرتاح . ان فقيدك سيقوم من الموت ويحصل على حياة ابدية عديمة الموت ويكون نصيبه مع الملائكة ! ألم تسمع مـا قال مرنم المزامير ؟ ارجعي يا نفس الى راحتك لان الرب قد انعم عليك . ان الله يسمي الموت واما انت فتحزن . اتفعل اكثر من هذا لو كان الميت خصمك وعدواً لك ؟ ان كان البكاء لازماً لاحد فدع ابليس ينتحب لاننا ذاهبون لنحصل على الخيرات . ان ابليس قد استحق العويل من اجل شره امـا انت فعار عليك العويل لانك ستحصل على الاكليل والراحة ولان الموت هو المنيا الهادئة .

تأمل في هذي الحياة ترها مشحونة بالرزايا . فكر كم من مرة لعنتها ، كلما

طالت حياتنا تصبح أثقل وطأة من ذي قبل . منذ البدء حكم عليك بالاحزان والاكدار ، اذ قيل في الاوجاع تلدين الاولاد ، وبعرق جبينك تأكل خبزك . وايضاً : بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك .

أما عن الحياة الآتية فلم يقل شيئاً من هذا القبيل ، بـــل بالعكس ، تترك الامراض والحزن والتنهد ، وايضاً من المشارق والمغارب يأتون ويضطجعون في احضان ابرهيم واسحق ويعقوب ، هناك قصر روحاني ، ومصـــابيح مضيئة ، وحياة سماوية . بناء عليه لماذا تشين الميت؟لماذا تجعل الاخرين يرتعدون من الموت؟ لماذا تجعل الكثيرين يلومون الرب كأنه هيأ لهم مصائب عظيمة ؟ فكر في الشيء المهم لماذا اذا مات صديق لك او احـد الاتسباء تتصدق على الفقراء ، وتطلب من الكهنة ان يصلوا من اجله ؟ انك تجيب : لكي يحصل الميت على الراحـــة ويرحمه الديان ! اذاً ! من اجل هذا تبكي وتنتحب؟ انك تناقض نفسك بنفسك. اتريد ان تعرضه للعاصفة بعد ان وصل الى المينا الأمين ؟ وربما تقول ما العمل ؟ هكذا طبيعتنا البشرية !الا ترم الذنب على الطبيعة ، ولا تحسب دموعك ضرورية . وهكذا نحن نعكس الآية ونستسلم للضعف ، ونحقر انفسنا وننسي اكثر حمقا من الوثنيين .

اذاً ! كيف يمكننا ان نتكلم مع الاخرين عن عـدم الموت ، او كيف نقنع الوثني بذلك ما دمنا نخاف ونرتعد من الموت ، مع ان كثيرين من الوثنيين عنـد موت احد اولادهم يزينون رؤوسهم بالاكاليل ويرتدون الثياب البيضاء ليحصلوا على المجد مع انهم لا يعلمون شيئاً عن عـــدم الموت . وانت لا تزال تقلد النساء فتبكي وتلطم مع انك تعلم المجد الاتي وتحزن لان لا وريث لك ، فما هو الافضل له يا ترى أأن يرث تركتك ام الخيرات السماوية . وما هو الاجـــدر ان ترغّب ولدك في الحصول على الخيرات الدائمة ام في الكنوز الفاسدة التي لا بد من تركها عاجلاً . ان الله تعالى جعله وريثاً له بدلاً منك ! فلم يعد له نصيب في الميراث مع

اخوته لكنه اصبح وريثاً للمسيح ، ولا تهتم كثيراً لما تركه من الثياب والبيوت والعبيد والحقول ما دام مرتاحاً الآن اكثر مما في حياته . واذا كان البرابرة يحرقون مع الاموات كل مقتنياتهم ، فحري بك ان ترسل مع الراحل كل ما يخصه . لكن ليس ليبقى رماداً بل ليتشح بمجد عظيم ، وحتى تحل له خطاياه ولو كان أثيماً ويضاعف له المجد والعطاء اذا مات باراً . واذا اردت ان تراه فعش مثله لتحصل عاجلاً على تلك الرؤية المقدسة .

لا تفكر بانه لن يعود الى بيتك، بل بانك عن قريب تنتقل اليه ، ولا تفكر ان الراحل لا يرجع قطعاً الى هذا العالم ، بل فكر ان كل شيء نراه لا يستمر على هذا الحال بل سيأخذ شكلاً جديداً آخر اذ تتغير السماء والارض والبحار ، وترى ولدك بمجد أعظم . فان رحل ولدك اثيما فالموت يقطع كل شر . ولو رأى الله ان ولدك قابل الاصلاح وقادر على تغيير شكل حياته لما اخذه قبل التوبة . واذا كان مات باراً فانه حصل على خيرات لا تفقد ابداً . ومن هنا يظهر ان دموعك لا تنتج عن شدة محبتك له بل من التأثير بلا ادراك . فاذا كنت تحب الميت حقاً وجب عليك ان تسر وتبتهج لانه تخلص من الشرور الحاضرة .

قل لي ما الشيء الخصوصي غير الاعتيادي الجديد الذي يحصل الان ولم ير مثله سابقاً ؟ الا ترى ان كل يوم تحدث التبدلات نفسها . الليل يعقب النهار ، والنهار يعقب الليل ، والشتاء يتلو الصيف ، وبالعكس . فالتغييرات الطبيعية واحدة . اما صروف الدهر فتتغير وتجدد الاشياء . فهل تريد ان يتحمل ولدك المصائب ؟ فلو بقي حياً لتعرض لها ، وللاكدار دائماً ، وخشي سواها، وانت لا تقدر ان تقول انه يسلم منها في خوضه عباب هذه الحياة . ففكر في انه لم يولد خالداً وان لا مناص له من الموت عاجلاً، او آجلاً، انك ستتلذذ به في الحياة الآتية، لكنك ترغب في رؤيته هنا . لكن ان كنت نشيطاً مؤمنا لا شيء يمنعك عن رؤيته هنا ، لان الامل بالخيرات الاتية اشد ضياء من ماهية النظر .

لو كان ولدك في قصر الملك لما طلبته من هناك لكي تراه لانك تسمع بان وجوده هناك يسعده . وانت ايتها الوالدة تعلمين ان ولدك ذهب ليحصل على خيرات افضل من الحاضرة ، ومع ذلك فـــلا تملكين نفسك من التأثر لفرقته الوقتية . وقد تتعزين عنه برجلك ، واذا لم يكن لك رجل ، فالتعزية تجدينها في ابي الايتام ، وحاكم الارامل ، فاسمعي كيف بولس الرسول يحترم مثـل هذا الترمل قائلاً: اما التي هي ارملة في الحقيقة ووحيدة، فتتكل على الله (تيموتاوس الاولى ٥:٤) وبمقدار صبرها تتمجد ، فلهذا لا تبكي من اجل شيء يحصل لك من الاكليل والجائزة انك اعطيت وديعة وارجعت ما وكلت عليه وقتياً فـلا تهتمي له لأنه في مخزن لا يسرق فتبصري في كيفية هذه الحياة الحاضرة والاتية ! ان خيرات هذه الحياة كالعنكبوت والظل ، اما خيرات الحياة الآتية فلا نهاية لها ولا تزول ، وليس من برهان يقنعك غير هذا . اما الان فولدك تخلص من كل تبدل في هذه الحياة ، فلو بقي هنا لكان باراً او شريراً .

ألا ترين ان الكثيرين ينكرون اولادهم ، والبعض يضطـــرون ان يكونوا مع اولاد أردأ من الهالكين . فإذا تصورنا هذا كـله فيجب ان نكون حكماء ، وبهذا نرضي الراحلين ، ونكسب ثناء الكثيرين ، ونحصل على جائزة عظيمة من الله تعالى عن صبرنا ، ونحصل على الخيرات الابـدية التي نسأل الله ان نستحقها بنعمة سيدنا يسوع المسيح ومحبته للبشر الذي له المجد والملـك الى دهر الداهرين امين .

لا يجوز الافراط في الحزن لموت الولد

ان من يرى ولده الوحيد الذي علق عليه كل آماله ممدداً في القبر بلا حراك ، يجب ان تكون له نفس مؤمنة ليقدر ان يتحمل المصيبة النازلة به ، ويضع حداً

لتأثراته الطبيعية ودموعه الغزيرة ويردد مع ايوب : الرب أعطى والرب أخذ (ايوب ١ : ٢١) من اجل هذه الكلمات فقط ، يكون مع ابرهيم ويعد مبشراً كأيوب نفسه . وإذا أوقف عويل النساء ومنع صراخ الباكين ، يرد الجميع الى تمجيد الله ، ويحصل على مجد عظيم من الله ، فالبشر تتعجب منه والملائكة تصفق له والله يعطيه اكليل المجد . ومع ذلك فانت تقول كيف أقدر ألا أبكي وأنا انسان ؟ انك بلا شك تقدر اذا فكرت بابرهيم وايوب . فالاثنان من البشر وكلاهما لم يتألما ويضعفا أمام المصائب البشرية مع أنهما عاشا قبل زمن التعليم والنعمة ولم يقفا على التعاليم والحكم الالهية كما هو الآن . فان فكرت ان الراحل قد انتقل الى محل أحسن والى ميراث أفضل ، وأنك لم تفقد ولدك بل شيعته الى مسكن أهدأ من الحاضر ، لا تقل ليس لي من يدعوني أباً ! لماذا لا تدعى أباً ما دام ولدك حياً ؟ انك لم تفقد ولدك ، ولم يهلك بل بالعكس صار لك حق اكبر ان تلقب بهذا الاسم ! انك تدعى أباً لا لولد ميت بل لولد عديم الموت ، أباً لجندي بطل لم يزل كائناً في بيت الله . فلا تفكر بأنه هلك اذا لم يتظاهر لك !فلو كان الآن في سياحة لما أفقدك وجوده بالجسد العلاقات الوالدية ! لا تمعن نظرك في وجه الراقد فان هذا يثير الحزن ، بل ارفع نظرك الى السماء . ليس هذا الجسد الفاقد الحياة ولدك بل ولدك قد طار وصعد الى علوّ لا يحدّ .

وهكذا اذا نظرت الى عينيه المطبقتين وفمه المغلق والى جسده الهامد بلا حراك ، لا تفكر ان تينك الشفتين لا تتكلمان بعد ، وهاتين العينين لا تنظران اكثر ، وهاتين الرجلين لا تمشيان ، والجسد كله سيفسد . لا تحاكم هذه الفكرة ، بل قل ان الفم سينطق بكلام أفضل ، والعينين سيبصران احسن ، والقدمين سيسيران يوما ما على السحاب . وهذا الجسد الفاني سيلبس جسداً عديم الموت ، وسوف تحصل على ولدك في حالة أفضل وأبهى من الحاضرة . وان كانت رؤية جسده الآن تسبب لك ألماً فقل لنفسك : ان هذا الجسد لباس قد خلعه عنه لكي يحصل على أثمن منه ، هذا الجسد بيت هدمه ليدخل اليه النور .

ان هدمنا بيتاً لا نترك فيه احداً من الاحياء ليسلم من الغبار والضوضاء ، نأمره بالخروج منه مؤقتاً حتى يتم بناؤه فندخله اليه ثانية لنأمن عليه من الخطر. هكذا يفعل الله اذ ينقض هيكل الراقد الفاسد ، فانه ينقله الى بيته الابوي بل يأخذه اليه حتى يتم نقض الهيكل وبناؤه ثانية ، ثم يعطيه اياه بحالة أبهى وافضل من الأولى .

لذلك ، لا تقل انه هلك وغير موجود اكثر ! هذا كلام الملحدين غير المؤمنين ، بل قل انه راقد وسيقوم . هو سائر على الطريق ، وسوف يرجع مع الملك . من يقول هذا ؟ يقوله ذلك الذي يتكلم المسيح فيه . لأنا ان كنا نؤمن بان يسوع مات ثم قام فكذلك الراقدون مع يسوع أيضاً يأتي بهم الله معه (تسالونيكي الاولى ٤ : ١٤) وهكذا انت فتش عن ولدك هناك ، حيث يكون الملك ، وأجناد الملائكة ، ليس في القبر وعلى الارض فانه صعد الى علو عظيم ولا يبقى مطروحاً على الارض .

ان كانت افكارنا حكيمة ، على هذه الصورة ، يمكننا ان نتغلب بسهولة على كل حزن . ان اله العطايا وأبا كل تعزية يعزي قلوبنا جميعاً في مثل هذه الاحزان وسواها ايضا ، وينقذنا من كل قنوط لنحصل على المسرات الروحانية ونرث الخيرات الآتية ، التي نرجوها من الله جميعا ، بنعمة سيدنا يسوع المسيح ومحبته للبشر الذي معه للاب وللروح القدس المجد والملك والشرف من الان والى دهر الداهرين .

من هم الاموات المستوجبون البكاء وكيف يمكننا مساعدتهم ؟

لا يجب الحزن من اجل الاموات كلهم ، ولا السرور من اجل الاحياء جميعاً، بل يجب البكاء من أجل الخطأة الاحياء ، لا من اجل الاموات . ويجب الفرح من اجل الابرار الاحياء ، والراقدين . فالاولون ، اي الخطأة ، ماتوا وهم في قيد الحياة ، والاخرون اي الابرار ، يحيون في الممات . أولئك يؤسف عليهم وهم أحياء ، لأنهم ذهبوا الى المسيح ، الخطأة اينما كانوا هم بعيدون عن الملك ، ولهذا يستحقون الدموع . والابرار سواء أكانوا هنا ام هناك ، هم دائما مع الملك وقريبون منه لا بالصبر والايمان بل وجهاً لوجه ، كما قيل : لهذا لا يجب البكاء من اجل الاموات كلهم بل من اجل الذين ماتوا في الخطيئة . فهؤلاء لا يستحقون البكاء والنوح والدموع لان لا امل لهم من انتقالهم الى هناك في الخطيئة حيث لا يقدرون على ازالتها . ففي هذه الحياة كان يجوز الانتظار لتغيير حياتهم الى احسن ، لكن بعد ذهابهم الى الجحيم لا فائدة من التوبة البتة ، اذ قد قيل : وهل في الجحيم من يعترف لك (مزمور ٦:٦) فكيف لا يستحقون الدموع ؟

ان ذرف الدموع لاجل من يموتون في الخطيئة واجب ، وأنا لا امنعكم من البكاء . ولكن، يجب ألا نتجاوز الاعتدال فننتف شعورنا ونعرّي ايدينا ونمزق وجوهنا ونلبس الثياب السوداء ، بل يجب ان نذرف الدموع المريرة بكل هدوء وسكينة . فاذرف الدموع المرة ، وارسل التنهدات خفية ، ليكون اسفك شديداً ، ويأتيك بالنفع . ابك من اجل غير المؤمنين والذين ماتوا من دون معمودية ، ومسح بالزيت المقدس . ان مثل هؤلاء يستحقون الدموع والأسف . انهم خارج قصر الملك مع المحكومين والمجرمين . الحق اقول لك ان كان احد لا يولد من الماء والروح لا يقدر ان يدخل ملكوت الله (يوحنا ٣:٥) ابك من اجل

الذين ماتوا اغنياء ولم يفكروا ان ينفقوا شيئاً من غناهم لاجل تعزية نفوسهم ولم يريدوا ان يطهروا نفوسهم من الخطيئة وهم قادرون على ذلك . لنبك كلنا لاجلهم باعتدال ورصانة حتى لا نتعرض للسخرية . لنبكهم لا يوماً واحداً او اكثر بل ما دمنا على قيد الحياة ، لان هذه الدموع صادرة عن ادراك وتأثر ، ودليل على المحبة والشفقة .لذلك لا تجف كغيرها عاجلاً .

كل شيء ينتج عن خوف الله هو دائم . لذلك لنبكهم ونساعدهم على قدر امكاننا . وهذا يكون بالمثابرة على الصلاة وحث الاخرين عليها من اجلهم ، والتصدق عن نفوسهم دائماً . فقد قال الرب : وأحمي هذه المدينة من أجلي ومن أجل داود عبدي (الملوك الرابع ٢٠:٦) وان كانت ذكرى الصديق قوية بهذا المقدار فكيف الاعمال من اجل الاموات لا تكون قوية ؟ ان الرسل لم يرتبوا شيئاً سدى فذكر الاموات حين استحالة الاسرار الرهيبة له تأثير عظيم ، ويأتي بفائدة عظمى ومساعدة كبرى لهم ، وخاصة اذ يقف الشعب والاكليروس رافعين الأيدي حين تقديم الذبيحة الرهيبة لاجلهم .

هذا نقوله عن الذين ماتوا مؤمنين . اما الموعوظون فليس لهم مثل هذه التعزية ، ويحرمون المساعدة ما عدا الاحسانات والصدقات لاجلهم فانها تعزيهم .

ان الله يريد ان نساعد بعضنا بعضاً ، والا فلماذا أمر بالصلاة من اجل سلام كل العالم ؟ لماذا نصلي من اجل الناس جميعاً مع انه يوجد بينهم لصوص ونهابون وأثمة ارتكبوا أعظم الجرائم . اننا نصلي أملاً برجوعهم عن الخطيئة . وما دمنا نصلي من اجل الاحياء الشبيهين بالاموات ، فلماذا لا نصلي ايضاً من اجل الاموات ؟

عن يوم الدينونة الرهيب

عندما نسمع قول بولس الرسول : يجب علينا المثول أمام دينونة المسيح نتخيل ذلك عقلياً ، ونضع نصب أعيننا انه يجري الآن ، وانه يطلب منا الحساب عن أعمالنا ، فأنا ارغب في أن أشرح لكم ذلك اليوم مفصلاً ، لان القديس بولس الرسول تكلم عن اشياء كثيرة محزنة ولم يرد أنه يجدد هذا في أهل كورنثوس بل تكلم عنه بايجاز ذاكراً المهم فقط ، اي ان يعطي كلّ الحساب عن اعماله ، ومنتقلاً حالاً الى موضوع آخر .

فلنتصور الآن ان يوم الدينونة قد جاء ، ليفحص كل منا ضميره وليتصور ان الديان أقبل وان كل خفي سيظهر جلياً . فهو لا يكتفي بالمثول أمامه فقط في يوم الدينونة بل سيحاكم ويثبت الذنب علينا ! ألا تحمرون من الخجل ؟ الا تضطربون من ذلك ؟ فاذا كان ضميرنا يضطرب ويهلع الآن ان ذكرنا يوم الدينونة الرهيب وتصورناه قبل ان يجيء فماذا يحل بنا اذ يجيء ذلك اليوم وتجتمع فيه المسكونة كلها والملائكة ورؤساء الملائكة وغيرها من القوات السماوية ويتوارد البشر من أقطار المسكونة مخطوفين على السحاب ويستولي الخوف على الجميع ، ويضرب في الابواق وتسمع اصواتها المتواصلة في جميع الجهات فالخزيان وحده أمام تلك الهيئة المثيرة قصاص عظيم فضلا عن الجحيم .

إذا دخل الملك مع حاشيته الى إحدى المدن فكل يعترف بعجزه ولا يسر من هذا المشهد بقدر ما يتكدر لانه لا يقدر ان يشترك في تلك الأبهة المحيطة بالملك ويكون قربه . فماذا يحل بنا ، عند لقاء ملك السموات ؟ الحق انه لقصاص جزئي استثناؤك من جماعة المحتفلين وعدم استحقاقك المجد الذي لا يوصف ، اذ تفرز بعيداً عن هذه الاحتفالات والخيرات التي لا يعبر عنها ، لكن حيث

الظلام وصرير الاسنان والاغلال التي لا تفك والدود الذي لا يموت والنار الدائمة والحزن والازدحام واللسان المعذب باللهيب كما حصل لذلك الغني . حينئذ يكون العويل ولا من سامع ، والتألم والتنهد من الامراض غير المحتملة ولا من يصغي ، والتلفت الى ما حولنا ولا من تعزية من أحد !

فبأي شيء نشبه نصيب المعذبين ؟ اي نفوس أتعس من هذه ، ومن يستحق الشفقة أكثر منها ؟ لعمري ان دخلنا السجن ورأينا الوجوه المكفهرة من الحزن والمقيدين بالاغلال المتضورين جوعاً والمطروحين في الظلام يعترينا الخوف والهول ، ويجمد الدم في عروقنا ، ونحاول بكل قوانا كي لا نقع في هذا المكان . فماذا يحل بنا ان ساقونا قسراً الى جهنم . ان الاغلال هناك ليست من الحديد بل من النار التي لا يخمد لهيبها .

هناك حراس لا نقدر ان نستعطفهم وهم الملائكة الذين لا نجسر ان ننظر اليهم لانهم متكدرون منا جداً لعدم طاعتنا لله . الحالة هناك ليس كما هي هنا . هناك لا يأتيك احد ليخفف مصابك لا بالفضة ولا بالطعام ولا بكلمة تعزي القلب لأنك هناك غريب عن الجميع ، حتى نوح وايوب ودانيال لا يرضون ان يتشفعوا بأحد من أقاربهم ان رأوه هناك ، لأن كل شفقة تتعلق بطبيعتنا البشرية تزول عنا تماماً . فقد يكون لكثيرين من الانبياء الصالحين آباء أشرار وأولاد اشرار ، ومع ذلك فيكون سرورهم طاهراً مثيراً ليتلذذوا بالخيرات ولا تضطرب قلوبهم بالشفقة على غيرهم ، لان كل شفقة تنزع منهم ولأنهم يغضبون مع الله حتى على الذين من دمائهم .

فاذا كان في وقتنا الحاضر كثيرون من الآباء العاديين ينكرون احياناً اولادهم ويتبرأون منهم بسبب حياتهم الفاسدة ، فكم بالحري يفعل الابرار مثل هذا في ذلك الوقت . لذلك لا تتأمل مطلقاً بالتعزية في الحياة الآتية ، ان لم تعمل شيئاً

صالحاً في هذه الحياة ، ولو كان لـــك العدد الغفير من أجدادك الابرار لان كل واحد يستقبل حسبما عمله في الجسد . فالرسول يقصد بكلامه الضالين وغيرهم من الخطأة مريداً ارعابهم بهول القصاص المعد لهم . وعليه فلنعتبر بوعيدهم ونستفد!

فان كانت تلتهب فيك نيران الشهوات الجسدية تصدّ لها بنـــار جهنم لتخمد فيك وتنطفيء . وان شئت ان تتفوه بكـــلام السؤ فكر بصرير الاسنـان ؛ فخوفك منه يضع لجاماً للسانك . وان خطر في بالك ان تسلب غيرك فاسمع ما يأمر به الديان القائل : اوثقوا يديه ورجليه واطرحوه في الظلمـة البرانيـــة (متى ٢٢ : ١٣) وعلى هذه الصورة تطرد كل شهوة . وان كنت مدمنـاً ولا تقدر ان تمسك نفسك عن المسكر فاسمع ما قاله الغني : ارسل لعـازر ليغمس أنملته في الماء ويبرد به لساني لاني معذب في هـذا اللهيب (متى : ١٦ : ٢٤ — ٢٥) ان فكرت بهذا لا بد من ان تمسك نفسك عن المسكرات . وان كنت تحب المسرات اذكر ذلك الازدحام والاحزان في العالم الآتي . فبعد هذا لا ريب انك لا تعود تفكر فيها مطلقا ، وان كنت قاسيا عديم الشفقة ، فكر بالعذارى اللواتي من اجل انطفاء مصابيحهن لم يسمح لهن بالدخول الى قصر العريس. وبعد ذلك لا شك في انك تصبح محبا للبشرية ، وان كنت متهاونا عديم الاكتراث ، فكر بمصير موهبتك الدفينة ، لا ريب ان تصبح اسرع من النار ، وان تأججت نار الغيرة فيك لتحصل على مقتنيات قريبك . تصور تلك الدودة التي لا تموت فتتخلص بهذه الطريقة من هذا المرض العضال ، وتصلح كل ضعف فيك .

ان الله لم يعلمنا شيئا صعبا وثقيلاً ان نتوهم انتعاليمه صعبة وثقيلة منضعفنا. ان كان الاجتهاد يسهل الصعب ، فالاهمـال يصعب السهل . وهكذا في البحث عن هذا كله يجب ان نرى كيف ان البعض يستسلمون للرفاهية وعدم الاعتدال، وكيف تكون آخرتهم. ان ايامهم الاخيرة تكون كلها فساداً وهزالاً جسديا وفي الآخرة ، الدود والنار .

لا تنظر الى كيفية السلب بل الى ما ينتج عنه ! فان السالب لا يخلص من الخوف وعذاب الضمير في هذه الحياة وفي الآتية تنتظره الاغلال التي لا تحل . لا يجب ان نتكلم عن محبي الذات بل عن عاقبتهم . انهم يصادفون اللطف والرياء في هذه الحياة ، وهناك العذاب الاليم في اللهيب الدائم . فان حاكمنا هذه الصور والافكار لا بد لنا ان نطرح عنا التمسك بهذه الحياة ونرغب في اكتساب الاتية . لنقوّ محبتنا للاخيرة ونشددها كثيراً . فان كانت الافكار عن الخيرات السموية تسبب لنا السرور والسعادة التي لا توصف ، فكم بالحري ان حصلنا عليها تماما .

طوبى لمن يتنعم بالخيرات المذكورة طوباه مئـــات من المرات ، وبالعكس اولئك التعساء الذين يقاسون انواع العذاب فانهم يستوجبون الأسف الشديـد . اذن ، لكي نحصى في عداد الاولين لا الاخرين ، لنحب الفضيلة لنحصل بها على الخيرات الآتية التي نسأل الله المعونة للحصول بنعمة سيدنا يسوع المسيح ومحبته للبشر الذي له مع الاب والروح القـــدس الملك والشرف من الان والى دهر الداهرين امين .

عظة الفصح المجيد

« نختتم هذه الأمالي – اي الملخصات –
بالعظة الفريدة الخالدة التالية » :

من كان حسن العبادة ومحباً لله ، فليتمتع بحسن هذا المحفل البهج . من كان عبداً شكوراً ، فليدخل فرح ربه مسروراً . من تعب صائماً ، فليأخذ الآن الدينار . من عمل من الساعة الأولى ، فليقبل حقه العادل . من قدم بعد الساعة الثالثة ، فليعيّد شاكراً . من وافى بعد الساعة السادسة ، فلا يشك ، فانه لا يخسر شيئاً . من تخلّف الى الساعة التاسعة ، فليتقدم غير مرتاب . من وصل الساعة الحادية عشرة فقط ، فلا يخشى الابطاء ، لان السيد كريم وجوّاد ، فيقبل الاخير مثل الاول ، ويريح العامل من الحادية عشرة ، مثل العامل من الساعة الأولى ، يرحم الأخير ، ويرضي الأول ، يعطي ذاك ، ويهب لهذا ، يقبل الاعمال ، ويسر بالنية ، يشرّف الفعل ، ويمدح العزم . فادخلوا ، اذن ، جميعكم فرح ربكم .

ايها الاولون والاخيرون خذوا أجرتكم . ايها الاغنياء والفقراء اطربوا معاً . ايها المسكون والمتوانون ، اكرموا النهار ، صمتم او لم تصوموا . افرحوا اليوم . المائدة مملوءة . فتنعّموا جميعكم . العجل سمين فلا يخرج احد جائعا ، تمتعوا جميعكم بوليمة الايمان . تمتعوا جميعكم بغنى الصلاح . لا ينوحن أحد عن فقر ، لأن المملكة العامة قد ظهرت . لا يندبنّ أحد على آثام ، لان الصفح قد بدا من القبر . لا يخافنّ أحد من الموت ، لأن موت المخلص قد حررنا ، فانه قد اخمده ، لما ضبط منه . والذي نزل الى الجحيم ، هو سبى الجحيم ، وقد مرمره ، اذ أذاقه جسده . هذا ما سبق اشعياء ونادى به قائلاً : ان الجحيم تمرمر ، لما

لقيك أسفل . تمرمر ، لانه قد بطل . تمرمر ، لانه قد أميت . تمرمر ، لانه قد أبيد . تمرمر ، لانه قد ربط . تناول جسداً ، فصادف إلهـــاً . تناول ارضا ، فصادف سماء . تناول ما كان ينظر ، فسقط من حيث لم ينظر . فاين شوكتك يا موت ؟ واين ظفرك يا جحيم ؟ قام المسيح ، وانت غلبت . قـام المسيح ، والجن تساقطوا . قام المسيح ، والملائكة يفرحون . قام المسيح ، واستقرت الحياة . قام المسيح ، وليس ميت في القبر ، لأن المسيح بقيامته من الاموات ، قد صار مقدمة الراقدين . فله المجد والعزة الى دهر الداهرين آمين .

* * *

لقد اشرقت النعمة من فمك مثل النار فأنارت المسكونة ، ووضعت للعالم كنوز عدم محبة الفضة ، واظهرت لناسمو الاتضاع ، فيا ايها المؤدب باقوالك يوحنا الذهبي الفم ، تشفع الى المسيح الاله ان يخلص نفوسنا .

* * *

فہرست

صفحة

٥ حياة القديس يوحنا الذهبي الفم
٩ عن التمرين الدائم على مطالعة الكتب المقدسة
١٠ الفائدة من مطالعة الكتب الالهية
١١ لا يكفي ان تحفظ الكتابة المقدسة في المجلدات فقط
١١ المسيح هو مصدر الخيرات كلها
١٢ قوة الصليب
١٣ من يقدر ان يسمى مؤمناً
١٣ ما هي القوة التي تحصل من الاتكال على الله
١٥ المحبة
١٥ الرحمة
١٦ على اي شيء يتوقف الغنى الحقيقي
١٧ الصدق والكذب
١٧ ما تعني الكلمات الإلهية بلفظة انسان
١٨ ما هو المجد الذي يشرف الإنسان في العالم المنظور
٢٠ لماذا يسمح الله ان يجرب الإنسان بالمصائب
٢٠ سبيل الفضيلة في هذه الحياة

صفحة

٢١ لماذا يعاقب الله في هذه الحياة بالجرم نفسه أناساً دون أناس
٢٣ سنجازى عن كل ما نفعله في هذه الحياة
٢٤ حالة الإنسان الخاطىء في الحياة الحاضرة
٢٤ يجب ان نفعل كل شيء لمجد الله
٢٥ يجب ان نتمسك بحسن العبادة اكثر من كل شيء
٢٥ عن مراعاة الرزانة العظيمة مدى الحياة
٢٨ لا تدخل الى نفسك كل كلمة تسمعها
٢٨ ما الذي يتعلق بنا وما الذي يتعلق بالله لاجل الخلاص
٢٨ يجب ان نصلي بلا انقطاع
٢٩ في أي مكان أو زمان يجوز ان نلتجىء الى الصلاة
٣٠ ما هي الصلوات القوية الفعالة
٣٢ لماذا لا تجاب صلواتنا دائما
٣٣ لا عذر لنا يثنينا عن الذهاب الى الكنيسة
٣٣ يجب ان نذهب الى الكنيسة لنحصل على الفائدة لنفوسنا
٣٤ ما هي الواجبات المفروضة على الجميع بعد استماعهم تعليم الكنيسة
٣٥ الى من يقصدون الكنيسة في الاعياد العظيمة فقط
٣٧ كيف نحمي نفوسنا من الشهوات الفاسدة
٣٨ متى يجب الكلام ومتى يجب السكوت
٣٨ عن حفظ اللسان
٤٠ ماذا يجب ان تتذكر عند جلوسك الى المائدة
٤١ عن الامتناع عن السكر
٤٣ عن تبجيل اسم الله واحترامه
٤٣ لا يجوز التهاون في الخطايا الصغيرة
٤٤ في ايام الغنى يجب ان نفكر في توقع الفقر

صفحة

٤٥ يجب احترام الكهنة
٤٧ عن الوداعة
٤٨ يجب مسامحة الإهانة
٤٩ يجب ان نصلي من اجل الاعداء
٤٩ يجب ان نجتنب العداوة
٥٠ عن النميمة
٥٢ عن اي شيء تنشأ الاكدار والاحزان البيتية ؟
٥٥ المسرات الناشئة عن الخيرات الارضية زائـــلة والمسرات الناشئة عن الاعمال الصالحة ثابتة
٥٦ ان فعلت خطيئة لا يجوز ان تعذر نفسك عنها
٥٦ لا تيأس من الخلاص
٥٧ عن الامتحان الذاتي يومياً
٥٨ يجب ان تعترف بخطاياك بنقاوة قلب
٥٩ عن فائدة الاعتراف
٥٩ على أيّ شيء يتوقف الصوم الحقيقي
٦٠ طوبى لكل من يتقي الرب ويسلك في طرقه
٦١ انك اليوم تكون معي في الفردوس
٦٥ الى الذين يتقدمون لمناولة الاسرار المقدسة بدون الاستعداد اللازم
٦٧ ماذا ينفعنا في يوم الدينونة الرهيب
٦٩ عن المنفعة الناتجة من استماع الكتب المقدسة
٧١ عن وجوب نداء اسم الله في كل وقت
٧٢ عن كيفية الحصول على خوف الله تعالى
٧٣ عن عمل الصليب الخلاصي

صفحة

٧٤ بأي قلوب ينبغي المجيء الى كنيسة الله
٧٦ لا يجوز ان نقف بإعجاب للصلاة
٧٩ يجب ان نتعود إتمام كل ما علمنا إياه الرعاة في الكنيسة
٨٢ عن الاستعداد اللازم لدى التقدم لمناولة الأسرار المقدسة
٨٤ مديح القديس بولس الرسول
٨٨ عن واجبات المؤمن
٨٩ يجب ان نطلب من السيد غفران الخطايا قبل كل شيء
٩٢ لا يجوز للخاطىء ان ييأس من الخلاص
٩٥ عن التواضع
٩٧ الحكم على الذات
٩٩ الفضيلة أجمل حلية للانسان
٩٩ لا يجوز ان نبرر انفسنا في إهمالنا الخلاص بداعي الجهل
١٠٣ الخلاص ممكن للمرء على اختلاف الطبقات والأحوال
١٠٥ كيف يجب ان نستفيد من هبات الله
١٠٦ لا يجوز ان ندنس شفاهنا بالكلام البذيء
١٠٨ لا يجوز التأثر ان شتمنا أحد من دون ذنب
١١٠ لا يجوز الحزن إن ذمنا أحد
١١٠ هل يجوز ان ندخل الى قلوبنا الإهانة الموجهة إلينا
١١٥ جمال الجسد يتعلق بجمال النفس
١١٦ عن إعطاء النفس هواها
١١٨ عن السكر
١٢٠ عن الصوم
١٢١ لا يجوز الاضطراب إن طرأ علينا تغير في الحياة الحاضرة
١٢٥ عن علاقة الرعية براعي الكنيسة

صفحة

١٣٤ لا يجب ان نفكر بهيئة الفقير الرديئة
١٣٤ إلى البخيل
١٣٦ إذا لم نحب من يحبنا نخطىء
١٣٧ عن المسالمة
١٤٠ لا يجوز لك ان تدين قريبك
١٤٤ نصائح بشأن انتخاب العروس
١٤٥ نصائح للوالدة بشأن انتخاب العريس لابنتها
١٤٧ لا يجوز الحزن الشديد من اجل الاموات
١٥١ لا يجوز الافراط في الحزن لموت الولد
١٥٤ من هم الاموات المستوجبون البكاء و كيف يمكننامساعدتهم
١٥٦ عن يوم الدينونة الرهيب
١٦٠ عظة الفصح المجيد
١٢٨ لماذا السيد علمنا الصلاة بلسان الكثيرين ؟
١٣٠ يجب علينا الاهتمام بخلاص القريب
١٣٣ عن عظمة فضيلة الإحسان

تم طبع هذا الكتاب
في ١٥/٢/١٩٧٢

الخطأ وتصحيحه

سقطت بعض أخطاء مطبعية ، نصححها ، فيما يلي، لافتين اليها نظر القارىء اللبيب :

الصفحة	السطر	الخطأ	الصحيح
٤٠	١٣	كل بطالة	كل كلمة بطالة
٦٣	٣	يشد	يسد
٦٤	٦	بعينيه	بعينه
٦٩	٨	الامثاله	الأمثلة
٩٧	١٧	والزني	والزنى
١٠٩	١٠	متهوراً	مقهوراً
١١٢	١٩	يحتاج	يحتج
١٤٨	٢١	المنيا	المينا
١٤٩	٩	الاتسباء	الانسباء